International Islamic University
Islamabad - Pakistan
Faculty of Islamic Studies
(Usul-ud-Din)
Department 0f Dawa

الجامعة الإسلامية العالمية
إسلام آباد ـ باكستان
كلية الدراسات الإسلامية
(أصول الدين)
قسم الدعوة

الآيات الكونية في سورتي النحل والروم

ودلالاتها الدعوية

بحث تكميلي لنيل درجة ماجستير الفلسفة في الدراسات الإسلامية

بإشـــراف

فضيلة الدكتور سليمان الحوامدة

الأستاذ المساعد بكلية الدراسات الإسلامية (أصول الدين)

إعداد الطالبة

مصباح ناز

رقم التسجيل: **53-FU/M.Phil/S08**

العام الجامعي: ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م

Accession No. TH- ١٣٨٢٩
TH 13829

دعوة.

حالة دعوة في قرآن

MS
297.37
ح ص ا

تمت مناقشة هذه الرسالة المقدمة لنيل درجة ماجستير الفلسفة في الدراسات الإسلامية

بعنوان:

الآيات الكونية في سورتي النحل والروم ودلالاتها الدعوية

بتاريخ: / /١٤٣٤هـ ـ الموافق / /٢٠١٣م

أسماء أعضاء لجنة المناقشة والتحكيم وتوقيعاتهم

١	الدكتور / سليمان الحوامدة	مشرفاً	
٢		مناقشاً خارجياً	
٣		مناقشاً داخلياً	

ومنحت الطالبة: درجة .....

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾

(سورة فصلت، الآية: ٥٣)

الإهداء

إلى والدي الكريمين..

الذين قاما بتربيتي وأوصياني بكل خير ووفرا لي كل ما أحتاج إليه في سبيل تحصيل العلم.

إلى زوجي المخلص الذي تعاون معي وشجعني في إتمام الرسالة.

وإلى حماتي الحنونة التي ساعدتني في العسر وتعاونت معي في الظروف الصعبة خلال البحث.

وإلى كل داعية مخلص، يسعى لنشر دعوة الإسلام.

الشكر والتقدير

أشكر الله تعالى وأحمده حمدا كثيرا طيبا على نعمه التي لا تعد ولا تحصى.

بتوفيق من الله استطعت إنجاز هذا العمل البسيط المتواضع، جعله الله في ميزان حسناتي وسدد على درب الخير خطاي.

فبعد إكمال كتابة البحث بتوفيق من الله يسرني أن أقدم الشكر الجزيل إلى كل من وقف بجانبي لإخراج هذه الرسالة على صورتها الحالية.

أخص بعظيم التقدير وخالص الدعاء فضيلة مشرفي **الأستاذ الدكتور سليمان الحوامدة** على قبول الإشراف على البحث وعلى ملاحظاته القيمة، وتوجيهاته السديدة، ونصائحه الطيبة، وإن لم يكمل الأستاذ العمل معي لظروف مرضه و سفره، رغم ذلك كان له فضل في إخراج هذه الرسالة، جعل الله ذلك في ميزان حسناته يوم الدين. آمين

و أتقدم بالشكر والتقدير إلى فضيلة **الأستاذ الدكتور أحمد جان، وأستاذ عبد القادر هارون**، فقد ساعداني مساعدة علمية، و وجهاني إلى كل نافع ومفيد، وقدما توجيهاتهما وتعليهاتهما القيمة في خلال البحث، وراجعا معي الرسالة في نهايتها.

كما علي أن أشكر قسم الدعوة الثقافة الإسلامية في كلية أصول الدين. فقد أتاح القسم هذه الفرصة الغالية لي لكتابة هذه الرسالة، وكما أشكر كل من ساهم و مد يد العون لي في إنجاز هذا العمل، وهم كثيرون لا أستطيع أن أفضل أحدهم و أخصه بالذكر.

أدعو الله أن ينفعنا بما علمنا وانيعلّمنا ما ينفعنا. وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آلهو أصحابه أجمعين.

مصباح ناز

المُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، بديع السماوات والأرض، الذي سخر لنا السماوات وما فيهن، وهو الذي أنزل من السماء ماء فأحياء به الأرض بعد موتها، وبث فيها من كل دآبة، وتصريف الرياح، وأرسل رسوله محمد – صلى الله عليه وسلم – بالرسالة الخاتمة، وجعله إمام الدعاة ومرشد العالمين إلى صراط المستقيم، نشهد أنه أدّى الأمانة وبلغ الرسالة، فالصلاة والسلام عليه وعلى الأنبياء المرسلين، ومن دعا بدعوته وسن بسننه إلى يوم الدين.

أما بعد:

تعريف الموضوع:

قد اخترت لهذه الرسالة موضوع **"الآيات الكونية في سورتي النحل والروم ودلالاتها الدعوية"** حتى أبين ما هي صلة الداعي إلى الله عز وجل، بآيات الله الكونية، ما هي أهمية التفكر في الآيات الكونية، وتحصيل العلوم الكونية في حياة الداعية وأداء مهمته الدعوية.

نجد القرآن العظيم مليء بذكر الآيات الكونية في سياق التوحيد، والنبوة والرسالة، والبعث، والمعاملات وأوامر الله ونواهيه، فتثبت هذه القضايا الدعوية بالدلائل العلمية، كي يقنع بها مختلف أصاف المدعويين خاصة الملاحدة، والماديين، والمشركين، ويدعم الإيمان في قلوب المسلمين.

أسباب اختيار الموضوع:

أسباب اختيار الموضوع تعود إلى أمور منها:

١- عندما بدأت التخصص في الدعوة كنت أرغب أن أربط بين الكون وحقائقه، والدعوة إلى الله عز وجل. فقد رأيت بأن (التكنولوجيا الحديثة)العلم الحديث تقدم حتى وصل رواده إلى القمر، مع ذلك لم يصل إلى معرفة خالق ومدبر هذا النظام، فبعضهم لا يشعرون بالحاجة إلى إله أو دين، وبعضهم يترددون في قبول الدين، فأردت أن أبحث في هذا المجال.

٢- هذه الرغبة دفعتني إلى البحث في آيات الله الكونية وصلتها بالإنسان وعقائده وسلوكه. فشعرت بضرورة تطبيق المنهج العلمي في الدعوة إلى العقائد الإسلامية والسلوكيات الفردية والاجتماعية.

٣- شعرت بأن واجب الدعاة المسلمين، أن يدعو الناس، بلغة العصر وهي "العلم والتكنولوجيا"، فهم في حاجة كبيرة أن يتدبروا في مظاهر الكون، ويطلعوا على الأبحاث العلمية ويطبقواها في مسار الدعوة إلى الله بطرق وأساليب شتى.

٤- وهذا هو الجانب الذي يغفل عن الدعاة إلا قليل. لأجل هذا أريد أن أبحث في هذا الموضوع.

المشكلة التي يعالجها البحث:

لا شك أن خدمة القرآن من كل جهة فيه خير وبركة، والدلالات التي تشير إليها القرآن ثابتة لا تتغير بتغير المكان والزمان، فآياته الكونية أصلاً دلائل ثابتة في مباديء الإسلام والقيم الإسلامية.

وقد كان هناك سؤال يتخلل في وجداني أن آيات الله الكونية موضوع تتعلق بالعلوم والمعارف العلمية فيا ترى! كيف نوفق بين نظريات العلم الصحيحة والآيات الكونية القرآنية، وكيف نستخرج منها الدروس والنتائج الدعوية، وتطبيق هذه الدروس في حقل الدعوة في العصر الحاضر، فهذه المحاولة أخذتني لكيء أسجل هذا الموضوع والبحث في أغوار الايات القرآنيةالهادفة.

الدراسات السابقة:

موضوع يتعلق بالايات الكونية موضوع ليس بقديم جداً. فالدراسات المتعلقة بالآيات الكونية ليست كثيرة جداً، ولم أجد منها ما هي متعلقة بميدان الدعوة وتطبيق الآيات الكونية في الدعوة. وجدت كتابا للأستاذ محمد عبد الله الشرقاوي "القرآن والكون" وهي دراسة تبين الصلة بين العقيدة والنظر في الآفاق والأنفس وركز المؤلف على قيمة العلم التجريبي في الإسلام وما ذكر تطبيقه في مجال الدعوة.

وكذلك كتب الأستاذ محمد زكي الدين محمد قاسم كتاب "الإسلام والفطرة" وهيتأملات تكشف الترابط الوثيق بين الآيات القرآنية والكونية، ولكن لم يربطها بالدعوة.

وهناك كتب للأستاذ الدكتور منصور محمد حسب النبي عن الكون والقرآن الكريم ومنها "الكون والإعجاز للقرآن الكريم"، فكتب عن آيات الله الكونية القرآنية وأثبت الحقائق العلمية في ضوء الآيات الكونية القرآنية. ويدل به على الإعجاز العلمي للقرآن. لا يذكر ربط الآيات الكونية بالدعوة. وهناك بعض كتب التي كتبها غير المسلمون، منهم أ. كريسي مورسون كتب الكتاب باسم " **Man does not stand alone**" وترجمت هذا الكتاب باللغة العربية باسم "العلم يدعو للإيمان"، فالكاتب يرد على زعم الملحدين، لأنهم ينكرون الإيمان بالله على أساس من العلم، وهو يؤيد ببراهين من ميادين العلوم. فكاتب أثبت قضية واحدة من الدعوة الإسلامية فقط. فوجدنا أن هناك عناوين متعلقة بالآيات الكونية كثيرة، ولكن حسب إطلاعي على الدراسات السابقة لم اجد حسب اطلاعي كتابا، أو رسالة مستقلة في موضوعي. فشعرت بأن هناك مجال والحاجة لكتابة في هذا الموضوع. وستكون المحاولة مني بعون الله عز وجل، لأخذ الدروس والعبر والدلالات الدعوية للاستفادة منها في حياة الداعية والدعوة إلى الله.

منهجي في هذه البحث:

١- اخترت من القرآن سورتين اللاتي وجدت فيهما الآيات الكونية أكثر من الأخريات.

٢- ثم صنفت الآيات حسب الموضوعات المستنبطة منها.

٣- استخرجت الدروس المستفادة منها في مجال الدعوة إلى الله.

٤- ألتزمت بحمد الله بتخريج الأحاديث والآثار والأقوال من مصادرها الأصلية.

٥- ألتزمت بذكر الحقائق العلمية بالدقة من مصادرها الأصلية.

٦- قمت بتوفيق الله عز وجل بجمع كل المصطلحات ذات العلاقة بالموضوع كي تتضح الصورة أكثر وتتجلى كل جوانب الموضوع.

٧- ألتزمت بذكر المواقع الالكترونية المعتمدة المستخدمة خلال البحث.

المنهج في بحثي هو الاستنتاجي.

المُقَدِّمَة

خطة البحث

وخطتي في هذا البحث ستكون تشمل:مقدمة,تمهيد,ثلاثة فصول,الخاتمة و الفهارس على النحو التالي:

المقدمة:

وتشتمل:

- **تعريف الموضوع**
- **أسباب اختيار الموضوع**
- **المشكلة التي يعالجها البحث**
- **الدراسات السابقة**
- **منهجي في هذه البحث**

التمهيد:

يشتمل على التعريف بمصطلحات البحث:

- **تعريف الدعوة**
- **تعريف الآية**
- **تعريف الكون**
- **تعريف الحقيقة العلمية والنظرية العلمية**

الفصل الأول: آيات الله الكونية وصلتها بالداعي إلى الله

المبحث الأول: الدلائل المستفادة لإعداد الداعية من خلال آيات الله الكونية.

المطلب الأول: التدبر والتفكر في حياة الداعية

المطلب الثاني: أهمية العلوم الكونية في حياة الداعية

المطلب الثالث: اهتمام الداعية بعبادة الله عز وجل

المبحث الثاني: وظائف الداعية المستفادة من آيات الله الكونية

المطلب الأول: التخطيط في حياة الداعية

المطلب الثاني: الجمال في حياة الداعية

الفصل الثاني: موضوع الدلالات في آيات الله الكونية

المبحث الأول: الدلالات العقدية في آيات الله الكونية

المطلب الأول: الآيات الكونية في عرض دلالات وجود الله وتوحيده

المطلب الثاني: الآيات الكونية في عرض دلالات الرسالة والنبوة

المطلب الثالث: الآيات الكونية في عرض دلالات القيامة والبعث

المبحث الثاني: الدلالات الخلقية المستفادة في سياق الآيات الكونية

المطلب الأول: الدعوة إلى شكر المنعم

المطلب الثاني: الدعوة إلى الأخوة

المطلب الثالث: الدعوة إلى إصلاح المجتمع

الفصل الثالث: الدلالات المستفادة من الآيات الكونية في أساليب الدعوة وخطاب المدعوي

المبحث الأول: أصناف المدعوين ذكرت في هاتين السورتين

المطلب الأول: المعارضون

المطلب الثاني: المسلمون

المبحث الثاني: أساليب الدعوة ونوعية الخطاب

المطلب الأول: أسلوب الحكمة

المطلب الثاني: أسلوب الموعظة الحسنة

المطلب الثالث: أسلوب الجدل بالحسنى

الخاتمة

الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات

التَّمهيد

(١) الدعوة لغة:

أصل الكلمة الفعل الثلاثي (دعو) ومنه (دعا، يدعو، دعوة) والدعوة مصدر للفعل الثلاثي، والدعوة المرة الواحدة من الدعاء. [١] ولها عدة معانٍ ومنها الحلف، والدعاء، والسؤال، والاستغاثة، والأذان، والطلب، والنداء، والاستمالة، والترغيب، والتجمع.

الحلف الدعاء[٢]: ومنه قوله تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾. [٣]

وقد تكون الدعوة بمعنى الاستغاثة[٤]، مثل: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ .[٥]

وقد تكون بمعنى الأذان[٦]. فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين يسمع النداء: "اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة آتِ محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته حلّت له شفاعتي يوم القيامة." [٧]

وقد تكون بمعنى الطلب. يقال دعا بالشي – دعواً ودعوةً، ودعاءَ ودعوى: طلب إحضاره. يقال دعا بالكتاب دعا إلى الشيء: حثه على قصده. يقال دعاه إلى القتال، ودعاه إلى الصلاة ودعاه إلى الدين، وإلى المذهب: حثه على اعتقاده وساقه إليه.[٨] ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ

---

(١) لسان العرب للإمام ابن منظور، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت. ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٢) تهذيب اللغة،لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، بإشراف: محمد عوض، ٧٨/٣ (مادة – دعا) طبعة جديدة، داراحياء التراث العربي، بيروت – لبنان. د. ت.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٣٣.

(٤) تهذيب اللغة، المجلد الثالث، ص ٧٦ (مادة – دعا).

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٥٦.

(٦) لسان العرب المجلد ١٤ (مادة – دعا) ص ٣٢٢.

(٧) أخرجه البخاري في كتاب: الأذان؛ باب الدعاء عند الأذان مجلد ٢، ص ٩٤، رقم الحديث ٦١٤، وفي كتاب التفسير، باب (عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) ٧٩، الإسراء ٣٩٩/٨، رقم ٤٧١٩.

(٨) المعجم الوسيط. د. إبراهيم أنيس، د. عبدالحليم منقر، عطية الصوالحي، إعداد مجمع اللغة العربية، ٢٩٦/١، (مادة دعا)، ط١،جمهورية مصر العربية، ١٤٣٦هـ - ٢٠٠٥م.

أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾[١].

وقيل الدعوة: الحث على اتباع نحلة أو مذهب أو نحو ذلك.[٢]

وقد تكون بمعنى النداء. قيل: دعا الميت. ندبه كأنه ناداه.[٣]

وقد تكون بمعنى الترغيب كقوله تعالى: ﴿يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾[٤] أي يرغب في الجنة.

واسم فاعل منها داع. ومنه قوله تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾[٥].

والجمع دعاة. والنبي داعي الله تعالى[٦]. وجاء في تهذيب اللغة المؤذن داعي الله والنبي داعي الأمة إلى توحيد الله وطاعته.[٧]

والدعاية مرادفه للدعوة: "وجاء في كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل: أدعوك بدعاية الإسلام أي بدعوته وهي كلمة الشهادة يدعى إليها أهل الملل الكافرة.

جاء في مقاييس اللغة الدعوة: "أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك."[٨]

ولفظ الدعوة يستعمل في الخير والشر كما في قوله تعالى عن المشركين.[٩]

﴿أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾[١٠].

ومنه حديث النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال لعمار بن ياسر رضي الله عنهما: "ويح عمار تقتله الفئة الباغية، عمار يدعوهم إلى الله، ويدعونه إلى النار."[١١]

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٣٣.

(٢) المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، ص ٣٩٩٠. (مادة – دعا).

(٣) لسان العرب، المجلد ١٤، ص ٣٢٢.

(٤) سورة يونس، الآية: ٢٥.

(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٤٦.

(٦) لسان العرب، المجلد ١٤، ص ٣٢١.

(٧) تهذيب اللغة، ص ٧٧.

(٨) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس تحقيق عبدالسلام محمد هارون ٢٦٩/٢. دار إحياء الكتب العربية القاهرة ١٣٦٦هـ.

(٩) أساليب الدعوة المعاصر، د. محمد ناصر عبد الرحمن العمار، ص ١٩،ط ٢، دار شبليا القاهرة ١٩٩٧م.

(١٠) سورة البقرة، الآية: ٢٢١.

(١١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب مسح الغبار عن الرأس في سبيل الله ٣٠/٦ رقم ٢٨١٢.

الدعوة اصطلاحاً:

وتعددت تعريفات الدعوة لدى أصحاب الدعوة لأن كل واحد منهم يحدد معنى الدعوة من وجهة نظره. وكلمة الدعوة: تطلق على الإسلام، والرسالة، وعلى عملية النشر والبلاغ، والبيان للناس. وسياق الكلام يحدد المعنى المراد من الدعوة فمثلاً: "إذا قيل: هذا من رجال الدعوة إلى الله" كان معنى الدعوة هنا: محاولات النشر والتبليغ، وإن قيل: اتبعوا دعوة الله، كان المراد بها: الإسلام". (١)

ومن هنا تغاير تعريف الدعوة بالمعنى الأول المعنى الثاني. ولهذا لابد أن نذكر تعريف الدعوة بكلا المعنيين من خلال ما ذكره العلماء قديماً وحديثاً.

أولاً: الدعوة بمعنى الدين:

يرى محمد الراوي أن الدعوة إلى الله: "دين الله بعث به الأنبياء جميعاً، على يد محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين. كاملاً وافياً لصلاح الدين والآخرة." (٢)

يقول د. عبد الحليم محمود:

"أنها المنهاج الصحيح للحياة البشرية المنهاج الوحيد الصحيح المرضى عند الله في هذه الحياة الدنيا الكافل للحياة البشرية جمعاء المحيط بها في كل عصر وفي كل زمن." (٣)

وذكر محمد الغزالي في تعريف الدعوة أهدفها وغاياتها، فعرفها: "أنها برنامج كامل يضم جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس ليبصروا الغاية من محياهم، وليستكشفوا معالم الطريق التي تجمعهم راشدين." (٤)

---

(١) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، أحمد أحمد غلوش، ص ١٠.

(٢) الدعوة الإسلامية، دعوة عالمية. محمد الراوي. ص ٣٩، مكتبة الرشد، الرياض ١٤١١هـ-١٩٩١م.

(٣) الدعوة الإسلامية، دعوة عالمية. د. علي عبد الحليم محمود. ص ١٦.

(٤) مع الله، الأستاذ محمد الغزالي، ص ١٧، دار الكتب الحديث بمصر.

ثانياً: بمعنى النشر والبلاغ:

فهناك من نظر إلى الدعوة على أنها النشر والبلاغ فمنهم محمد نمر الخطيب فهو يرى أن الدعوة إلى الله: الحث على فعل الخير، واجتناب الشر، والأمر بالمعروف النهي عن المنكر. والتحبيب بالفضيلة والتنفير من الرذيلة، واتباع الحق ونبذ الباطل. (١)

وعرفها البيهي الخولي:

إن الدعوة إلى الله: نقل أمة من محيط إلى محيط. (٢)

وعرفها علي محفوظ:

إن الدعوة إلى الله: حث الناس على الخير والهدى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل. (٣)

يقول آدم عبد الله الألوري:

إن الدعوة إلى الله، صرف أنظار الناس وعقولهم إلى فكرة أو عقيدة وحثهم عليها. (٤)

ويعرفها أحمد غلوش:

إن الدعوة إلى الله: العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنية المتعددة إلى تبليغ الناس بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق. (٥)

ويعرف محمد سيدي بن الحبيب:

إن الدعوة إلى الله: قيام من له أهلية بدعوة الناس جميعاً في كل زمان ومكان لاقتضاء أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم والتأسي به قولاً وعملاً وسلوكاً. (٦)

---

(١) مرشد الدعاة، محمد نمر الخطيب، ص ٢٤، ط١، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

(٢) تذكرة الدعوة، البيهي الخولي، ص ٣٥، دار العلم دمشق ١٣٩٥هـ - ١٩٧٧م.

(٣) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ، والخطابة، علي محفوظ، ص ١٧، ط ٤، دار الاعتصام.

(٤) تاريخ الدعوة الإسلامية من الأمس إلى اليوم، آدم عبد الله الأحوري، ص ١٧.

(٥) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، د. أحمد أحمد غلوش، ص ١٠.

(٦) الدعوة إلى اللهفي سورة إبراهيم الخليل، محمد بن سعيدي بن الحبيب، ص ٣٧، ط ١ دار العرفان جدة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.

وجاء في كتاب المدخل إلى علم الدعوة: إن الدعوة إلى الله:" تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم وتطبيقه في واقع الحياة." (١)

وكل هذه التعريفات ليست متعارضة ولا يوجد فيها اختلاف تضاد بل اختلاف تنوع فقد ركّز كل واحد على جانب من جوانب الدعوة، ولكن هناك التعريف المختار الجامع والمانع وهو تعريف محمد أبو الفتح البيانوني حيث قال: (إن الدعوة الله: تبليغ الإسلام للناس وتعليمه إياهم وتطبيقه في واقع الحياة). فذكر فيه مراحل الدعوة الثلاث في هذه التعريف الموجز.

(٢) تعريف الكون:

الكون لغة:

قال صاحب المعجم الوسيط: أن الكون: الوجود المطلق العام واسم لما يحدث دفعة كحدوث النور عقب الظلام مباشرة فإذا كان الحدث على التدريج فهو الحركة،لحصول الصورة في المادة بعد أن لم تكن حاصلة فيها كتحوُّل الطين إلى إبريق، واستحالة جوهر المادة إلى ما هو أشرف منه، ويقابله الفساد وهو استحالة جوهر إلى ما هو دونه والكونان الدنيا والآخرة. (٢)

وجاء في لسان العرب أن كون من مادة (ك — و — ن)

كون: الكَوْنُ الحَدَثُ وقد كان كَوْناً وكَيْنُونة.

والكائنة الحادثة، وحكى سيبوية أَنا أَعْرِفُكَ مُذْ كنت، أَي: مذ خُلِقْتَ والمعنيان متقاربان. ابن الأَعرابي التَّكَوُّنُ التَّحَرُّك تقول العرب لمن تَشْنَؤُه لا كانَ ولا تَكَوَّنَ، لا كان: لا خُلِقَ ولا تَكَوَّن: لا تَحَرَّك أَي مات. والكائنة الأَمر الحادث، وكَوَّنَه فتَكَوَّن أَحدَثَه فحدث.

وكَوَّنَ الشيءَ أَحدثه والله مُكَوِّنُ الأَشياء يخرجها من العدم إلى الوجود. (٣)

---

(١) المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد أبو الفتح البيانوني، ص ١٧، ط٤، إدارة الشئون الإسلامية، قطر ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(٢) المعجم الوسيط، د. إبراهيم أنيس. د. عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد، ج ١-٢، ص٨٠٦.

(٣) لسان العرب للإمام العلامة جمال الدين أبي الفضل أحمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري، ٤/٤٤٧، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

الكون اصطلاحاً:

عرفها كارل ساغان في تأليفه "الكون" أن الكون "هو كل ما هو موجود، وما وجد، وما سيوجد." (١)

وعرفها الجرجاني في كتابه "كتاب التعريفات":

"الكون اسم لما حدث دفعة، كانقلاب الماء هواء، فإن الصورة الهوائية كانت ماء بالقوة، فخرجت منها إلى الفعل دفعة، فإذا كان على التدريج فهو الحركة. وقيل الكون حصول الصورة في المادة بعد أن لم تكن حاصلة منها. وعند أهل التحقيق: الكون: عبارة عن وجود العالم من حيث هو عالم ومن حيث إنه حق. وإن كان مرادفا للوجود المطلق العام عند أهل النظر وهو بمعنى المكوّن عندنا." (٢)

وعلماء الفلكيات تحدوا لفظة الكون في النظام الشامل للأجرام السماوية المدرك منها حسياً وغير المدرك بأشكالها وأحجامها وكتلها، وصفاتها وحركاتها، وقوى الترابط بينها، وتركيبها الكيميائي والفزيائية، ويفيات نشأتها والمصير الذي ينتظرها إلى غير ذلك.

وأما علماء المسلمين فيرون أن الكون يشمل كل خلق الله مما "يقع عليه اسم الشيء، من أجناس لا يحصرها العدد ولا يحيط بها الوصف." (٣)

وهذا يعني أنه يحيط كل شيء من أحياء وجمادات وعوالم روحية، المرئية وغير المرئية، الحسية وغير الحسية وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله، "وهذه القوى المختلفة ليست منفصلة عن بعضها إذ أنها أجزاء"(٤)تؤلف وحدة مكاملة مترابطة"(٥) فالكون واحد ولكن تعدد أبعاده ويزيد في خلقه

---

(١) الكون: د. كار ساغان. مترجم. نافع أيوب لبس، مراجعة محمد كامل عارف، ص ٣١. سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

(٢) كتاب التعريفات للجرجاني، حققه إبراهيم الاسبياري، ص ٢٣١، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

(٣) الإمام محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون التأويل في وجوه، ج٢، ط١٠، القاهرة.

(٤) فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، د. علي خليل مصطفى أبو العينين إشراف وتقديم د. إبراهيم عصمت مطاوع. ود. عبدالغني عبور، ص ٨٤، ط٢، دار الفكر العربي ١٩٨٥م.

(٥) في رحاب الكون. د. عبد الحليم محمود. ص ١٨، دار السلام القاهرة. ١٩٧١م. وفلسفة التربية الإسلامية في القرآن. د. علي خليل مصطفى، ص ٨٤.

وجديده كما قال تعالى: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾[١] ﴿يَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢].

والقرآن الكريم يقسم الوجود إلى نوعين: (١) عالم المشهود (٢) وعالم الغيب. وعالم الشهادة، "وهو ذلك العالم المحسوس، أو الكون المشهود، أو هذه الطبيعة، أو ملكوت السموات والأرض وأداة معرفته الإجمالية والتفصيلية العقل. وطريقة معرفته التجربة، وأدته الحواس. [٣]

وطريقة معرفة عالم الغيب هو الوحي.

(٣) تعريف الآية:

الآية في اللغة "العلامة والشخص وزنها فَعْلَةٌ بالفتح أو فَعَلة محرَّكة أو فاعلة، آيات وآي، آياء، والعبرة، آي والإمارة و من القرآن كلام متصل إلى انقطاعه. [٤]

ويعرف صاحب إصلاح الوجوه والنظائر الآية على ستة أوجه[٥]:

الآية من مادة أ — ي — ي.

١) **العلامات**: أي القرآن، المعجزات، العبرة، الكتاب، الأمر والنهي فوجد منها الآيات العلامات: كقوله تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ...﴾[٦] ومنها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ...﴾[٧] نظيرة نظيرة من سورة الرعد ونحوه ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾[٨] يعني علامة، وقوله عز وجل ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾[٩] يعني طلوع الشمس من مغربها.

---

(١) سورة فاطر، الآية: ١.

(٢) سورة النحل، الآية: ٨.

(٣) محاضرات في الثقافة الإسلامية، أحمد محمد جمال، ص ٧١، ط ٣، دار الشعب ١٩٧٥م.
وفلسفة التربية الإسلامية في القرآن. د. علي خليل مصطفى ٨٥.

(٤) القاموس المحيط للشيخ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، المجلد ٤، ص ٣٠١، ٣٠٢، دار الفكر بيروت ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م.

(٥) قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم. الحسين بن محمد الدامغاني، حققه ورتبه عبد العزيز سيد الأهل، ص ٦٠، ٦١، ط ٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٧م.

(٦) سورة الروم، الآية: ٢٠.

(٧) سورة النحل، الآية: ٧٩.

(٨) سورة الشعراء، الآية: ١٢٨.

(٩) سورة الأنعام، الآية: ١٥٨.

٢) آيات يعني القرآن:

قوله ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾[١] ونظيرها قوله تعالى ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾[٢].

٣) الآيات يعني المعجزات:

قوله تعالى ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ﴾[٣]

وجاء في معجم ألفاظ العقيدة أن آية هي علامة دالة على شيء، والمراد بها ما يجريه الله على أيدي رسله وأنبيائه من أمور خارقة السنة الكونية المعتادة التي لا قدرة للبشر على الإتيان بمثلها كتحويل العصا إلى أفعى تتحرك في قصة موسى – عليه السلام – فتكون هذه الآية خارقة للسنة الكونية المعتادة دليلاً غير قابل للنقض والإبطال يدل على صدقهم في ما جاءوا به.[٤]

٤) آية بمعنى عبرة للناس:

﴿قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾[٥]

٥) الكتاب:

﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٦]

٦) الآية تعني الأمر والنهي:

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ﴾[٧] يعني أمره ونهيه.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٠١.

(٣) سورة القصص، الآية: ٣٦.

(٤) معجم ألفاظ العقيدة، أبي عبد الله عالم عبد الله فاتح، تقديم: عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين. ص ٥٦، ط ٢، مكتبة العبيكان الرياض ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

(٥) سورة مريم، الآية: ٢١.

(٦) سورة الجاثية، الآية: ٨.

(٧) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

فالآية لها عدة معانٍ لخصت في معجم ألفاظ القرآن الكريم على أنها علامة ومعجزة وعبرة.[١]

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾[٢]

﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾[٣]

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾[٤]

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾[٥]

وأقصد في هذه الرسالة الآية بمعنى "العلامة"، مثل: الشمس، والليل، والنهار، والسماء، والأرض، والبحار، والجبال، والرياح، والسحاب كلها آيات للموقنين. وفي خلقها دلائل على توحيد الله سبحانه وتعالى وعبرة لأولي الأبصار.

كما قال الله تعالى:

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٦]

﴿يَعْقِلُونَ﴾[٦]

٤) النظرية العلمية والحقيقة العلمية:

قبل أن نعرف النظرية العلمية لابد أن ننظر إلى معنى النظر والعلم من الناحية اللغوية كل على حدة.

النظر لغةً:

النظر حس العين، نظر بنظره نظراً وننظراً ومنظرة ونظراً إليه. وتقول نظرت إلى كذا وكذا من

---

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم، طبعة منحة، ج ١ ص ١١١، جمهورية مصر العربية مجمع اللغة العربية الإدارة العامة للمجلات وإحياء التراث.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١١٨.

(٣) سورة النازعات، الآية: ٢٠.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ١٢.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٤١.

(٦) سورة النحل، الآية: ١٢.

نظر العين ونظر القلب الجوهري: النظر تأمل الشيء بالعين. [١]

العلم لغةً:

العلم نقص الجهل[٢] إدراك الشيء بحقيقته على اليقين، المعرفة. وقيل العلم يقال لإدراك الكلي والمركب، والمعرفة تقال لإدراك الجزى أو البسيط، من هنا يقال: عرفت الله دون علمه ويطلق العلم على مجموع مسائل وأصول كلية تجمعها جهةً واحدةً كعلم الكلام وعلم النحو... [٣]

تعريف العلم:

تتعدد تعاريفه في المصادر والمعاجم، فإذا انحصر التعريف في العلم التجريبي وهذا هو الشائع في المعاجم الغربية. جاءت التعاريف مثل:

"العلم هو المعرفة المنسقة التي تنشأ عن الملاحظة، والدراسة، والتجريب، والتي تتم بغرض تحديد طبيعة أو أسس وأصول ما تتم دراسته." [٤]

وقيل: (العلم: فرع من فروع المعرفة أو الدراسة، خصوصاً ذلك الفرع المتعلق بتنسيق وترسيخ المبادئ والمناج بواسطة التجارب والفروض." [٥]

وتعريف العلم عامة:

"العلم هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع." [٦]

وقيل: "العلم هو إدراك الأشياء على حقيقتها، أو صفة ينكشف بها المطلوب انكشافاً تاماً."[٧]

---

(١) لسان العرب للإمام ابن منظور، ص ١٩١، المجلد ١٤، ط١، إحياء التراث العربي، بيروت. ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٢) نفس المرجع، ص ٣٧١، المجلد ٩.

(٣) المعجم الوسيط د. إبراهيم أنس، د. عبد الحليم منتصر عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد، ج ١-٢.

(٤) .Webster's new twentieth century dictionary of English language, P. 1622, 1960
نقلاً عن أصول الحديث العلمي ومناهجه للدكتور محمد بدر، ص ١٦ ط ٢، ، الكويت ١٩٧٥م.

(٥) المرجع السابق، ص ١٦.

(٦) الشريف الجرجاني: التعريفات مادة (علم) مكتبة لبنان. طبعة جديدة ١٩٨٥م.

(٧) الراغب الاصفهاني: مفردات غريب القرآن، مادة (علم) ص ١٨٩، مطبعة الحلبي.

تعريف النظرية:

اعلم أن الكيميائيين والفيزيائيين والبيولوجيين ونحوهم يقسمون العلم إلى الحقائق العلمية (لاشك فيها) وإلى النظريات.

والنظرية عندهم مجموعة القوانين، والقوانين مجموعة فرضيات والفرضية شيء غير أكيد.

وجاء في قاموس بينعوين للعلوم أن الفرضية: (هي اقتراح ووضع مسبق لحقائق مشاهدة...).[١]

وهنا لفظ "اقتراح" يعني ليس على الحقيقة بل اقتراح فقط.

يقول ستيفين هوكنز في كتابه المسمى "تاريخ مختصر للوقت" بما معناه: "... النظرية هي نموذج عن العالم أو عن جزء فيه محدد ومجموعة قواعد تربط كميات في هذا النموذج إلى الملاحظات التي نعملها وهي أي النظرية توجد في مخيلتنا ولا حقيقة ولا حقيقة أخرى لها مهما يعني ذلك. [٢]

ويعرف ستيفين هوكنز أستاذ الرياضيات في جامع "كمبرج" الذي يعتبر ألمع فيزيائي جاء بعد أشناين في كتابه المسمى "الثقوب السوداء والأكوان المولودة ومقالات أخرى" في ص ٣٦:

"إن النظريات أنيقة وجميلة رفضت لأنها لم تتوافق مع الملاحظات العلمية إلا أنني لا أعرف نظرية واحدة مشهورة تطورت على أساس من التجارب العلمية." [٣]

فإنها تدل في مجال العلم على نموذج من الأفكار يحكمه منطق صارم، ويستعمل لوصف مجموعة من الظواهر الطبيعية أو الاجتماعية وتفسيرها وتوقع تطوراتها، وشكل النظرية العلمية بواسطة منهج علمي رصين، وتفرض نفسها باعتبارها بناء فكرياً مفاهيمياً يدعمه المعطى التجربي، إن النظرية بهذا المعنى هي: الصياغة الشكلية المنطقية لنتائج الملاحظات التي يتم تسجيلها في السابق، والتي يمكن التحقيق منها عن طريق التجريب، ومن ثمة استعمالها لتفسير الظواهر واستباق تطوراتها المستقبلية.

---

(١) قاموس بيتغون للعلوم أليف –اي– بي هاناردف، د. رشمايمان، ط ٥.

نقلاً رسالة البحث العلمي في النظرية، لسعيد كوما. http/wikipedia.org.syed-gommahيناير ٢٠١٠م.

(٢) المرجع السابق.

(٣) مقالة: نظرية علمية منتديات المنشد حمزة الحلبية والشيخ أحمد الحلبية. ١ اكتوبر ٢٠١٠م.

وقيل أن النظرية هي: بناء محكم أو منظومة تصف الظواهر الطبيعية والاجتماعية تكون مستندة إلى الدليل والشاهد من خلال التجربة. (١)

يقول محمد طاهر أن النظرية : "هي مجموعة من المتواضعات أو المسلمات التي ابتكرها صاحب النظرية وافترض أن لها مقابل نظري في الواقع." (٢)

فدور النظرية يساعد على فهم الوقائع، والعلاقات المرتبطة بالواقع عند وجود مجموعة القوانين العلمية أو ما يسمى بالمبادئ.

الحقيقة العلمية:

الحقيقة العلمية معلومة غير محل جدال. (٣)

أي الشيء الثابت الذي لا يقبل التغيير، ولا ترفض بنظرية أو حقيقة أخرى. فالحقيقة العلمية هي الدلائل والبراهين التي لا شك فيها.

---

(١) تعريف النظرية العلمية: http/wikipedia.org.www.answers.com/hypothesis مارس ٢٠١٠م.

(٢) نقد المذهب التحريبي / محمد محمد طاهر آل شبير، ص ٤٩٦، ط ٢، منشورات دار مكتبة الهلال، بيروت ١٩٨٧م.

(٣) تعريف الحقيقة العلمية: http/wikipedia.org.www.answers.com/hypothesis مارس ٢٠١٠م

الفصل الأول

آيات الله الكونية وصلتها بالداعي إلى الله

ويشتمل هذا الفصل على المبحثين:

المبحث الأول: إعداد الداعية المستفادة من خلال آيات الله الكونية.

ويشتمل هذا المبحث على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التدبر والتفكر في حياة الداعية

المطلب الثاني: أهمية العلوم الكونية في حياة الداعية

المطلب الثالث: اهتمام الداعية بعبادة الله عز وجل

المبحث الثاني: وظائف الداعية المستفادة من آيات الله الكونية

ويشتمل هذا المبحث على مطلبين:

المطلب الأول: التخطيط في حياة الداعية

المطلب الثاني: الجمال في حياة الداعية

= ١

آيات الله الكونية وصلتها بالداعي إلى الله

وضع الله سبحانه وتعالى هدفين أساسين من خلال السماوات والأرض وما فيهما من الموجودات، بالنسبة للإنسان هما:

(١) أن فيه مصالح وفوائد للإنسان

(٢) أنه فيه آيات وعبر لأولي الألباب

يشترك في الهدف الأول جميع الناس بدون أي تخصيص – فالكون كله يخلق لخدمة الإنسان، ولكي يستطيع الإنسان أن يقوم بأعماله، سخر الله له ما في السموات وما في الأرض جميعاً، وسهل له العيش فيه، ولولا تعاون هذا الكون مع الإنسان لما كان الإنسان يحيى فيه، ولو بقي حياً لما كان يستطيع أن يفعل ما يريد من أعماله. فخلق الكون وتسخيره للإنسان كي يجعل للإنسان القدرة على قيام بأعماله من الخير والشر إلى أجل مسمى.

أما الهدف الثاني فهو خاص بأصحاب العقول والبصيرة من الناس. هم الذين لا يمرون بآيات الله الكونية إعتباطاً بل يتأملون، ويتفكرون، وينظرون بنظرة عميقة ويأخذون العبرة والعظة لأعمالهم وحياتهم كما قال الله تعالى:

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1]

والداعي إلى الله تعالى هو صاحب العبرة والبصيرة، وهو دقيق في فهم الأشياء لأن مسئوليته قيادة الناس من الظلمات إلى النور، وهذه المسئولية تحتاج إلى إعداد شامل ونظر عميق في كون الله وآياته.

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢.

المبحث الأول

الدلائل المستفادة لإعداد الداعية من خلال آيات الله الكونية

لو تأملنا آيات الله الكونية لوجدناها على نوعين:

١- نوع يوضح المنهج الإلهي والسنن الحكيمة في إيجاد الخلق، وإنشاء الحوادث.

٢- ونوع يتحدث عن المخلوقات ويصف نظام إيجاد الحكيم لأحوالها وفقاً لأحكام سننه وتنفيذاً لإرادته ومشعيته، ويصف ما فيها من رحمات ونعم للعباد. (١)

وصلة الداعي بهذا الكون ومخلوقاته وسننه وأحواله صلة وثيقة وعميقة جداً. فصلتها كصلة الكتاب بقارئه ... كصلة الداعي بمدعوه، ... كصلة المعلم بمتعلمه.

فالكون كتاب مفتوح والداعي إلى الله هو القارئ لهذا الكون الهائل. كلما دقق الداعي في هذا الكتاب كلما أطلع على المعارف العجيبة، وتفتحت عليه أبواب الحقائق عبر عقله وعيناه فيقدر على جواب أسئلة مجهولة في أذهان الناس.

إن صلة آيات الله في هذا الكون وسننه بالداعية كصلة المعلم بالمتعلم ، فالكون (المعلم) علّم الداعي حقائق الأشياء بالبراهين والأدلة العقلية وحثه على البحث، والتفكر في الآيات الموجودة في الكون، ليستنبط الدروس منها، وهذا المعلم يحيط بعلوم كثيرة في وقت واحد فيأخذها المتعلم. فكلما خاض في هذه العلوم استعد بنفسه لأداء مهمته في مجال إرشاد أصحابه إلى الحق والدعوة إليه.

فالكون بما فيه من آيات ومظاهر يدعو إلى صانعه، ومدبره وخالقه، فيدعو إلى الحق، بمظاهر شتى وأساليب متعددة، فتارة يدعو إلى خالقه بالرحمة والابتلاء بأسلوب نزول الماء على المدعوين، وتارة يغضب عليهم ويدعو إلى القهار والجبار بالسيول والفياضانات.

وصلة هذا الداعي بالمدعوين صلة المحبة، والابتلاء وصلة التعاون، والرحمة وصلة المعرفة بذات الله سبحانه وتعالى.

---

(١) التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن، حنفي أحمد، ص ٣٥، دار المعارف.

المطلب الأول

التفكر في حياة الداعية

- التفكر لغة واصطلاحاً
- دعوة التفكر في القرآن خلال آيات الله الكونية
- التفكر في الآيات الكونية وصلتها بالداعية
- أثر التفكر في حياة الداعية

المطلب الأول

التفكر في حياة الداعية

التفكر لغة:

الفكر، بالكسر ويُفتح: إعمال النظر في الشيء، كالفكرة، والفكري بكسرهما. أفكار، فكَّر فيه أفكر وتفكر، وهو فكِّيرٌ، كسكت وفيكر كصيقل، كثير الفكر. ومالي فيه فكر.[١]

قال أبو منصور في تهذيب اللغة أن فكر: قال الليث: التفكر: اسم للتفكير، ويقولون: رجل فكير، كثير الإقبال على التفكر والفكرة، وكل ذلك معناه واحد. ومن العرب من يقول: الفكر للفكرة، والفكري على فعلى: اسم وهي قليلة.[٢]

وجاء في لسان العرب كلمة الفكر: الفَكْرُ والفِكْرُ إعمال الخاطر في الشيء، قال سيبويه: ولا يجمع الفِكْرُ ولا العِلْمُ ولا النظر. قال الجوهري: التَّفَكُّرْ التأمل والاسم الفِكْرُ والمصدر الفَكْر بالفتح.[٣]

عرفه الجرجاني: التفكر تصرف القلب في معاني الأشياء لدرك المطلب.[٤]

التفكر اصطلاحاً:

تناول كلمة الفكر واصطلاح التفكر علماء عديدون، قالوا: إن الفكر، اسم لعملية تردد القوى العاقلة المفكرة في الإنسان، سواء أكان قلباً أو روحاً أو ذهناً بالنظر والتدبر، لطلب المعاني

---

(١) القاموس المحيط لفيروز آبادي، ص ٦٠٣٨، ج ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

(٢) تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد اللحوي، ص ١١٦، دار إحياء التراث العربي، ج ١٠، ط، بيروت، ١٤١٦هـ - ٢٠٠١م.

(٣) لسان العرب لابن منظور، ج ٥، ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

(٤) التعريفات لسيد شريف الجرجاني، ص ٤٣، مطبعة أحمد كامل. ١٣٢٧هـ.

المجهولة من الأمور المعلومة، أو الوصول إلى الأحكام أو النسب بين الأشياء." (١)

وعرفه سميح عاطف الزين في كتابه الإسلام وثقافة الإنسان أن:

"الفكر أو الإدراك أو العقل هو: نقل الواقع عن طريق الحواس إلى الدماغ، مقترناً بمعلومات سابقة تعين على تفسير هذا الواقع." (٢)

ووضح مفهوم التفكر بـ"أن التفكر هو دراسة الأشياء وتحليلها، ومن ثم ربطها بالحقائق الموضوعية بما يتناسب والعقل والمنطق الصحيحين، وبالتالي يتوافق مع العلوم الصحيحة على اختلافها." (٣)

وعرفه الدكتور ماجد عرسان بأن التفكير: "عملية تعرف وبحث في الأشياء وتنقيب في مكونات الحياة الجارية، بغية الوقوف على القوانين التي أحدثتها، والاستفادة منها في التطبيقات والمواقف المختلفة." (٤)

وقال محمد فتح الله كولن في كتابه "التلال الزمردية" أن التفكر في أي موضوع من المواضيع يعني إعمال الفكر إعمالاً واسعاً وعميقاً ومنظماً." (٥)

ويقول الإمام الغزالي بأن الفكر: "هو إحضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة. ثالثة." (٦)

---

(١) الأزمة الفكرية المعاصرة، د. طه علواني، ص ١٥٠، ط ١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

(٢) الإسلام وثقافة الإنسان، لسميع عاطف الزين، ص ١٥، ط٧، دارالكتب اللبانين، بيروت - لبنان ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

(٣) مقالة: التفكر في الكون وأثر معنى ترسيخ الإيمان آيات الأنفس والآفاق مادة التربية الإسلامية.

www.achamd.info/lyceers/cours.php?id-861.

(٤) مقومات الشخصية المسلمة أو الإنسان الصالح لدكتور ماجد عرسان الكيلاني، ص ٩٠، ط١، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر. شوال ١٤١١هـ.

(٥) التلال والزمردية نحو حياة القلب والروح محمد فتح الله كولن، المترجم، إحسان قاسم الصالحي، ص ٤٠، ط٢، دارالنيل، تركيا. ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

(٦) مفتاح دار السعادة، ابن قيم الجوزية، ص ١٨١، ج ١، دار الفكر.

ويقصد بالمعرفة أن يعرف أن الأبقى أولى بالإشارة، ثم يعرف أن الآخرة أبقى. فيحصل له من هاتين المعرفتين معرفة ثالثة وهو أن الآخرة أولى بالإشارة، فإحضار المعرفتين السابقتين في القلب للتوصل به إلى المعرفة الثالثة يسمى تفكراً واعتباراً وتذكراً ونظراً وتأملاً وتدبراً." (١)

والتفكر في الكون: هو النظر والتأمل في الكون والتعرف على خصائص الأشياء الجمالية، والقوانين الجارية فيها ثم تنظم هذه المعارف العقلية. فتنقل بها إلى حقائق الأشياء وموجدها ومدبرها.

كلمة الفكر في القرآن:

في القرآن الكريم لم ترد مادة فكر (ف – ك – ر) بصيغة الاسم أو المصدر ولا نجدها معرفة بأل ولا منكرة، وقد وردت في القرآن الكريم في عشرين موضعاً بصيغة الماضي – وبصيغة المضارع. (إنه فكّر وقدّر)، (لعلهم يتفكرون)، (أفلا يتفكرون). والفعل في اللغة العربية تعريفه بأنه ما دلّ على حدث وذات، فحينما نقول فكر أو يفكر فهي كلمة تدل على حدث هو الفكر، وتدل على الذات الفاعلة لهذه الحدث التي نسميها بالمفكر.

يقول طه جابر العلواني: "أن حينما تستخدم في القرآن الكريم بهذه الطريقة فكأن الله سبحانه وتعالى يريد أن ينبهنا إلى أن هذا العمل الذهني الذي يسمى بالفكر إنما هو عمل مرتبط بذات، فلا يمكن أن يتجرد الفكر عن المفكر، فكلما فكر وجد مفكر، وأن الفكر لا ينبغي أن يكون شيئاً فيما لا طائل تحته وفيما لا عمل أو حركة في هذا الكون تبني عليه." (٢)

ولا" عجب إن رأينا القرآن الكريم يوجه خطابه للذين يعقلون في أكثر من خمسين موضوعاً، وللذين يعلمون أو لا يعلمون في أكثر من مئة موضع، ويتحدث إلى الذين يتفكرون في أكثر من

---

(١) إحياء علوم الدين محمد الغزالي، ص ٤٢٥، ج ٤، دار المعرفة، بيروت – لبنان.

(٢) الأزمة الفكرية المعاصرة ، د. جابر العلواني، ص ١٤، ط١، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، فيرجينيا، الولات المتحدة الأمريكية ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

٢٣٨٢٩ ٣٤٠

ثلاثين مقاماً." [١]

وإذا قرأنا سورتي النحل والروم فسنجد خطابه للذين يتفكرون خمس مرات، والذين يعقلون كذلك خمس مرات، والذين يتذكرون ثلاث مرات، والذين يسمعون أو لا يسمعون مرتين.

دعوة التفكر في القرآن خلال آيات الله الكونية:

إن القرآن الكريم يحث عقل الإنسان على التعرف على هذا الكون الواسع، واكتشاف قوانينه، وفهم سننه الكونية، ومعرفة خصائصه، لأن ذلك كله يرتبط برسالة الإنسان، ووظيفته في هذا الكون، والهدف من وجوده واستخلافه في هذا الأرض، وتنفيذ أوامر الله سبحانه وتعالى على سائر الكون.

والتفكر في القرآن نوعان:

يذكر ابن قيم الجوزية في مفتاح دار السعادة إن التفكر في القرآن نوعان: تفكر فيه ليقع على مراد الرب تعالى منه، وتفكر في معاني ما دعا عباده إلى التفكر فيه.

فالأول: تفكر في الدليل القرآني

والثاني: تفكر في الدليل العياني

الأول: تفكر في آياته المسموعة، والثاني: تفكر في آياته المشهودة، ولهذا أنزل الله القرآن ليتدبر ويتفكر فيه ... [٢]

ولهذا نجد كثيراً من الآيات التي تدل على التأمل والتدبر والتفكر في خلق الله تعالى، ومظاهره الكونية وسننه الكونية، والداعي المتأمل في آيات القرآن الكريم التي تهتم بالكون يلاحظ تنوع أسلوبها فأحياناً تلفت النظر إلى آثار قدرة الله تعالى، وأحياناً إلى تعدد نعم الله على الإنسان في هذا الكون

---

(١) الدين في حياتنا ، د. عون الشريف قاسم، ص ٣٢، دار القلم، بيروت.

(٢) مفتاح دار السعادة، ابن قيم الجوزية، ج١، ص ١٨٧، دار الفكر.

البديع حتى يتفكر بخالق هذا الكون، ويتعرف على صفات الخالق العظيم. كما قال تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(١)

والداعي الناظر في الآيات القرآنية، أن القرآن تارة يطلب من الإنسان أن يتفكر في الأنفس، والسموات والأرض وما بينهما حتى تبين له من خلال النظر والتدبر والتأمل في آيات الله الكونية أن الله هو الحق وكل شيء في هذا الكون يرجع إلى خالقه إلى يوم معلوم. فالله عز وجل يقول:

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾(٢)

قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: "يقول تعالى منبهًا على التفكر في مخلوقاته، الدالة على وجوده وانفراده بخلقها، وأنه لا إله غيره ولا رب سواه، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ يعني به: النظر والتدبر والتأمل لخلق الله الأشياء من العالم العلوي والسفلي، وما بينهما من المخلوقات المتنوعة، والأجناس المختلفة، فيعلموا أنها ما خلقت سُدًى ولا باطلا بل بالحق، وأنها مؤجلة إلى أجل مسمى..." (٣)

وكذلك يرى أن الله سبحانه وتعالى سخر للإنسان هذا الكون الفسيح وجعله آية لأصحاب العقول. كما قال سبحانه وتعالى:

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(٤)

---

(١) سورة النحل، الآية: ١١.

(٢) سورة الروم، الآية: ٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ص ٤٢، ج٣، دار عالم الكتب الرياض. ط٥، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

(٤) سورة النحل، الآية: ١٢.

بعد خطابه لأصحاب العقول وجهه إلى يوم يذكرون فقال:

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ (١)

"فهذا الكون العظيم مسخر للإنسان مذلل له، لكن هذا التسخير ليس على طريقة كن فيكون لكن بالتعرف على السنن والخواص والحقائق التي بينها الخالق الحكيم في كونه، ولن يتحصل له هذا إلابالنظر والبحث والتدبر." (٢)

وقد يجد الداعي المذكر في بعض الآيات كأن الله ينادي الناس أن افتحوا عيونكم وأيقظوا أفئدتكم وتأملوا فيما خلق الله مطيعون له. فقال الله عز وجل:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾(٣)

وقال الله سبحانه وتعالى:

﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(٤)

وهذا دليل للداعي أن الله عز وجل يرينا مظاهره الكونية ونواميسها ليس للرؤية فقط، بل يجعلها آية لأولى الألباب كما قال الله عز وجل:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(٥)

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٣.

(٢) الإسلام والنظر في آيات الله الكونية، السيد محمد عبد الله الشرقاوي ١/٢، ١٤٠٦هـ.

(٣) سورة النحل، الآية: ٤٨.

(٤) سورة النحل، الآية: ٧٩.

(٥) سورة الروم، الآية: ٢٤.

واستدل الداعي المتفكر بهذه الآية على أن البرق وإنزال الماء من السماء، وإحياءالأرض به آيات لقوم يعقلون، فإن هذه أمور مرتبة بالأبصار مشاهدة بالحس فإذا نظر فيها ببصر قلبه وتأمل في هذه الظاهرة الكونية، ثم فكر فيها، ثم استنبط منها أن هناك "الوجود" الذي يدبر الأمور بحكمته وعلمه، فيدرك ببصر قلبه أن لابد أن تكون حياة بعد الموت. فإن الحس دل على الآية والعقل دل على ما جعلت له الآية.

قال تعالى:

﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(١)

إن القرآن الكريم دعا الإنسان إلى تعلم أسرار النباتات والحيوانات والاستفادة منها وحث على التفكر والتأمل في خلق الله الموجز حتى يكون مطيعاً لله عز وجل.

فقال تعالى:

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ * وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٢)

فالدعوة إلى التفكر والتأمل لن يكون مجرد التفكر والعبرة فقط "إنما سيتبع ذلك منافع مادية دنيوية آنية من استخدام حقائق العلم في شؤون الإنسان." (٣)

"فكتاب الله هو إرشاد لوظيفتنا في الكون، وكون الله هو إرشاد لإدراك عظمة الله تعالى

---

(١) سورة الروم، الآية: ٥٠.

(٢) سورة النحل، الآيتان: ٦٦-٦٧.

(٣) الإنسان في الكون بين القرآن والعلم ، د. عبد العليم عبد الرحمن خضر، ص ١٥٤، ط ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، جدة، العلم يدعو للإيمان ، أ. كريسي مورسيون ، ترجمة محمود صالح الفلكي، ص ٢٦، النهضة المصرية.

وحسن شكره وعبادته." [١]

الله عز وجل يعرض أمامنا وجعلها آية للذين يتفكرون في نعم الله سبحانه وتعالى كما قال عز وجل:

﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢]

فلا ينسى الداعي إن الخالق المدبر طلب منا النظر والتدبر والتفكر في آياته الكونية، ورفع شأن الذين يتفكرون في آياته، ولا يستوى الذين يتفكرون والذين لا يتفكرون كما لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون. ووصف القرآن الذين لا يبالون بتفكيرهم، ونظرهم وسمعهم بالحيوانية والبلاهة والغباء والغفلة، وأن موعدهم في الآخرة جهنم. كما قال الله في سورة الأعراف. [٣]

فعندما يمضي الداعي مع هذه الآيات التي تهتم بالتفكر في الكون عرف أن الله سبحانه وتعالى ليس فقط يحث على التفكر في الكون بل يطلب منها هذا النوع من العبادة.

التفكر في الآيات الكونية وصلتها بالداعية:

عرفنا أن القرآن الكريم يدعونا إلى التدبر والتفكر والتأمل في آياته الكونية، فعلى الداعي إلى الله التفكر والتدبر فيها كسائر الفرائض، وهذا من باب إعداد الداعية.

فالله عز وجل خلق الكون وبسطه وعرضه للعاقلين، وخلق الإنسان وزوده بالسمع، والبصر، والعقل، ليجعل بينهما الصلة والتعلق، وأمر باستعمال تلك الحواس الظاهر والباطنة (العقل) كي تحصل بالمعرفة بالله سبحانه وتعالى – وهذه هي أدوات العلم والمعرفة، وأن الإنسان يولد في الأرض،

---

(١) مقالة مزيد الأنصاري رحمه، التدبر غاية إنزال القرآن، ١ أكتوبر ٢٠١٠م..http.www.islamhouse.com/index.php/839049

(٢) سورة النحل، الآية: ١١.

(٣) إشارة إلى آية ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

لا علم له بشيء من هذا الكون على الاطلاق، فأعطاه الله الوسائل، والتي بها يحصل المعارف كما قال الله تعالى:

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(١)

والإنسان مسئول عنها وبها فقال الله عز وجل:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾(٢)

فعلى الداعي المؤمن أن يستخدم سمعه، وبصره، وعقله، ووجب عليه شكر هذه النعم الكبرى، فيبين د. علي خليل مصطفى أبو العينين كيفية الشكر لهذه النعم فيقول:

"... وتلك نعمة كبرى تستوجب شكر المنعم عن طريق استخدامها الاستخدام السليم، وذلك عن طريق النظر إلى مخلوقات الله في الكون." (٣)

واستخدام هذه الوسائل المعرفية في الدعوة إلى الله عز وجل أمر مهم، والدعوة الإسلامية تهدف إلى تنمية ذكاء الداعي وتنمية قدرته على التأمل، والنظر والتفكر، فقال د. محمود السيد سلطان في كتابه سير الفكر التربويعبر التاريخ أن: "وسيلتها في ذلك عودة المسلم إلى النظر في الطبيعة وفي الكون، والنظر في النفس البشرية نفسها؛ وتأملها واستنباطها." (٤)

استنتجنا من الآيات السابقة – أن الداعية إلى الله، الذي يفكر في آيات كونه،؛ عبر تفكيره يمر بثلاث مراحل متداخلة وينتهي بمرحلة رابعة.

المرحلة الأولى: المرحلة الأولى تبدأ بالمعارف التي تأتي عن طريق الإدراك الحسي المباشر

---

(١) سورة النحل، الآية: ٧٨.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

(٣) فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، الدكتور علي خليل مصطفى أبو العينين، ص ١٧٠، ط ٢، دار الفكر العربي، ١٩٨٥م.

(٤) سير الفكر التربوي عبر التاريخ، د. السيد سلطان من ١١٢، ط١، دار الشروق جدة.

بالنظر والسمع واللمس وغيرها من الحواس، كقوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[2] أو تكون هذه المعارف عقلية مجردة وكثيراً ما تكون هذه المعارف لها إرتباط بالنواحي العاطفية الانفعالية.

المرحلة الثانية: فإذا دقق الداعية فيهاالنظر وتعرف على بعض خصائصها الجمالية ومستوياتها المناسبة وتوازنها، ودقة صنعها، وقوتها، فإنه ينتقل من المعرفة الباردة إلى الإنبهار بجمال التنسيق والتنظيم والتوازن وعظمة الصنع وسجاء المنظر.

هذه هي المرحلة يسميها مالك بدري في كتابه "التفكر من المشاهدة إلى الشهود": مرحلة تذوق دقة الصنع وجمال التنسيق.[3]

المرحلة الثالثة: تأتي المرحلة الثالثة يربط هذا التذوق لجمال الكون ودقة صنعته بمبدعه جل وعلا، فانتقل هنا الشعور إلى الخالق المتدبر، الفاطر المبدع، العليم، العزيز، القدير فيزيد هنا خشوعاً ومعرفة بالله وبصفاته العلية.

المرحلة الرابعة: هذه المرحلة تسمى (بالشهود الصحيح) الذي يشهد فيها المؤمن المتفكر كل المخلوقات قائمة بأمر اللهكل مستجيبة له قانتة له ... ويكون ما يشهدونه من ذلك مؤيداً وممداً لما في قلوبهم من اخلاص الدين...[4]

يصف ابن قيم الجوزية هذه المرحلة فيقول عن المتفكر الذي يصل إلى هذه المنزلة أنه "يفتح له باب شهودعظمة الله .. القيومية . فيرى سائر التقلبات الكونية، وتصاريف الوجود بيده سبحانه

---

(١) سورة النحل، الآية: ٤٨.

(٢) سورة الروم، الآية: ٢٤.

(٣) انظر : التفكر من المشاهدة إلى الشهودد. ملك بدري ، ص ٤٣، دار العالمية لكتاب الإسلامي والمعهد العالمي للفكر الإسلامي ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

(٤) انظر :فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ص ٢٢١، ٢٢٥.

وتعالى وحده، فيشهده مالك الضر. والنفع، والخلق والرزق، والأحياء والإماتة... عند ذلك إذا وقع نظره على شيء من المخلوقات دله على خالقه وبارئه وصفات كماله ونعوت جلاله." (١)

نعرف أنجميع الناس على هذه الأرض قد يمرون بمراحل التفكر ولكن هناك فرق بين تفكر المؤمن وتفكر الكافر، وقد يشترك المؤمن وغير المؤمن في المرحلة الأولى والثانية، ولكن المرحلة الثالثة التي تأتي بربط هاتين المرحلتين المتقدمين هي النعمة الكبرى التي لا تكون إلا للمؤمن المتفكر. ولا ينسى الداعي أن : " مثل هذا التفكر يشمل الجانب الفكري والعاطفي والانفعالي والإدراكي للمؤمن. أي أنه يشمل جميع أنشطته النفسية المعرفية والروحية." (٢)

أثر التفكر في حياة الداعية :

إن تفكر الداعية في الموجودات ومطالعة آيات الله سبحانه وتعالى ككتاب يثمر ثمرات كثيرة منها:

١) الاتصال الدائم بالله تعالى:

تجعل من عمل الفكر وطلب العلم والتأمل في الكون والإفادة بمافيه عبادة بتقرب بها إلى الله. والفكر في صنع الأشياء في الكون يوصل إلى صانع هذا الأشياء .. والنظر في النظام البديع لهذا الكون يدل على الذات الذي تدبر وتقدر هذا النظام في الكائنات، فالفكر في آثار الكون يجعل الاتصال الدائم بين الداعي وبين الصانع، والمدبر لهذا الكون الهائل.

٢) ترسيخ الإيمان :

إن كشف الأسرار الإلهية في كتاب الكائنات وإظهارها، يمنح الداعية عمقاً إيمانياً آخر —فوق

---

(١) مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية ، هذبه عبد المنعم صالح العلمي العزى، ص ٥٤، دولة الإمارات وزارة الأوقاف والمكتبة العلمية.

(٢) التفكر من المشاهدة إلى الشهود، مالك بدري ، ص ٣٩.

إيمانه – وتلوناً روحياً يرتشف مذاقه. (١)

والتفكر في آيات الله في الآفاق هو العمود الفقري للإيمان الذي ينثبق منه كل عمل خير ويصل الإيمان به إلى درجة اليقين، لأنه يأتي بالبراهين والأدلة العقلية الثابتة حتى يوقن عقله ويأمن قلبه، فالتفكر في الخلق سبب لرسوخ اليقين وزيادة الإيمان: كما يقول الإمام الغزالي: "الطريق إلى مصنوعاته وفهم الحكمة في أنواع مبتدعاته، ... هو السبب الرسوخ اليقين وفيه تفاوت درجات المتقين." (٢)

فهذا من عجائب التفكر في الخلق أن يصل إلى درجة اليقين كما وصل سيدنا إبراهيم عليه السلام.

٣) تكثير العلم واستجلاب المعرفة:

التفكر في الآء الله ينقل من ضيق الجهل إلى سعة العلم. خاصة أن ثمرة الفكر هي العلم. قال الإمام الغزالي في أحياء علوم الدين:

"إذا حصل العلم في القلب تغير حال القلب وإذا تغير حال القلب تغيرت أعمال الجوارح. فالعمل تابع الحال والحال تابع العلم، والعلم تابع الفكر. إذن هو المبدأ والمفتاح للخيرات كلها..."(٣)

هناك صلة وثيقة بين التفكر والتذكر وبين الذكر والفكر تأتي آيات الله في الكون، لا تتجلى على حقيقتها الموحية، إلا للقلوب الذاكرة العابدة. كما وصف الله عز وجل الذين يذكرون الله هم الذين يتفكرون في خلق السموات والأرض فقال:

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ

---

(١) التلال الزمردية ، محمد فتح الله كولن، المترجم إحسان قاسم الصالحي، ص ٤١، ط٣٢، دارالنيل، مصر ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

(٢) الحكمة في مخلوقات الله ، أبو حامد الغزالي، ص ١٣، ١٤، دار إحياء التراث العلوم، بيروت ١٩٨٤م.

(٣) إحياء علوم الدين ، محمد الغزالي، ص ٤٢٦، ج ٤، دار البيروت – لبنان.

وَالْأَرْضِ﴾ (١)

الفكر نتيجة الذكر والذكر ينقل إلى الفكر كما قال الحسن:

"أن أهل العلم لا يزالوا يعودون بالذكر على الفكر والفكر على الذكر ويناطقون القلوب حتى نطقت بالحكمة." (٢)

وفائدة التفكر والتذكر هو العلم والمعرفة كما بين ابن قيم الجوزية:

"وكل من التذكر والتفكر له فائدة غير فائدة الاخر فالتذكر يفيد تكرار القلب على ما علمه وعرفه ليرسخ فيه ويثبت ولا ينمحي فيذهب اثره من القلب جملة والتفكر يفيد تكثير العلم واستجلاب ما ليس حاصلا عند القلب فالتفكر يحصله والتذكر يحفظه." (٣)

فصلة الفكر بالذكر صلة قوية فمن الصعب أن يتصور الإنسان ذاكراً لله قليل التفكر في مخلوقاته، أو أن يتصور متفكراً في خلق الله لا يعد من الذاكرين.

٤) مخافة الله والشعور برقابته:

الداعي المتفكر في خلق الله عز وجل يتقي الله عز وجل وقلبه دائماً يخاف الله سبحانه وتعالى لأنه عرف أن الله تعالى أمسك الوجود كله ونظّمه وأدار أمره كما شاء فتكون العبرة والرهبة من بأسماء الله وقدرته.

٥) طاعة الله عز وجل وعبادته:

إن الداعية المتفكر يشهد بأن كل المخلوقات قائمة بأمر الله مدبرة بمشيئته بل مستجيبة له قانتة له، ومطيعة له .. فما باله لا يطيعه؟؟! ولا يعبده حق عبادته!!

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩١.

(٢) مفتاح دار السعادة ، ابن قيم الجوزية، ص ٢٨٠، ج ١، دار الفكر.

(٣) المصدر السابق، ص ١٨٣، ج١.

٦) محبة الله عز وجل:

يملئ قلب الداعي بمحبة الله عز وجل بالتفكر والتدبر في آياته الكونية، فعندما عرف حكمته وجمال صنعه ورحمته بخلقه شعر في داخله بأحاسيس عجيبة لخالق هذا الكون وهي محبته لله عز وجل والإيمان به. "كلما قويت المعرفة ازداد عمق الإيمان وازدادت محبة العبد لربه، وقوة المعرفة إنما تكون بالفكر الصافي في صفات الرب وعظمته ونعمائه التي أعظمها هدايته للداعي المسلم إلى الإيمان." (١)

الإمام الغزال يقول في كتابه أحياء علوم الدين: "إذا أراد حال المحبة والشوق فليتفكر في جلال الله ومما له وعظمته وكبريائه وذلك بالنظر في عجائب حكمته وبدائع صنعه."

فيجعل الداعي من التفكر باباً لتزكية النفس، وتربية الروح والتوصل إلى معرفة الخالق بهذا الكون ومحبته.

فالتفكر في خلق الله عبادة روحية وفكرية بصرية ترفع شأن الداعي وتقربه من الله سبحانه وتعالى وهي عبادة فيها نوع من القصور عند كثير من الدعاة المسلمين في واقعنا المعاصر على الرغم من أهميته وضرورته للدعوة.

وأذكر بعض الأفكار العملية لإثراء عبادة التفكر في خلق الله تربوياً.

- ينبغي على الداعي أن يمارس عملية التفكر يومياً وحتى تزيد قدرته على التركيز الذهني.
- ينبغي للداعي أن يركز على الأعمال التي ترفع درجة الإيمان، فكلما ازداد إيمان الداعي كلما سهل عليه الاستغراق في ملكوت ربه.
- على الداعي أن يراعي حالته الانفعالية والعقلية، لأن التفكر يحتاج إلى الطمأنينة والهدوء النفسي والصحة، الجسمية والنفسية.

---

(١) أصول الدعوة ، د. عبد الكريم زيدان، ص ٣٢٧، ط ٣، ، دار الوفاء، بيروت١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

- وأن يلتقي الداعي بالناس الذين يشغلون حياتهم في التفكر والتذكر وهذا يشجعه على عملية التفكر.
- زيارة الأماكن التي تتجلى فيها عظمة الخالق والتأمل في المناظر ودعوة الناس لهذه الأماكن لأخذ العبرة.
- وفي المساجد خطب الجمعة التي حث على عبادة التفكر – وهذا يتطلب من الداعي مجهودات بحثية وعملية والتفكر السليم.
- أقامة لجنة أو برامج تحث على عملية التفكر والتدبر في خلق الله عز وجل لعامة الناس.
- إصدار المجلات أو المواد المقروءة والمرئية التي تذكر المعلومات والحقائق عن الكون وسننه مع ذكر دروس والعبر والحكم فيها.
- إصدار التسجيلات المرئية والأقراص بالمناظر الرائعة للكون وبيان صنعها وصفاتها وخصائصها ثم ربطتها بالله عز وجل، ووحدانيتها والإيمان به.

المطلب الثاني

أهمية العلوم الكونية في حياة الداعية

يشتمل هذا المطلب على نقاط التالية:

- **تعريف العلم**
- **حث القران على العلوم الكونية**
- **حكم العلوم الكونية للداعية**
- **حاجة الداعية إلى العلوم الكونية**
- **الدعاة الذين يستخدمون منهج التفسير العلمي في الدعوة**

تعريف العلم:

إن كلمة (علم) في اللغة العربية تجيء في مقابل (جهل) والفعل (عَلِمَ) في مقابل جَهِلَ)[١] فهي تفيد معنى المعرفة العام الشامل، فيشمل جميع أنواع المعارف مهما يكن مصدرها، سواء أكان العقل كالرياضيات والمنطق، أم كان الحس والتجربة بالإضافة إلى العقل، كالطب، والكيمياء، والفيزياء، والجيولوجيا، والفلك، أم كان الذوق والخيال والعاطفة، كالأدب، أم النقل السجع جيلاً بعد جيل كاللغة، أم الوحي والنبوة والنقل عن مصدر الوحي كعلوم الدين من العقيدة إلى التفسير، والحديث، والفقه إلى آخره.

ولسنا نعني بالعلم هنا: معناه عند أهل اللغة، ولا مدلولة الاصطلاحي القديم عند أهل المنطق أو علماء الكلام، إنما نعني بكلمة (العلم) مفهومها الاصطلاحي الحديث: يقول د. عبدالحليم مضر في كتاب: ""الاستعمال كلمة (العلم) وقد حدد مدلولها، وجعلها تختص بلون من معين من المعارف، هو الذي يتضمن التجربة والمشاهدة والاختبار، وهو ما يسمى الآن بالعلوم الطبيعية، من الكيميائية، والجيولوجية، والرياضية، والفلكية، النباتية، والطب، والزراعة، وما إليها." [٢]

كلمة العلم في القرآن:

وفي القرآن كما هو معلوم حوالي سبعمائة آية كريمة تحض على طلب العلم بمعناه المطلق الشامل: الديني أو النظري العقلي أو الحسي التجريبي. سواء بسواء، يقول محمد الراوي في كتابه: "إن كلمة العلم ومشتقاتها قد وردت في القرآن ٧٧٨ مرة، وهذا عدد الألفاظ التي تدعو للتفكير والتدبر والتذكر والنظر." [٣]

---

(١) لسان العرب العلامة ابن منظور، نسقه وعلق عليه: علي شيري،ن ص ٣٧١، المجلد٩، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٢) تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه ، د. عبد العليم مضر، ص ١٤، ط ١٨، دار المعارف، القاهرة.

(٣) الدعوة الإسلامية دعوة عالمية ، محمد الراوي، ص ٤٦٨، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض ١٤١٥هـ.

موقف القرآن في الحث على العلوم الكونية:

إن أدوات العلم ثلاث: (السمع)، و(البصر)، و(العقل).

تشير إلى ذلك الآية الكريمة:

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١)

فالله سبحانه وتعالى يخلق الإنسان وينشؤه في بطن أمه، ونفس الإنسان خالية من المعارف والعلم بالله، فالله أعطاه هذه الحواس كي يعرف بها المعارف والعلوم.

وهذه الحواس هي روافد المعرفة العقلية في عالم الشهادة، هي جواسيس العقل وعيونه حسب، تعبير الغزالي بدون هذه الجواسيس لا يستطيع العقل أن يعلم شيئاً يقيناً عن عالم الشهادة. (٢)

وأما ابن قيم الجوزية فقسم العلم إلى نوعين:

١- علم جلي

٢- وعلم خفي

علم جلي: يدرك بالعيان، أو باستفاضة صحيحة، أو صحة تجربة قديمة. وهذا العلم الجلي ثلاثة أنواع:

أحدها: ما وقع عن عيان – وهو البصر.

والثاني: ما استند إلى السمع. وهو علم الاستفاضة.

والثالث: ما استند إلى العقل، وهو علم التجربة.

فهذه الطرق الثلاثة – السمع، والبصر، والعقل – هي أهم طرق العلم وأبوابه ...

---

(١) سورة النحل، الآية: ٧٨.

(٢) مقالة: من توجيهات القرآن الكريم مدارك العقول بين عالم الغيب وعالم الشهادة، بقلم د. محمد السيد الجليند.

http//islamhouse.com/index.php/839049.

علم خفي: ينبت في القلوب الطاهرة، من الأبدان الزاكية بماء الرياضة الخالصة ويظهر لأهل الهمة العالية، في الأحايين الحالية، والاسماع الصافية. (١)

وهذه الآية تدل على كلا النوعين من العلم: فالسمع والأبصار أدوات للعلم الجلي والفؤاد آلة العلم الخفي. وابن قيم يسمى هذا النوع بالمعرفة. كذلك قال الإمام الرازي في تفسيره: "أن الفؤاد إنما خلق للمعارف الحقيقية والعلوم اليقينية، وأكثر الخلق ليسوا كذلك بل يكونون مشغولين بالأفعال البهيمية والصفات السبعية." (٢)

فهذه أدوات أدوات السمع والبصر يعطيهما للحيوانات كذلك، ولكن الإنسان انفرد بالعقل لاستعمال هذه النعم لعبادة الله سبحانه وتعالى حتى يؤدي حقه ويشكره على نعمه.

يقول الأستاذ أبو الأعلى المودودي أن (السمع) و(البصر) و(الفؤاد) لم ينزل بها الوحي في كتاب الله لتعني فقط مجرد القدرة على الرؤية والسمع والتفكير، ذلك لأن (السمع) معناه هنا، احراز المعرفة التي اكتسبها الآخرون، و(البصر) معناه تنميتها بما يضاف إليها من ثمرات الملاحظة والبحث. و(الفؤاد) معناه تنقيتها من أدرانها وأو شابها،، ثم استخلاص النتائج منها، وهذه (القوى) الثلاث إذا تضافرت بعضها على بعض، نجمت عنها تلك (المعرفة) التي من الله سبحانه وتعالى بها على بني آدم. هذه المعرفة التي بها وحدها استطاع الإنسان أن يهزم سائر المخلوقات لإرادته وسخر لإرادته. (٣)

واستعمال هذه الأدوات الثلاثة هي دعوة إلى منهج العلم التجريبي، وهي فريضة إسلامية. والله سبحانه وتعالى يرفع أقواماً بها، وهذه هي طريقة الشكر لهذه النعم القيمة. لذا يقول سبحانه في آخر الآية (لعلكم تشكرون) وأداء الشكر على النعم يزيد النعمة.

فيا أيها الداعية إلى الله تعالى أبصر وأسمع وأعلم، أن: زعامة الجنس البشري والأخذ بقيادته

---

(١) تهذيب مدارج السالكين ، ابن قيم الجوزية، وهذبه عبد المنعم صالح العلمي العز، ص ٤٨٦، المكتبة العلمية.

(٢) التفسير الكبير، ص ٧٣، مجلد ٢٠، مكتبة العبيكان.

(٣) المنهج الإسلامي الجديد التربية والتعليم ، أبو الأعلى المودودي، جمعه، قدم له وعلق عليه: محمود مهدي الأستانبولي، ص ٨، ط ٢، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م.

سواء إلى الخير أو الشر إلى الجنة أو إلى النار. من نصيب هؤلاء الذين يتفوقون على سواهم في الانتفاع بنعم (السمع) و(البصر) و(الفؤاد)...

فالقرآن الكريم يؤكد على ضرورة المشاهدة الصحيحة، باستخدام البصر والسمع والعقل معاً للمنهج التجريبي.

بعد ذكر هذه الأدوات الثلاثة نبه تعالى عبادة إلى النظر إلى الطير المسخر بين السماء والأرض كيف جعله يطير بجناحين، في جو السماء ما يمسكه إلا الله، وجعله آية للمؤمنين: كما قال عز وجل:

﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (١)

فهنا ليس المقصود مجرد الرؤية للطير في الهواء بل النظر مع التأمل والمشاهدة في طيرانه وكيفية ذلك، والنظر في الأشياء والتي تساعده على الطيران في الفضاء. فهناك أبحاث كثيرة عن طيران الطير في جوء السماء. يقول الإمام الغزالي في كتابه الحكمة في خلق مخلوقات الله عز وجل: "أن الله تعالى خلق الطير وأحكمه حكمة تقتضي الخفة للطيران، ولم يخلق فيه ما يثقله، فخلق للطير الرجلين دون اليدين لضرورة مشيه وتنقله، وإعانة له في ارتفاعه عن الأرض وقت طيرانه، وخلق صدره ملفوفاً على عظم كهيئة نصف دائرة حتى يخرق في الهواء بغير كلفة، وكذلك رءوس أجنحة مدورة إعانة له على الطيران، وقوى سبحانه وتعالى أصل الريش وجعله قصباً منسوجاً فيما يناسبه من الجلد الصلب في الأجنحة لأجل كثرة الطيران ولأن حركة الطيران قوية فهو محتاج إلى الإتقان لأجل الريش." (٢)

والذين ينظرون في سنن الله الكونية ويستخدمون حواسهم للحصول على المعرفة يصلون بعلمهم إلى القوانين وعلل الأشياء، والله سبحانه وتعالى يكشف لهم الأسرار فهم يستطيعون اختراع

---

(١) سورة النحل، الآية: ٧٩.

(٢) ملخص من كتاب الحكمة في مخلوقات الله عز وجل ، الإمام الغزالي، ص ٣١-٣٦، دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الأشياء بأنفسهم كما فعل "عباس بن فرناس العالم الأندلسي (المتوفى في سنة ٨٨٧م) فهو أول مخترع للطائرة، وهو مخترع القبة الفضائية."[١]

والله سبحانه وتعالى يربط في هذه الآية بين العلم التجريبي والإيمان لأن هذا العلم يهدي إلى الإيمان الراسخ. سئل ألبرت بروس سابين[٢]: هل هناك علاقة بين الإيمان والعلم؟

فأجاب: (إن العلم وسيلة في فهم أسرار الكون، وكلما استخدم الإنسان ما يقدم العلم إليه من معرفة، تزداد نظرته إلى الحياة عمقاً، ويزداد أمام عجائب الخلق خشوعاً ويصل إلى الإيمان.)[٣]

كذلك الآيات تمنح الداعية إلى الله رؤية كاملة ومنهجاً متماسكاً يجعل من احلياة خطوطاً متوازية لا تصطدم مهما امتد الزمن، فتجعل العلم مع الإيمان، أو تجعل ما وراء المادة مع المادة، او تجعل السرائر الباطنة مع المشاعر الحسية، لا فواصل بينا.[٤]

ولو نظرنا إلى آيات الله الكونية نظرة متأنية لوجدناها تنبه العقول إلى استخدام النظر مع المشاهدة الدقيقة ثم تدعو إلى استنباط النتيجة من المقدمة ... كما قال الله عز وجل:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٥].

هذه الآية تشير إلى ظاهرتين: الأولى: ظاهرة البرق والمطر من السماء.

والثانية: إحياء الأرض بعد موتها. فهذه الآية تتحدث عن العلوم الطبيعية وعلوم النبات معاً،

---

(١) ورثة الكتاب ، أو رسالة العلماء ، محمد فهمي الوهاب، ص ١٣٧، دار الاعتصام، القاهرة.

(٢) عالم (الميكروبات) الشهير، وصاحب مصل شلل الأطفال (سابين) المسمى باسمه. وقدرت الجمعيات الطبية والعلمية المعروفة، أبحاثه بجوائزها القيمة.

(٣) نقل من كتاب الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة ، الدكتور يحيى هاشم حسن فرعل، ص ١٦٠-١٦١. دارالمعارف، القاهرة.

(٤) كيف نتعامل مع القرآن ، عمر عبيد حسنة، ص ٤٣، ط ١، دار الوفا، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

(٥) سورة الروم، الآية: ٢٤.

وتحث على البحث والمشاهدة في هاتين الظاهرتين. وهنا يأتي سؤال، كيف تحي الأرض بالبرق، والرعد، والمطر بعد أن تكون ميتة؟؟

هذا السؤال يحتاج إلى البحث في هاتين الظاهرتين، فالعلم الحديث يقول أن ٧٨% من كل هبة ريح نتروجين، وكذلك يوجد في أجزاء كيماوية أخرى، تسمى (النتروجين المركب) وهذه كلها يستغلها النبات لكي يهيء لنا الجزء النتروجيني في غذائنا.

وهناك طريقتان لتحليل النتروجين في الأرض، طريقة أولى هي (العملية الجرثومية). [١]

وطريقة ثانية: هي (صنعة الرعد والبر) يقول علماء النبات: "كلما احتك الرعد في الفضاء، مزج شيئاً من الأوكسيجين في النتروجين، ويصل هذا النتروجين المركب إلى الحقول عن طريق الأمطار." [٢] فلولا هذه العملية لهلك الحيوان والإنسان وكل ما يعتمد على النبات.

وآية أخرى في سورة النحل قريبة من هذا المعنى يقول سبحانه وتعالى:

﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾[٣].

يختم الله الآية السابقة بقوله ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾.

فإنها دعوة إلى استخدام المشاهدة الحية واستقراء الجزئيات من عالم الطبيعية حتى نصل إلى معرفة القوانين العامة التي تسير هذه الطبيعية بمقتضاها.[٤]

---

(١) هي عملية تؤديها الجراثيم التي تعيش في جذور الشجرة تحت الأرض، وهي تأخذ النتروجين من الهواء، وتصنع منه النتروجين المركب، ويبقى هذا النتروجين المركب تحت الأرض، بعد الحصاد، مع الجذور.

(٢) الإسلام يتحدى ، وحيد الدين خان، تعريب – ظفر الإسلام خان، مراجعة وتحقيق: الدكتور عبد الصبور شاهين، ص٧٠، ط ٢، دار البحوث العلمية، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

(٣) سورة النحل، الآية: ٦٥.

(٤) الإنسان في الكون بين القرآن والعلم ، د. عبد العليم عبد الرحمن خضر، من ١٥٠، ط ١، عالم المعرفة، جدة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

حث الخالق الإنسان، وحفزه واستحاش همته، إلى النظر والبحث والملاحظة والتجريب بغية الاهتداء إلى آيات الله وسننه في الكون ليحقق غايتين عظمتين هما:

١- أن يتبين للإنسان العاقل المؤمن – من خلال النظر والتدبر والتأمل والبحث عن حقائق الكون إن هناك قوة عظيمة هي خالق كل شيء، مدبرة له، منظمة لهذا الكون الهائل وما فيه.

٢- أن يتعرف الإنسان على هذه السنن كي يسخرها لنفعة في مجالات مختلفة.

الله سبحانه وتعالى يريدنا أن ننظر ونتدبر، ونقف على كل ظاهرة كونية وقفة نستنبط منها شيئاً نفيد منه.

"والكون مملوء بالآيات الإلهية، ولكن التعرف عليها ليس متاحاً إلا لمن يستخدم عقله وإمكاناته الفكرية"[١] تشير إلى ذلك الآية الكريمة.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٢].

يقول الزمخشري في تفسيره: معنى تسخيرها للناس، تصير نافعة لهم، حيث يسكنون بالليل، ويبتغون من فضله بالنهار، ويعلمون عدد السنين والحساب بسير الشمس والقمر، ويهتدون بالنجوم، فكأنه قيل: نفعكم بها في حال كونها مسخرات لما خلقن له بأمره ...[٣]

فالآيات تستهدف إلى تنمية القدرة التسخيرية في حياة الإنسان. فهذه الآية تدل على أن الله أمد الإنسان بسلطان الحس والعقل، أو بعبارة أخرى، أمد الله الإنسان بإمكانية البحث العلمي وسخر له ما في السموات وما في الأرض ودعاه إلى كشف أسرار الوجود ببذل أقصى الطاقة

---

(١) الإسلام ومتغيرات العصر ، إشراف وتقديم – أ. د. محمود حموي زقزوق، ص ٣، وزير الولاء المعارف القاهرة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢.

(٣) الكشاف ، ص ٤٧٨، ج ٣، مكتبة العبيكات.

البشرية." [١]

فالكون كله قد أعدّه الخالق سبحانه وجعله مهنياً للنظر العقلي ليجعل منه حبلاً ممدوداص وسبباص موصولاً بين الإنسان العارف وموضوع المعرفة من جهة، وغاية هذه المعرفة وهدفها من جهة أخرى. ولذلك كانت آيات القرآن المتصلة بهذا الموضوع تختم غالباً بقوله تعالى:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾. أو ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، أو ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾، أو ﴿لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾أو ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾.

فالآيات التي نذكرها حين تدعونا إلى البحث والنظر في نظام الكون وخلقه، إنما تمدنا بالمنهج الصحيح للبحث الاستقرائي، رغم أن القرآن لم ينزل في هيئة كتاب علمي، ولكنه يدعو بين وقت وآخر في آيات كثيرة إلى دراسة الكون.

يقول عبد العليم بن عبد الرحمن: أن من إعجاز القرآن الكريم إشارته إلى نشأة علوم حديثة لم يعرفها السابقون، وإنما وجه أنظارهم إليها، كما وجه أبصارهم إلى دراسة الكون وتأمل ظواهره، والإحاطة بآيات الله فيه، وقد حملت آيات القرآن به. وهذا التقدم العلمي، وأرشدت دفك مغاليقه، وتركت للعقل البشري بعد ذلك استكمال رسالته، حتى يتحقق من صواب نظريته أو خطئها.[٢]

فهنا يتساءل الداعي المسلم: أين هم حملة دين الحق من ذلك كله؟؟ أليسوا مطالبين دينياً بالكشف عن آيات الله في الكون وفي أنفسهم؟ أين هم من ارتياد الآفاق وكشف الآيات؟ أين هم من هذا الرباط العلمي الدائم الذي هو فرض حقيقي وهم في حاجة ضخمة إليه؟

لاحظنا أن هذه الآيات تتكلم عن العلوم الحديثة، وتحث على تعلمها وطلب العلم ويعدلونا من ألوان العبادة لله عز وجل، ومن أجل ذلك تضع الملائكة أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع،

---

(١) القرآن والكون، أ د. عبد الله الشركاوي، ص ٢٥، بيروت.

(٢) الإنسان في الكون بين القرآن والعلم ، د. عبد العليم عبد الرحمن خضر، ص ١٤٨، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، عالم المعرفة، جدة.

ومن ذلك يتضح أن للدعاة – من منطلق تعاليم ودعوتهم وتربيتهم الروحية والعقلية – ينبغي أن يكونوا في مقدمة صفوف العالمين الهادين إلى الله. والمتتبع لهذه الآيات يجد أنها قد تحدثت عن سنن الله سبحانه وتعالى في هذا الكون ونظامه وألوان العناية الربانية بمخلوقاته فيه، وتظهر قيمة أهمية العلوم الكونية في حياة المسلمين عامة وفي حياة الدعاة إلى الله خاصة، كما أن هذه الأهمية تتأكد من دراسة كيفية توظيف حقائق العلم التجريبي في مجال الدعوة إلى الله على بصيرة، وكان لزاماً على الدعاة المهتمين بالدراسات القرآنية أن يعطوا هذا الجانب اهتمامهم.

حكم تحصيل العلوم الكونية للداعية المسلم:

أولاً: نذكر عموماً ما هو حكم أخذ العلوم لعامة المسلمين؟ ولقد علم أن تحصيل علوم الدين من القرآن والسنة والفقه وفروعاتها "فرض عين" على الداعية إلى الله تعالى، الآن والسؤال هو، ما هو الحكم في تحصيل العلوم الكونية عامة.

قال أبو بكر جابر الجزائري في كتابه العلم والعلماءأن: تعلم العلوم الكونية قد يكون كفائياً، بحيث إذا وجد في الأمة الإسلامية من يحسنه ويعلمه سقط الواجب عن باقي أفراد الأمة، وقد يكون واجباً عيناً في حال انعدام من يحسنه.(١)

وذكر سعيد حوى عن فريضة العلم فقال: فقد اعتبر فقهاء المسلمين أن كل علم تحتاجه الأمة الإسلامية فرض كفاية، إذ لم تقم به الأمة ببعض أفرادها أثمت جميعاً. حتى قالوا: لو احتاج المسلمون إلى صناعة إبراة ولم يوجد بين المسلمين من يحسن صناعتها فكل المسلمين آثمون، فكل علم من العلوم وكل اختصاص مقيد. إنما هو فرض من الفروض والتبحر في الاختصاص مندوب.(٢)

كان هذا حكم العلوم الكونية عموماً، فماذا عن الداعية خاصة؟

---

(١) العلم والعلماء ، أبو بكر جابر الجزائري، ص ١٠٧، ط ٢، دار الشرواق جدة، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

(٢) الإسلام ، سعيد حوي، ص ٥١٣، ط ٢، دار السلام ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

وضح الدكتور يوسف القرضاوي هذا فقال: ولا نريد للداعية أن يتعمق في دراسة هذه العلوم، فإن هذا غير مقدور عليه، والعمر لا يتسع والطاقة لا تحتمل، والمعارف لا تنتهي، ولا تقف عند حد – إنما نريد أن يطالع بعض الكتب الميسرة منها، مما يعد لغير المتخصصين وكذلك المقالات العلمية في مجلات مما ينشر ليقرأه جمهور المثقفين، والمفروض أنه واحد منهم، وذلك بعد أن يكون قد درس الأصول المهمة من هذه العلوم في المرحلتين الإعدادية والثانوية، دراسة تمكنه من متابعة الفكر العلمي.(١)

ويرى محمد الغزالي أن العلوم الكونية لازمة للداعي فقال: وعلى الداعية أن يكون مسلماً بقسط محترم من جميع علوم الكون والحياة (الطبيعة) و(الكيمياء) و(النبات) و(الحيوان) و(الفلك) و(تقوم البلدان) وغيرها. إن هذه المعارف ليست نافلة في حياته، ولا في توجيهاته: بل هي زاد لابد منه لتصحيح فكره وضبط صلته بالعلم وإسال النصائح، محفوفة بوعي دقيق، وحسن بالغ وإدراك للهدف الذي تنطلق إليه.(٢)

ضرورة العلوم الكونية للداعية إلى الله:

إن الداعي إلى الله عز وجل هو حامل الرسالة الإلهية وعليه أن يبلغها بطرق شتى مؤثرة، فعلى عاتقه مهمة عظيمة، فلابد أن يتسلح بأسلحة شتى لتأهيله في مجال الدعوة الإسلامية فمن هذه الأسلحة: أسلحة العلم والثقافة. والداعي إلى الله تعالى يحتاج إلى علم وثقافة عصرية لسببين:

أولاً: ضرورة ثقافية (إي تأهيل نفسه)

ثانياً: ضروة دعوية (حتى تكون دعوته مؤثرة)

---

(١) ثقافة الداعية ، د. يوسف القرضاوي، ص ١٣٦، ط٦، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان ١٤٠٢هـ - ١٩٨٣م.

(٢) مع الله دراسات في الدعوة والدعاة ، محمد الغزالي، ص ٢٢٣، ط٤، دار الكتب الحديثة، مطبعة حسان، القاهرة ١٩٧٦م.

أولاً: ضرورة ثقافية:

منذ بدأت البشرية وحتى القرن السابع الميلادي ظل الأنبياء يواظبون على إبلاغ الرسالة الإلهية إلى بني آدم كلهم، وكانوا يتمتعون بالمعجزات لتأييد صدق الرسالة. ولا تزال مسؤوليات الدعوة وإبلاغ الرسالة باقية ومطلوبة بكل قوة وشدة، لكن هل لداعية اليوم نفس التأييد السابق لأداء مهمته.

هل الله سبحانه وتعالى ترك الداعي اليوم في حقل الدعوة بدون أي تأييد ؟؟!!

والحقيقة ! هي أن الله سبحانه وتعالى وفر للدعاة إمكانات لم يكن هيأها في العصور الماضية ... وهي التقدم العلمي والبحث التجريبي ..

فعل الداعية المسلم أن يتسلح من الأسلحة بحظ وافر: فلا شك أن الثقافة العصرية والعلوم الحديثة هي السلاح الذي يستخدمه الداعية للوصول إلى هدفه. بل إن العلم أكبر معين للإنسان في الصول إلى أهدافه.

لماذا يحتاج الداعية إلى الله عز وجل إلى العلوم الكونية والحديثة خاصة في هذه العصر؟

والجواب هو أن الأنبياء عليهم السلام جاءوا محملين بالرسالة إلى أقوامهم، وكانوا أثقف الناس في عصرهم، كموسى عليه السلام، فثقافة عصره "السحر"، فأعطى معجزة غلبت السحر والسحرة. كذلك عيسى عليه السلام جاء في قوم ماهرون في الطب، وكان يتمتع بمعجزات تناسب تلك الثقافة، ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم، كانت ثقافة عصره اللغة والأدب فكان أفصح العرب لساناً... فهذا معناه أن الداعية إلى الله تعالى لابد أن يملك أقوى ثقافة عصره.

فقد ضرب علماء المسلمين أروع الأمثلة في الإلمام بثقافة العصر، وعلى رأس هؤلاء حجة الإسلام (الغزالي) "الذي كانت ثقافة عصره هي (الفلسفة)، فعكف على دراستها حتى فاق علماءها في المعرفة بها، ورد عليهم شبههم الدينية بنفس سلاحهم، وجرد إليهم سيفه (تهافت الفلاسفة) ونحن في عصرنا هذا تسود ثقافة علوم (الرياضيات) و(الطب) و(البيولوجيا) و(الفيزياء)، فلو أخذ الداعية

من هذه الثقافة نصيباً لخرج من استخدامها بحظ وافر من النجاح.[١]

والعلوم الكونية والتكنولوجيا هي لغة العصر التي لابد للداعي أن يجد له مكاناً في عالم اليوم أن يجيد هذه اللغة إيجادة تامة.

وثقافة الداعية ليس معناها أن يتزود الداعية بعلوم الطب فيكون طبيباً، أو الهندسة فيكون مهندساً، أو الفلك فيكون فلكياً، وإنما تزوده بشيء من هذه الثقافات بقدر ما يتطلب شرح الآية القرآنية، أو الأدلة العقلية لإثبات التوحيد والنبوة والآخرة. ولا شك أن هذا كله يجعل الداعية أكثر وعياً لما يحيط به، وأعمق إدراكاً لأبعاد وجوده ووظيفته في الكون، كما تجعله أيضاً.منفتح البصيرة دوماً، ومستعداً للجواب والمناقشة مع غيره بقوة حجته.

"والاهتمام بالعلوم الكونية لازم للداعية في إعداده الثقافي كي يملء الفراغ الثقافي الحاد بين العلوم الدينية والعلوم الحديثة. وقد نلاحظ أن كثيراً من العلماء والمؤسسات الشرعية، وعلماء الدين والدارسين، والدعاة يجدون الأسهل عليهم أن يتخصصوا بالفقه وأصوله، ويأخذوا مما كتبه الأقدمون ويختصرون، ويشرحون، وما إلى ذلك ... وهذا جيد، ولكن الواجب يقتضي أن ينظروا، ويكشفوا ويستنتجوا في آفاق جديدة تقوم على التأمل والنظر، وقد لا يحسنها، إلا النفر القليل، ويعزف عنها الكثير."[٢]

خلاصة القول: أن الثقافة العلمية مهمة في عصرنا للمثقفين عامة، وللدعاة خاصة لأن الداعي لابد أن يكون أثقف الناس بثقافة عصره.

أن تحصيل العلوم الكونية ضروري للداعية كمثل هو تحصيل العلوم الدينية – والعلوم الدينية والعلوم الكونية كجناحين للداعية، بدونهما لا يستطيع أن يطير ويصل إلى قصده وهدفه. كما يقول فائز عبد العزيز في محاضراته (أن الثقافة الدينية والإنسانية والكونية هي عدة الداعية، وسلاحه الفعال

---

(١) حديث عن الدعوة والإرشاد بقلم عبد الحليم عويس.http//www.arfgulen.com.contant.hw.

(٢) كيف نتعامل مع القرآن، أستاذ عمر عبيد حسنة، ص ٩٥، دار الوفاء المنصورة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

في الدعوة الإسلامية.)[١]

"وعي الداعية بثقافة العصر من فلك، وكيمياء، وتكنولوجيا حديثة يستطيع من خلال ذلك أن يتجاوب مع أبناء الجيل ويحدثهم بثقافتهم، ويكلمهم بما يعرفون، لأن الداعية إن لم يتأثر بثقافة عصره، فلن يستطيع أن يؤثر في الناس من حوله." [٢]

ثانياً: الثقافة الإنسانية العامة ضرورة دعوية:

الثقافة الإنسانية العلمية ضرورة للداعية في أداء مهمته للأسباب التالية:

أولاً: إنه واجب على الدعاة أن يتسلحوا بثقافتهم الإسلامية لإحيائها وتأصيلها، وتجديدها وتعميمها لإعطاء منهج جديد لإسلامية العلم والمعرفة في مواجهة الالحاد المادي المعاصر والنظام العالمي الجائر.

ثانياً: أن من الحقائق العلمية ما يمكن للداعية استخدامه في تأييد الدين وتوضيح مفاهيمه ونصرة قضاياه، والذب عنه، بدفع شبهات خصومه ومفتريات أعدائه. وذلك يبدو في عدة صور منها:

أ- تقريب بعض المعتقدات والحقائق الدينية من أفهام أهل العصر، وتأييدها بمنطق العلم التجريبي نفسه، مثل أولى قضايا الدين وأكبرها، وهي: إثبات وجود الله، وقضية الوحي الإلهي، وقضية البعث والنشور. والملاحدة ينكرون وجود إله لهذا الكون، ولكن البحوث العلمية أثبتت (دون قصد)"أن لهذا الكون (بداية) فأثبتت تلقائياً وجود الإله، لأن كل شيء ذي بداية لا يمكن أن يبتدئ بذاته؛ ولابد أن يحتاج إلى المحرك الأول – الخالق الإله."[٣]

---

(١) أثر التفسير العلمي في أركان الدعوة (أثره على الداعية) فايز عبد العزيز إبراهيم، المجلة – العدد ١٣. http.www.eajaz.org./Arabic/index.php?

(٢) حديث عن الدعوة والإرشاد بقلم: عبد الحليم عويس. Http.www.arfgulen.com/contant/hw.

(٣) الإسلام يتحدى ، وحيد الدين خان، مراجعة د. عبد الصبور شاهين، ص ٥٥، دار البحوث العلمية، ط٢، ١٣٢٢هـ - ١٩٧٣م.

وكذلك إثبات قضية الآخرة، لأن كثيراً من الناس لا يصدقون بالآخرة وقضية البعث وجزاء الأعمال، فيستطيع هذا العلم أن يقوم في ذلك بدور بناء، في مواجهة الماديين، والملاحدة، فيقيم الأدلة ويدحض الشبهات بوساطة فروعه العديدة من رياضيات، وفلك، وفيزياء، وكيمياء، وأحياء وطب وغيرها، وسيأتي الكلام المفصل عن ذلك في الفصل الثاني.

(ب) الداعي المثقف يستطيع أن يبين للمدعوين أحكام الشرعية الإسلامية في ضوء الحقائق العلمية واكتشافاتها، وبذلك يزاداد الذين آمنوا إيماناً، ويضعف جانب المرتابين والمشككين في كمال الشريعة الإسلامية، وصلاحيتها لكل زمان ومكان.

فقد قال الله تعالى عن الثمرات وما فيه من آيات للعاقلين:

﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1].

فقد وصل علماء النبات إلى فوائد الثمرات لجسم الإنسان، وكيف تكون هذه الثمرات رزقاً حسناً، ونذكر هنا بعض فوائد ما اكتشفت حديثاً، فالعلم الحديث يبين لنا لماذا يكون العنب رزقاً حسناً:

* إنه نافع لنفث الدم العارض، وشرابه قابض، مقو للمعدة، نافع عند عسر هضم الطعام، ويستعان بشرابه على تلطيف الحرارة، وقطع العطش، وتليين البطن.

* وله دوره الفعال في بناء خلايا الجسم، وترميم أنسجته وتقويته، وفيه علاج العديد من أمراضه. كما أن له قدرة خاصة على وقاية الإنسان من العديد من العلل والأمراض.

* يحتوي العنب على مواد سكرية وتبلغ قيمتها ١٥%، منها حوالي ٧% جلوكوز، ونسبته تزداد كلما نضجت الثمار، وهو أبسط المواد السكرية تركيباً، واسهلها هضماً، وامتصاصاً، وتمثيلاً بالجسم.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٦٧.

* وكذلك يحتوي العنب على كمية لا بأس بها من فيتامن (ج) الذي يرفع من مناعة الجسم. ويقلل من احتمالات إصابته بالميكروبات والجراثيم.(١)

استخدامات العنب الطبية:

فهذا التوضيح لآية الله سبحانه وتعالى يكون أكثر تأثيراً في نفوس المدعوين.

ج – "وثمت مجال آخر يمكننا فيه استخدام حقائق العلم الحديث لتأييد حقائق الدين، وذلك بتعميق مدلولات بعض النصوص، وتوسيع نطاق مفهومها وزيادة توضيحه. بما كشف عنه العلم من مقدرات، وما توصل إليه من نتائج.(٢)

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾(٣).

وجد الباحثون أن الأنزيمات الهاضمة تحوّل الطعام إلى فرث يسير في الأمعاء الدقيقة، حيث تمتص العروق الدموية (الخملات) المواد الغذاية الذاتية، من بين ذلك الفرث، فيسري الغذاء في الدم، حتى يصل إلى الغدد اللينية، وهناك تمتص الغدد اللينية المواد اللبنية (التي سيكون منها اللبن) من بين الدم فيتكون اللبن الذي أخرج من بين فرث أولاً ومن بين دم ثانياً."(٤)

والله سبحانه وتعالى يخلق اللبن من بين الفرث والدم. وبينه وبينها برزخ من قدرة الله لا ينبغي أحدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة، بل هو خالص من ذلك كله.(٥)

فصناعة اللبن في مصنع بطن البقرة ... يحتاج إلى دراسة عميقة حتى يهدي إلى مدبره (الله

---

(١) وجناب من أعناب، أنس خير الله، منتدي مكتبة الأدب في جامعة حلب، المنتدي العالمي. http//:www.quran-m.com/firaslsa2011-3-8

(٢) في أصول الدعوة مقتسبات من كتب. د يوسف القرضاوي ، مصطفى ملائكة، ص ١٢٥، ط١، مكتبة وهبة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٣) سورة النحل، الآية: ٦٦.

(٤) توحيد الخالق ، الزنداني، ص ٥١، تراث الفكر العربي، ط ١٠.

(٥) الكشاف ، للزمخشري، ص ٤٤٨، ج ٣، مكتبة العبيكات.

عز وجل). وبهذا يعمق العلم في عقولنا وقلوبنا معنى النص القرآني فنزداد به هدى ويقيناً."[١]

ثالثاً: الرد على النظريات الباطلة التي تنسب إلى الدين:

هناك نظريات العلمية تخالف الدين كلية ، والناس يعتقدون بها، لأن علماء الغرب نشروها للتشكيك في الدين، فعلى الداعية معرفة شيء عن هذه النظريات التي تعارض الدين الإسلامي مثل: أن الكون حدث بالصدفة بلا خالق، كما يقول هكسلي: "لو أجلست ستة من القردة على الآلات الكاتبة، وظلت تضرب على حروفها ملايين السنين، فلا نستبعد أن نجد في بعض الأرواق الأخيرة التي كتبوها قصيدة من قصائد شكسبير، فكذلك كان الكون، الموجود الآن، نتيجة لعمليات عمياء ظلت تدور في المادة لبلايين السنين".[٢] فعلى الداعية أن يرد مثل هذه النظريات.

وإن منكري وجود الله كانوا دائماً يحاولون أن يبحثوا من تفسير حقائق الأرض وظواهرها في أحوال الأرض نفسها، كقولهم بأن الحياة نتاج لتفاعل العناصر الأرضية. والداعي إلى الله لابد له من معرفة أن الحقائق العلمية الجديدة قد أبطلت مثل هذه الأقوال الخرافية، وعلماء اليوم مضطرون ليبحثوا عن تفسير سماوي لحقائق الأرض. والنظرية الرائجة الآن بدلاً من نظرية الارتقاء، فهي نظرية (بان سبرما — Panspermla) التي تعني أن الحياة لم تظهر على الأرض بصورة عمياء، بل قد أرسلت إلى الكرة الأرضية من الفضاء الخارجي بصورة متعمدة."[٣]

وكذلك نظرية (النشوء والارتقاء) في الكائنات الحية، التي تعرف بنظرية (التطور) لداروين. وهذه النظرية تنطق بأن الإنسان هو جسم متطور من القردة، وهذه النظرية تعارض نظرية خلق آدم من تراب، وإلقاء روح الله في جسمه المادي ...

فمهة الداعية إلى الله أن يطلع على شيء من هذه النظريات وتقييمها من الناحية العلمية،

---

(١) في أصول الدعوة مقتسبات من كتب د. يوسف القرضاوي ، مصطفى ملائكة، ص ١٢٧.

(٢) الإسلام يتحدى ، وحيد الدين خان، ص ٧٢.

(٣) الإسلام والعصر الحديث ، وحيد الدين خان، ص ١٠٥.

حتى يمكن للداعية اتخاذ موقف محدد منها، بناء على دراسة صحيحة لا على خيالات أو إشاعات، والحكم للشيء أو عليه فرع عن تصوره.[١]

رابعاً: بيان مساهمات المسلمين في العلم التجريبي والرد على علماء الغرب الذين يظنون أنهم أول من بدؤوا به:

يجب على الداعية أن يطلع على دور علماء الأمة في الأخذ بالعلوم الكونية، ورقي الحضارة الإسلامية والقيادة العلمية. ولقد وعى علماؤنا توجيهات ربهم بالنظر والتفكر والتدبر والبحث، وتفاعلوا مع هذه الهدايات الربانية، فقدموا أعظم النتائج للمذهب التجريبي الحديث، الذي قام عليه كل (العلم) الأروبي.

وعلى الداعي أن يطلع على أهم ابتكارات علماء المسلمين حتى يبين أمام الناس مكانة علماء المسلمين، وفضلهم على علماء الغرب في العلوم الحديثة، بالاختراعات، والاكتشافات، والإنجازات الكثيرة.

فالمسلمون أول من رسم خريطة العالم بشكل مجسم على شكل كرة ...[٢] وأول من صنع الصابون من الصوداء، وجابر بن حيان صنع أنواع من الورق يقاوم الحريق، ويستعمل في تغليف المصاحف والتب القيمة[٣]، وابن الهيثم اخترع أول كاميرا في التاريخ. وابتكر طبيعية الغلاف الجوي حول الأرض، وقدر ارتفاعه ١٥ كيولوميتر وهو الصحيح.[٤] (الحسن بن الهيثم) المعروف في أوربا باسم الهازن والمشهور باكتساف انكسار الضوء.[٥]

---

(١) في أصول الدعوة مقتسبات من كتب د. يوسف القرضاوي، ص ٣٢.

(٢) كتاب العلوم الإسلامية ، أحمد شوقي الفخري، إشراف د. صالح عبد الله جاسم، ص ٤٦، ط١، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي إدارة الثقافة العلمية ١٩٨٥م.

(٣) نفس المرجع، ص ٦٢.

(٤) نفس المرجع، ص ٣٥.

(٥) روح الإسلام، سيد أمير علي أشرف، ترجمة: أمين محمود الشريف، راجعه: محمد بدران، ص ٢٦٤، إدارة الثقافة العام بوزارة التربية والتعليم.

كذلك خلفاء الأمة اهتموا بعلم الفلك، والرياضيات والجغرافياء والهندسة والطب وغير ذلك، فالخليفة المأمون كان أول من ابتدع مبدأ العمل الجماعي في البحث العلمي، فكون فريقاً من العلماء يبلغ سبعين عالماً ... وكلفهم بقياس محيط الأرض واثبات كرويتها، وقاموا تحت إشرافه بوضع خريطة متطورة للعالم سميت (الخريطة المأمونية).[١]

فهذا كله يرد على الأروبيين الذين زعموا أنهم وصنعوا أساس العلوم التجريبية في جانب، وفي جانب آخر فإن الاطلاع على أعمال علماء السلف يجعل إحياء المسلمين مرة أخرى، علماً وثقافتاً وحضارةً وقيادة ممكناً جداً.

خامساً: إن الداعية إلى الله تعالى لابد أن يعرف سلبيات هذا التطور العلمي والتكنولوجي مع ايجابياته، ويوضح أمام الناس الآثار السلبية في حياتهم الدينية الأسرية، والبيئة الاجتماعية مع عرض العلاج لهذه المشاكل.

وعلى الرغم عن اكتشاف الطبيعة وتسخيرها، وتوفر وسائل الراحة والترف المادي في العصر الحديث، لكن هذا التطور العلمي لم يصل إلى الحياة المثالية الخالية من الخوف، والألم، والحزن، واليأس، والشقاء، والبؤس، واللغو، والفاحشة، والقتل، والإرهاب، والدمار، والظلم، والعدوان، والقهر، والانانية، والاضطراب، والقلق!! أصلح العلم ظاهر الإنسان وعجز عن إصلاح باطنه، "أعطى العلم إنسان القرن العشرين سلاحاً انتصر به على بعض قوى الطبيعة، ولم يعطه ما ينتصر به على نفسه وعلى شهواته، وشكه، وقلقه، وخوفه، وتخبطه، وصراعة الداخلي والاجتماعي".[٢] ولا بأس عندها أن قلنا أن "عوامل الرقي ومظاهره حطمت توازن الطبيعة."[٣]

---

(١) كتاب العلوم الإسلامية ، أحمد شوقي الفخري، ص ٤٦.

(٢) الدين في عصر العلم، د. يوسف القرضاوي، ص ٧٩، ط٣،المكتب الإسلامي، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، بيروت – دمشق، عمان.

(٣) الإسلام والعصر الحديث ، وحيد الدين خان، ترجمة: ظفر الإسلام خان، ص ١٠٦، ط١، دار النفائس، بيروت – لبنان ١٤٠٢هـ - ١٩٨٣م.

عندما يستشعر الداعي الواعي هذا "القلق" عليه أن يقابل هذه المسائل ويوقظ الناس من هذه الغفلة.

يقول الدكتور نجيب الكيلاني في كتابه: "نراه اليوم ينطلق إلى ممارسات وتقنيات اختلاط فيها الخير والشر والفضيلة بالرذيلة، والصلاح بالطلاح، حتى أصبح سلاحاً في يد الطامعين، والمغامرين لتحقيق الغلبة، ونهب المستضعفين، ونصرة الباطل.[١]

أساس هذه القضية هو انفصال مهمة العلم ورسالته عن الهدى الرباني، واهماله للمبادئ والقيم الدينية الرفيعة. "وإن الإنسان يناشد العلماء والباحثين أن يراعوا في تطور التكنولوجيا والبحث العلمي واكتشافه القيم الأخلاقية التي تحمى البشرية من الدمار، وتحفظها في الانهيار، وتقيها من أخطاء الانفلات الأخلاقي في مجال البحث العلمي".[٢]

إن الداعية الذي يحسن استخدام حقائق العلم في المجالات التي ذكرناها يجد طريقه إلى أذهان الناس وعواطفهم سهلاً ومعبداً، ويقع كلامه من نفس المثقفين العصريين موقع القبول وحسن التأثير، ولعل هذا من أظهر الأسباب وراء نجاح بعض الدعاة المرموقين في عالمنا العربي اليوم".[٣]

بعض الدعاة الذين يستخدمون منهج التفسير العلمي في الدعوة إلى الله:

ومن أمثلة الدعاة الذين اتخذوا منهج التفسير العلمي كوسيلة من وسائل دعوة الحق إلى الخلق. الداعية الإسلامي المعروف فضيلة (الشيخ عبد المجيد الزنداني) وقد عرف الشيخ عبد المجيد — حفظه الله — ببراعته في الدعوة إلى الله بواسطة اللقاءات والحوارات العلمية مع أهل الاختصاص من علماء الطب وغيرهم من علماء الغرب الذين لا يدينون بدين الإسلام. وقد أسفرت هذه اللقاءات

---

(١) الإسلام وحركة الحياة، الدكتور نجيب الكيلاني، ص ٤٤، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت — لبنان١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

(٢) الإسلام متغيرات العصر (أبحاث ووقائع) إشراف وتقديم. أ. د. محمود حمري زقزوق، ص ٩، وزير الولاء معارف القاهرة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٣) ثقافة الداعية ، يوسف القرضاوي، ص ١٢٧، ط٦، مؤسسة الرسالة، بيروت — لبنان. ١٤٠٢هـ - ١٩٨٣م.

والحوارات عن هداية بعض هؤلاء العلماء، ودخولهم في دين الإسلامي.

والداعية الإسلامي د. زغلول راغب محمد النجار، وهو من الدعاة العاملين أيضاً بهذا المنهج، وله العديد من الأبحاث العلمية في هذا المجال نذكر منها (لمحات إعجازية عن أبواب السماء وظلمة الفضاء) وقد نشرته مجلة الإعجاز العلمي، وله أيضاً الكثير من المؤلفات والمحاضرات والمؤتمرات في هذا المجال، ومن أشهر كتاباته في ذلك مقالاته الأسبوعية في جريدة الأهرام المصرية، حيث يدعو الناس إلى الإيمان بالله وتوحيده، وعبادته من خلال إظهار الدلائل الكونية على قدرة الله تعالى وعظمته في صفحة ذلك الكون الفسيح ونشأته، في ضوء ما ورد ذكره في القرآن الكريم عن إشارات علمية لبعض الظواهر الكونية في خصائص مفردات الكون، وما توصل إليه، العلم الحديث وإثبات صحته في ذلك، مثلما ورد في خلق الأرض، والجبال، والبحار، والفضاء والماء ... ويبدؤ لنا تأثير ثقافته العلمية على طريقة الدعوية.

"العلم بالله يستدعي التفكر والنظر في خلق السموات والأرض وذلك هو الأساس الذي قام عليه العلم الحديث المبني على التجربة والمشاهدة، ويقتضينا الإنصاف أن نقول: إن الدعوة الإسلامية دعوة عقلية: تقوم على الدليل الحي، والبرهان المنطقي ما في ذلك شك، فيتدبر هذا الماديون الجاحدون." (١)

(١) التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن ، حنفي أحمد، ص ٢١، دار المعارف.

المطلب الثالث

الاهتمام بعبادة الله وحده

- العبادة لغة واصطلاحاً
- عبادة الكون لله عز وجل
- العبادة في حياة الداعي

العبادة لغة:

جاء معنى العبادة في لسان العرب: قال الزجاج (معنى العبادة في اللغة: الطاعة مع الخضوع) وقال الجوهري: معنى العبادة: الطاعة مع الخضوع، ومنه طريق معبد إذا كان مذللاً وطئته الإقدام. (١)

وعرفها الجرجاني في التعريفات: "العبودية الوفاء بالعهود وحفظ الحدود والرضا بالموجود والصبر على المفقود. (٢)

العبادة اصطلاحاً:

العبادة بالمعنى العام: "هي عمل العبد الإرادي الموافق لطلب المعبود." (٣)

والمعنى الشرعي للعبادة: "هو الالتزام بما شرعه الله ودعا إليه رسله، أمراً ونهياً وتحليلاً وتحريماً وهذا هو الذي يمثل عنصر الطاعة والخضوع لله." (٤)

إن العلماء لهم تعريفات كثيرة وأقوال متعددة حول تعريف العبادة، فمن أشهرها وأجمعها تعريف الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – عرفها بأنها :"هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة." (٥)

مفهوم العبادة واسع جداً،: فجميع الأعمال والأقوال والأفكار تتحول إلى عبادة إذا كان يكون مقصودها رضا الله ومحبته بالشعور أنه هو الخالق، والرازق، المدبر لكل شيء، وإخلاص كل

---

(١) لسان العرب ، ابن منظور،ص ٢٧٣، ٢٧٤، ج ٧، دار صادر بيروت.

(٢) تعريفات لسيد الشريف الجرجاني، ص ٩٧، مطبعة أحمد كامل. سلطان بايزده جادر جيلرجادة سي سنة ١٣٢٧هـ.

(٣) محاضرات في العبادات د. محمد أبو الفتح البيانوني، نقلاً عن مقومات رجل الإعلام الإسلامي ، تيسير محجوب الفتياني، ص ١٢٢، دار عمار.

(٤) رسائل فتيان الدعوة ، الشيخ جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين، ص ٦٦، ط١، شروق للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

(٥) العبودية ، الإمام ابن التيمية، تعليق محمد منير الدمشقي، ص ١٨ ط وتوزيع الرياسة العامة، البحوث العلمية والإفتاء، والدعوة والرشاد، الرياض ١٤٠٤هـ.

ذلك لله وحده لا شريك له وعموماً فكل مخلوقات الله ساجدة عابدة له مسبحة بحمده قال تعالى ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾[1] وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[3].

عبادة الكون لله عز وجل:

إن خالق هذا الكون الضخم الهائل، هو الله عز وجل، فخلق السموات، والأرض، وما فيهما من المخلوقات، فكل شيء في الوجود مهمة ورسالة ينبغي أن يؤديها: رسالة، للنبات رسالة، للحيوان رسالة، للشمس رسالة، للقمر رسالة، للأرض رسالة، للحشرات رسالة، ... كل واحد يقوم بأداء رسالته طوعاً أو كرهاً.

مثلاً: وظيفة الشمس أن تشرق في أناء النهار وتغيب في أناء الليل، وتنتقل حرارتها إلى الأرض كي يستفيد منها مخلوقات الأرض ... وكذلك جعل القمر نوراً في ظلمات الليل." مع ذلك يؤدي القمر وظيفة بعلم لعدد الشهور والسنين وبقدر مواعد العيدين.

وغاية النجوم أن جعل الله فيها دلائل وعلامات على أوقات كيرة لعمل من الأعمال كالزراعة والغراسة والاهتداء بها في السفر في البر والبحر وبها يهتدي السارون في ظلمة الليل وقطع القفاز الموحشة وبلجج المائلة".[4] كما قال الله تعالى: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾.[5]

---

(١) سورة الروم، الآية: ٢٢.

(٢) سورة الحج، الآية: ١٨.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

(٤) حكمة في مخلوقات الله ، الإمام الغزالي، ص ٧. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ٤، ٢٠٠٦م – ١٤٢٧هـ.

(٥) سورة النحل، الآية: ١٨.

فالشمس والقمر والنجوم قائمة بوظيفتها بدون أي قلق وليس لها أن تنحرف عما أمرت به. فهذه المخلوقات الضخمة تابعة لله عز وجل في كل حال ولا تليق بها أن تغفل عن وظيفتها. فالداعية المبصر عندما يتأمل في مخلوقات الله تعالى يجد الطاعة الكاملة.

فإذا تأملنا ذلك بعين البصيرة، وجدنا أن كل مخلوق في شتى أشكالها، وهي تعيش وجودها تعبر عن الطاعة والذل للخالق– عز وجل– الذي أوجدنا وأودع أوامره، فلا يستطيع أن تعصي أمراً.

"فلا الشمس تستطيع أن تشرق يوماً وتغيب يوماً حسب هواها لتعطي الدفء ووسائل استمرار الحياة لمن تريد ... وتمنعه عمن تشاء. ولا الهواء يستطيع أن يهب يوماً ويتوقف يوماً ... ولا المطر يستطيع أن يمتنع عن الأرض فتنعدم الحياة ويهلك الناس ... ولا الأرض تستطيع أن تمتنع عن إنبات الزرع...". [١]

فوجدنا كل واحد على طاعة سبحانه وتعالى واستسلام لأوامره وخضوع الكامل لخالقه – عز وجل –كما قال الرحمن:

﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾. [٢]

القنوات معناه: دوام الطاعة (كل له قانتون) يعني كل له مطيعون، ويقول الزمخشري: (قَانِتُونَ) منقادون لوجود أفعاله فيهم لا يمتنعون عليه. [٣] ويقول الجزائري في معنى (كل له قانتون) أي كل من في السموات والأرض من الملائكة والإنس والجن منقادون له تجري عليهم أحكامه كما أرادها فلا يتعطل منها حكم. [٤]

فما من شيء إلا مطيع وذليل وخاضع لخالقه – عز وجل – النحلة مطيعة لبضاعة العسل

---

(١) الموسوعة العلمية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية ، مجدي فتحي السيد، ص ٤٣٦، دار التوفيقية للتراث، القاهرة ٢٠٠٩م.

(٢) سورة الروم، الآية: ٢٦.

(٣) الكشاف ، الزمخشري ص ٧٣، ج٤، ط ١، مكتبة العبيكان، الرياض ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

(٤) أيسر التفاسير ، جابر الجزائري، ص ٦٩٧، ج ٢.

يتسلك سبل ربه ذللاً كما أوحى به كما قال الله عز وجل:

﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.(١)

النحلة وظيفتها انتفاع الناس بحياهت. فهي لا تعصي ربها.فما أجمل هذه الطاعة!!

فكل من في السموات والأرض لله رب العالمين وكل له قانتون في جميع أعمالهم.

فأيها الداعية المسلم ! أنت أنت في هذا مقام من القنوت!!؟؟

سجود المخلوقات:

أعلم أن هذه الكون بكل ما فيه من مخلوقات هي معبدة الله إما اختياراً أو إكراهاً ... فكل مخلوق فهو خاضع لله، عابد له عبادة لائقة بحاله وصنعه ويسجد لله – عز وجل –كما قال الله عز وجل في سورة النحل فيقول:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾.(٢)

والآية تقول: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ...﴾

فماذا يدخل تحت (من شيء).

فقال الأندلسي (من شيء) من شيء له ظل: من جبل وشجر وبناء وجسم قائم.(٣)

فكل شيء له ظل يسجد صباحاً ومساءً. والله سبحانه وتعالى بيّن (من شيء) في مقام آخر

---

(١) سورة النحل، الآيتان: ٦٨، ٦٩.

(٢) سورة النحل، الآية ٤٨.

(٣) تفسير البحر المحيط ، الأندلسي، ٤٨٣، ج ٥، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان. ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

فيقول:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ...﴾[١]

فأثبت سبحانه السجود لجميع مخلوقات الكون.

ويقول وهبة الزحيلي: (سجَّداً للهِ) أي "خاضعين له بما يراد منه، ومعنى السجود: الانقياد والخضوع".[٢]

"(سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ) أي أن الظلال ساجدة لأمر الله وحده، والسجود، الانقياد والاستسلام وهم صاغرون خاضعون،، منقادون لله. قال وهبة في تفسيره معنى الدخور: الصغار والذل.[٣]

إن الداعي المسلم المتأمل والمتفكر يرى الظاهرة سجود الظلال كل يوم صباحاً ومساءً ويأخذ العبرة والدرس لنفسه في هذه الآية – سبحانه وتعالى – وفكر أن جميع ما في الكون، يسجد لله فلماذا هو غافل عن ذلك!! بل هو أحق به منهم، فسجود الجمادات أصلاً كقدوة يدعو الإنسان الغافل إلى عبادة الله عز وجل كما قال البغوي في تفسير هذه الآية: "سجود الجمادات وما لا يعقل: ظهور أثر الصنع فيه، على معنى أنه يدعو الغافلين إلى السجود عند التأمل والتدبر فيه."[٤]

فهذه هي آية للإنسان البصير: وهي تدفعه إلى تفكير في نفسه وحاله، فيسأل نفسه داعياً إلى عبودية الله سبحانه وتعالى – ويقول: هل أنا أعبد الله بقدر عبادة مخلوقات هذه العالم؟ وأنا أشرف المخلوقات... ولأجل ذلك الله سبحانه – يسأل من الإنسان:

---

(١) سورة الحج، الآية: ١٨.

(٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، د. وهبة الزحيلي، ص ١٤٥، ج ١٤، دار الفكر، دمشق، سورية. ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

(٣) التفسير المنير ، د. وهبة الزحيلي، ص ١٤٦، ج ١٤.

(٤) تفسير البغوي، ج ٣، ص ٧١.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾.(١)

وكذلك الأشجار دائماً في عبادة، الله سبحانه وتعالى يبين أن كل مخلوق علم صلاته ولكن لا نعرف كيفية عبادته وصلاته، وتسبيحه، وسجوده، فإذا تأملنا في صنعة الأشجار المختلفة وجدنا أن منها على هيئة القيام، ومنها على هيئة الركوع، وبعضها على هيئة السجود، وتسجد الأشياء لله بالطاعة والخضوع صباحاً ومساءً حينما تتضيء ظلالها عن اليمين والشمائل، وهذه الظاهرة تساعد الداعي إلى على التذلل والخضوع لله وجد في عبادة ربه.

والآية تأتي بعد آية الظلال مباشرة تذكر سجود كل ما في السموات وما في الأرض خصّص هنا سجود الدواب كما قال عز وجل:

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾(٢)

يقول صاحب أيسر التفسير في شرح هذه الآية: (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ) "أي ولله لا لغيره يسجد بمعنى يخضع وينقاد لما يريده الله تعالى من إحياء، أو إماتة، أو صحة، أو مرض، أو خير، أو غيره من دأبة من كل ما يدب من كائن على هذه الأرض." (٣)

كل شي في الكن يقوم بما خلق وما سخر من أجله، يأتي في موضعه والدواب عابدة طائعة لله عز وجل – مسخرة لمرضاته طائعة لربها. "فترى الحمار يذل للحمولة والطحن، والفرس تركب ويحمل عليها السيوف والأسنة في الحروب وقاية لراكبها، والبقرة تذلل لحرث الأرض وهي مصنع اللبن التازج، ولحمها للأكل والهدي في سبيل الله، والكلب مسخر لحراسة منزل صاحبه حتى صار يبذل

---

(١) سورة النحل، الآية: ٤٨.

(٢) سورة النحل، الآية: ٤٩.

(٣) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، أبو بكر جابر الجزائري، ص ١٢٣، ج ٣، ط ٣، دارالحديث القاهرة. ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

نفسه ويترك نومه كي لا يصل إلى صاحب وما يؤذيه، والإبل يسمى "سفينة الصحراء" ويسافرون المسافرون إلى الأماكن الصحرية ..."

وهذا هو مظر الاستسلام التام لأمر الله فالدواب ليس لها مشسيئة وإرادة واختيار كإنسان، فكل من الدواب تلتزم بما هداها الله إليه.

استنتجنا من كل ما ذكرنا؛ أن جميع ما في السماوات والأرض وما فيها من مخلوقات – تقوم بثلاث – وظائف وأعمال كبرى هي:

١- طاعة الله – عز وجل – وذل له.

٢- السجود بين يدي سبحانه وتعالى.

٣- الاسستلام لأوامره

فمال بال يا أشراف المخلوقات داعي الإسلام! أين تذهب؟ بما استكبرت؟؟!! لماذا لا تسجد لعظمة ربك؟؟!! فكيف أنت تغفل عن طاعة خالقك وبائك؟؟! لماذا لا تجعل عبيداً له، قانتاً له، خاشعاً له!!﴿كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾.

العبادة في حياة الداعي:

لقد أشرت أن لكل شيء في الوجود غاية، هي عبادة الله عز وجل، ينبغي أن يؤديها، ما هي رسالة ومهمة الإنسان؟ الذي هو أشرف وأعظم المخلوقات ... فهل للعبث أو اللعب، أم خلق لقصد وغاية؟؟ لابد أن هناك غاية معينة لوجوده، وهي تمتمثلة في عبادة الله، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1] فمن قام بها وأداها، فقد حقق غاية وجوده، ومن قصر فيها أو نكل عنها، فقد أبطل غاية وجوده ... "وأصبح بلا وظيفة، وباتت حياته فارغة من القصد،

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

خاوية من معناها الأصلي الذي تستمد منه قيمتها الأولى." [١]

مع ذلك فليس لله حاجة إلى عبادة صنف أو مخلوق من مخلوقاته، ليزداد بها شرفاً أو علواً بل هو غني عن العالمين – وإذا كان الله جلا وعلا غني عن العالمين، فلماذا كلف الناس بعبادته وطاعته والانقاد لأوامر ونواهيه؟

لأن هذا الانقياد والذل يعود بالنفع على الإنسان، لأن فيه فلاحه وسعادته في الدنيا والآخرة، وثانياً لحاجة روحية والجسدية لأجل ذلك؛ أرسل خالق السموات والأرض جميع الرسل بالدعوة إلى عبادة الرحمن واجتناب عبادة الطاغوت كما قال الله تعالى في سورة النحل:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾. [٢]

والداعي إلى الله تعالى بحاجة إلى التربية الروحية مع التربية الجسدية، "وخير إعداد الداعية هو الإعداد الإيماني والزاد الروحي وقوة النفس". [٣] والعبادات التي تربى الروح نوعان:

(١) العبادات المفروضة: كالطهارة والصلاة، والزكاة والحج وغيرها.

(٢) العبادة بمعناها الواسع والتي تشمل كل عمل يعمله الإنسان أو يتركه بل كل شعور يقبل عليه الإنسان تقرباً إلى الله تعالى "فكل الأمور العادية، مع نية التقرب إلى الله سبحانه وتعالى عبادة، يثاب صاحبها، وتربي روحه تربية حسنة." [٤]

---

(١) رسائل فتيان الدعوة ، الشيخ جاسم، ص ٦٣، ط١، دار الشروق ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

(٢) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٣) أخلاق دعاة الإسلام ، ربيع الشيخ، ص ٢٣، ط ١، دار النشر والتوزيع الإسلامية مصر – القاهرة. ١٤١٧هـ – ٢٠٠٦م.

(٤) الدعوة الإسلامية الوسائل الخطط، المراحل، ص ٤٧١، أبحاث وقائع اللقاء الخامس لمنظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي، المنعقد في نيرولي بكينيا بتاريخ ٢٩ من جمادى الثاني إلى أول رجب ١٤٠٢هـ. الناشر الندوة العالم الإسلامي، الرياض ١٤٠٥هـ.

وكلا النوعين من العبادات لهما مقاصد خاصة بنسبة إلى الإنسان كما يقول الشاطبي: "العبادة لها مقصدان أصليان ومقصاد تابعة فالمقصد الأصلي فيها التوجه إلى الواحد المعبود، وإفراده بالقصد إليه على كل حال، ويتبع ذلك قصد التعبد لنيل الدرجات في الآخرة، أو ليكون من أولياء الله تعالى أو ما أشبه، ومن المقاصد التابعة للعبادة صلاح النفس، والثبات والفضيلة.

والداعية إلى الله تعالى لا يؤهل لإصلاح الناس إذ لا يصلح نفسه وأعدّ روحه وجسمه، ومن اللازم لحمل عبء مسئولية الدعوة إلى الله وإصلاح النفس أن يتروض الداعي ليوجد في داخله القوة التي تمكنه من رفع هذا العبء، وهذه القوة، هي قوة عبادة الله، وذكره، وتسبيحه صباحاً ومساءً وتلاوة القرآن والصلاة الخاشعة ... وسائر العبادات.

ولأجل ذلك أمر الله – رب العزت – بتسبيحه صباحاً ومساءً كما قال الله – عز جل – في سورة الروم:

﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ *وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾.[1]

(فَسُبْحَانَ اللَّهِ) هو التسبيح – أي التنزيه، وهو اخبار في معنى الأمر بتنزيه الله تعالى والثناء عليه، أي سبحوا الله بمعنى في هذه الأوقات التي تظهر فيها قدرته وتتجدد فيها نعمته.[2]

وقال بعض المفسرين: "المراد منه الصلاة، أي صلوا، وذكروا أنه أشار إلى الصلوات الخمس، وقال بعضهم أراد به التنزيه، أي نزهوه عن صفات النقص وصفوه بصفات الكمال."[3]

والداعي إلى الله دائماً متأملاً ومتدبراً في آيات الله في الكون وفي أنفس فكلما تأمل في ظاهره عبادة الكون لله عز وجل وسجود له، خضوعه لخالقه، واتباعه أوامره ازداد إيمانه وشعر بعظمة الله

---

(١) سورة الروم، الآيتان: ١٧-١٨.

(٢) التفسير المنير، د. وهبة الزحيلي، ص ٦١، ج ٢١.

(٣) التفسير الكبير ، للرازي، المجلد ١٣، إحياء التراث العربي، ط ٣، بيروت.

وكبريائه وقدّره حق قدره، وازداد إقبالاً على طاعة ربه وللجوء إليه، يستجيب على الفور على ندائه حي على الفلاح ... حي على الصلاة. الصلاة هي زاد الداعية إلى الله – عز وجل – ومصدر متجدد للطاقة الروحية. كما قال الربيع الشيخ:

"أن خير إعداد للداعية هو الإعداد الإيماني والزاد الروحي وقوة النفس، وخير وسيلة لذلك كله الصلاة والتبتل والتضرع إلى الله عز وجل لطلب العون منه على أداء التكاليف." (١)

والداعي القوي والمستيقظ لو حصل منه القصور في أعماله تنبه فوراً، كما حدث الشيخ عبدالعزيز ابن باز عن قصة تربوية من حياته فيقول – رحمه الله –: "قصة حصلت لي لا أزال متأثراً بها إلى اليوم، حدثت أيام شبابي، فقد كنت من المحافظين على الصف الأول في الصلاة، وفي يوم من الأيام تأخرت عن الحضور مبكراً لسبب القراءة في بعض الكتب لبعض المسائل الهامة التي شغلتني عن الصلاة، فلم أدرك الصف الأول وفاتني بعض الشيء من الصلاة، وحينما سلم الإمام، وهو قاضي الرياض الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، وكان أحد مشائخي – رحمه الله – حينما رآني أصلي في طرف الصف، تأثر لذلك كثيراً فحمد الله، وأثنى عليه ثم بدأ يتكلم وقال: بعض الناس يجلس في سواليف ومشاغل حتى تفوته الصلاة، – يقول سماحته – فعرفت أنه يعنيني بذلك الكلام، فلم أتأخر بعدها أبداً، وذلك الموقف الذي حصل لي لن أنساه أبداً." (٢)

وما حال الدعاة اليوم !! وعلى عاتقهم مسئولية ضخمة ... يحتاج إلى طاقة وقوة إيمانية وروحية ... كم منهم يجتهدون في هذا الجانب؟؟!!

فالداعية إلى الله يحتاج إلى الاستعانة ومدد الله سبحانه وتعالى، فعليه أن يكثر السجود حتى يسهل له طريقه، ونور السجود يسلكه إلى سبيله بالراحة الاطمئنان.

---

(١) أخلاق الدعاة الإسلام ، الربيع الشيخ، ص ٧.

(٢) معالم تربوية من سيرة الإمام عبد العزيز ابن باز ، الشيخ محمد الرحيم، ص ٩، بدون طبعة.

أثر الصلاة على الداعية:

عبادة الصلاة كصورة مصغرة للإسلام، تتميز باحتوائها السائر كليات الإسلام، العقيدة، والتربية النفسية، والجسدية، والعقلية، والروحية، والأخلاقية، والاجتماعية موجودها فيها ...

لكل عبادة من العبادات لها زادها وأثرها التربوي على حياة المسلم الداعي. فتأتي بعض الأثرات التربوي مما يلي:

١- الصلاة تربي الداعية على النظافة الظاهرية والباطنة. والنظافة القلبية ضروري للمسلم عموماً وللداعية إلى الله – عز وجل – خصوصاً حتى تكون محبة بين إخوانه المسلمين.

٢- تربي على تنظيم الأوقات والمواظبة به: توزيع الصلاة خمس مرات في أوقات الليل واليوم يساعد الداعي عن أراد تنظيم وقته، وترتيب شؤونه.

٣- تربي على وفا بالعقد والعهد: خمس مرات في اليوم وقوف بين يدي الله في أوقاتها بضبط، يجعل الداعية بوفاء بالعقد والعهد في سائر أعماله؛ كحضرته في المناظرة، واللقاءات والبرمج مختلفة.

٤- المراعاة بالأولويات: الاتجابة لنداء الأذان للصلاة وترك كل شواغل الدنيا، أعماله وللجوء إلى تهيئة الصلاة يربي الداعي على فهم ترتيب الأولويات في حياته الدعوية.

٥- الصلاة شفاء الصدور: الصلاة فهي الدواء الشافي من أمراض القلوب، وفساد النفوس، والنور المزيل لظلمات الذنوب والآثار.[1]

٦- تربي على المساواة: حضرة كل الصلاة في المسجد في صف واحد تدل على المساواة والتألف بين المسلمين وهي فرصة أن يتقرب به الداعي إلى المسلمين من مختلف أصنافهم وإطلاع على أحوالهم، وتتحقق بينهم الألفة، والمحبة، والتكافل والتعارف والوحدة.

---

(١) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة ، علي محفوظ، ص ٤٤٣، دار الاعتصام، ط ٩، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٧- تربي على انتظام الصفوف في حياة الداعية: إن صلاة الجماعة تربي على انتظام الصفوف ليس في الصلاة فقط بل في حقل الدعوة كذلك.

٨- تربي الصلة الوثقية بين الإنسان والكون: ومن ثمار الصلاة المستيقظة، الاحساس الحي بالصلة الوثيقة بين العبد والكون، وهنا يؤدي إلى راحة نفسية أنه ينسجم مع هذا الكون ويعبد الخالق كما يعبده الكائنات ويعزمه على إقامة دين الله الحق على كل الذرة الأرضية.

٩- قطع التكاسل والفتور: الصلاة تقطع التكاسل والفتور في نفس الداعية، وتنشط الداعية.

١٠- التحصن من مداخل الشيطان: الصلاة تحصن من تحديات الشيطان، ووسواسه حتى لا يفسد باطن الداعية من صفات مذمومة.

ويذكر علي محفوظ أثرات الصلاة على نفس الإنسان، في كتابه، فيقول: "إن الصلاة الكاملة تنير القلب وتهذب النفس، وتعلم العبد آداب العبودية، وواجبات الربوبية. والتحلي بمكارم الأخلاق؛ كالصدق والأمانة، والقناعة، والوفاء، والحلم والتواضع، والعدل والإحسان ... حتى تعلو بذلك همته، وتزكو نفسه فيبتعد عن الكذب والخيانة، والشر والغدر، والغضب والكبر."[1]

فالعبادة هي أعظم ثروة للدعاة إلى دين الحق، وهي أعظم زادهم الروحي وكذلك الأخلاقي، وتنعكس هذه القوة الروحية على من يدعوهم، وتكون سيرتهم أعظم دعاية من هو أعظم وخطبهم.

(١) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة ، علي محفوظ، ص ٤٤٢.

المبحث الثاني

وظائف الداعية المستفادة من آيات الله الكونية

ويشتمل هذا المبحث على مطلبين:

المطلب الأول: التخطيط في حياة الداعية

المطلب الثاني: الجمال في حياة الداعية

المطلب الأول

التخطيط في حياة الداعية

يشتمل هذا المطلب على النقاط التالية:

- **التخطيط لغةً واصطلاحاً**
- **دعوة الكون إلى وضع التخطيط**
- **التخطيط في حياة النحلة**
- **الدروس المستفادة للداعية من حياة النحلة**

المطلب الأول

التخطيط في حياة الداعية

التخطيط لغة:

يرجع التخطيط في اللغة إلى الخط، والجمع الخطوط، والخطة (بالكسر) يخطتها الرجل لنفسه، وهو يعلم عليها علامة بالخط ليعلم أنه قد اختارها ليبنيها داراً. وقولهم خطة نائية أي مقصد بعيد.(١)

ويقول صاحب لسان العرب أنه: الخط الطريق، الزم ذلك الخط ولا تظلم منه شيئاً.(٢)

والخطة كالخط كأنها اسم للطريقة.(٣)

التخطيط اصطلاحاً:

إن مصطلح التخطيط من المصطلحات الحديثة، والتي كثر استعمالها في الآونة الأخيرة، لذا اختلف علماء الإدارة في تعريفه وكل منهم نظر إليه من زاوية معينية. فبعضهم يرى أن التخطيط سلسلة من القرارات التي تتعلق بالمستقبل كما يقول ((فايول)): "إن التخطيط في الواقع يشمل التنبؤ بما سيكون عليه المستقبل مع الاستعداد لهذا المستقبل."(٤)

أو هو: التفكير المنظم اللازم لتنفيذ أي عمل، والذي ينتهي باتخاذ القرارات المتعلقة بما يجب عمله، ومتى يعمل وكيف، وما هي الإمكانيات البشرية، والمادية اللازمة لتنفيذه.(٥)

---

(١) المعجم الوسيط.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، ص ٢٨٧، المجلد ٧، مادة (خ ط ط)، دار صادر بيروت.

(٣) نفس المرجع، ص ٢٨٨.

(٤) الأصول الإدارية للتربية، د. إبراهيم عصمت مطاوع – د. أمينية أحمد حسن، ص ١٣٧، ط ٢، دار الشروق جدة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

(٥) كيف تحقيقن اهدافك الدعوية,فوزي بن عليويالجعيدhttp//saaid.net/afkar/sehoool/84.htm

وعرفه محمود كرم سليمان: بأنه "التخطيط منهج وأسلوب لتحقيق الاستخدام الأمثل لكافة موارد وإمكان المجتمع، وتنميتها للوصول إلى أهدافه في أقصر وقت وبأقل تكلفة.[١]

والتخطيط عند علي عبد الحليم محمود: "هو أسلوب في التنظيم، يهدف إلى وضع خطة، تؤدي إلى استخدام الموارد – مادية ومعنوية وبشرية – على أفضل وجه ممكن، وبأقل تكاليف ممكنة، وفي وقت مناسب، وفقاً لأهداف محددة من ذي قبل."[٢]

وقد عرفه بعض علماء الإدارة بأن التخطيط هو: "عبارة عن تحديد الأهداف المنظمة للفترة المقبلة وتحديد ما يجب عمله من أجل تحقيق هذه الأهداف."[٣]

ومن خلال ما سبق فأن التخطيط يشمل الأمور التالية:

١) تحديد الأهداف والمقاصد.

٢) تحديد أفضل الطاقات والإمكانيات المادية والمعنوية.

٣) تحديد الأوقات.

٤) التنفيذ الخطة.

دعوة الكون إلى وضع التخطيط:

إن الإنسان مدعو إلى وضع الخطط لتحقيق الغاية والهدف خلال استخدام حواسه، وفكره، وعقله. ويتجلى التخطيط والنظام وحسن الإدارة في جميع أجزاء الكون. فعندما يرى العاقل السماء يوجد فيها نظاماً دقيقاً في كواكبها وفي دورانها، طلوعها وغروبها وشمسها، وقمرها واختلاف مشارقها ومغارها ودؤوبها في الحركة على الدوام من غير فتور وخلل في حركتها ومن غير تغير في سيرها، بل

---

(١) التخطيط الإعلامي في ضوء الإسلام، محمود كرم سليمان، ص ٦، دار الوفاء، ط ١، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م.

(٢) فقه الدعوة إلى الله، د. علي عبد الحليم محمود، ص ٢، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع المنصورة.

(٣) التخطيط، د. حامد بدر، ص ١٠، إصدار الكويت كلية التجارة والاقتصاد. نقلاً عن منابر الدعوة الإسلامية المعاصرة، بدر عبدالرزاق عبد الله الماص، ص ٢٧٩، ط١، طبع على نفقة الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

تجري جميعاً في منازل مرتبة بحساب مقدر لا يزيد ولا ينقص، إلى أن يطويها الله تعالى طي السجل والكتاب، وكل هذا يدل على نظام، وترتيب وتنسيق وعمل مستمر نحو هدف معين.

لا شك إن في ذلك آيات لأهل العقل والبصيرة كما قال الله عز وجل :

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1].

فإنشاء النظام الكوني يدل على أكبر مخطط وأعظم مدبر. ولو نتأمل في موجودات الكون ومخلوقاته وجدنا أن الله سبحانه وتعالى أوضح في جبلية سائر المخلوقات النظام والترتيب. وحاسة الاستعداد للمستقبل ... فنأخذ النحلة وحياتها كمثال لمحسن الأدارة والتخطيط والتنظيم الاجتماعي.

التخطيط في حياة النحلة :

إن الداعية إلى الله تعالى دائماً متفكرفي خلق الله – عز وجل – وتفكيره ونظره بعين البصيرة وعين العبرة في آيات الله الكونية. فلو تفحصنا في حياة النحلة الصغيرة لوجدنا في خليتها النظام والترتيب، وحياتها لا تمشي إلا على خطة مرسومة.

ويذكر الله سبحانه وتعالى يذكر عن النحلة في سورة النحل فيقول:

﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

والله سبحانه – أرشد هذه الحشرة الصغيرة إلى طريقها، ولو نظرنا في حياتها وجدناها منظمه، هادفه، متجهة إلى نفع الآخرين. النحل يعش عيشة اجتماعية تفوق النظام البشري، فيوجد نظام دقيق للعمل بين طوائفه الثلاثة وهي: الملكة، والذكر والشغالة.

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢.

(٢) سورة النحل، الآيتان: ٦٨-٦٩.

النحلة الملكة:

بين الإمام الفخر الرازي في تفسيره: "أن النحل يحصل فيما بينها واحد يكون كالرئيس للبقية، وذلك الواحد يكون أعظم جثةمن الباقين، ويكون نافذ الحكم على تلك البقية، وهم يخدمونه ويحملونه عند الطيران". (١)

ويكتب محمد حسن الحمصي عن النحلة الملكة في كتابه النحلة تسبح الله أن : "جميع النحل في الخلية يدين لملكته بالاحترام والتبجيل ... بل إن هناك فئة من النحل تسمى (التوابع) تحيط دائماً باليعسوب (ذكر النحل) بينما تحيط الوصيفات بالملكة ... وهي تعمل على رعاية ملكتها، وتمهد لها السبيل، تزيل من أمامها جميع العوائق، وتضع أجسادها درعاً واقياً لها يقيها من كل طارئ."(٢)

ومن خصائص الملكة النحلة أنها هي الوحيدة التي تضع البيض فتضمن بقاء جنسها، وهي نشيطة في عملها، فتضع من ١٥٠٠ إلى ٢٠٠٠ بيضة يومياً. وهي تلقح بالذكر مرة واحدة في حياتها.

الفئة الثانية: النحلة الذكر:

إن عمله الوحيد في الخلية هو تلقيح الملكة العذراء. والذكور في عالم النحلة عادة لا يتغذى بعد التلقيح فيموت جوعاً كسلان وثمين من الآخرين، حتى أنه لا يأكل بنفسه بل النحلة الشغالة تتغذية، ولكن عندما تلقح الملكة.

النحلة الشغالة:

إنها العضو العامل المنتج في هذه المملكة. لقد تقاسم النحل الشغال فيما بينه جميع الأعمال المطلوبة في الخلية. فجموعة تقوم بتربية الصغار، وأخرى تدبر الغذاء، وثالثة تدافع عن الخلية، والرابعة تقوم للحراسة، والخامسة تحلب الرحيق وهكذا ...

---

(١) التفسير الكبير، للإمام الفخر الرازي، ص ٧٠، المجلد ١٠، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) النحلة تسبح الله، محمد حسن الحمصي، ص ١٠٧، ط ٥، دار الرشيد دمشق، ١٣٩٧هـ - ١٩٩٧م.

"فكل فئة تقوم بالمهمة الموكولة إليها بكل إخلاص، فتتفاني في سبيل المجموع."[١]

إن النحلة تنقسم عمليتها إلى المراحل الثلاثة:

المرحلة الأولى: بناء البيت:

والله – عز وجل – يقول في كتابه:

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾[٢].

فبناء البيت، هذا الوحي من الله – سبحانه وتعالى – للنحلة. وهذه هي المرحلة الأولى وهي صناعة المصنع للانتاج العسل، إن هذه المرحلة يقتضي الحكمة وماهرة هندسية، كما "أنها تبني البيوت المسدسة من أضلاع متساوية، لا يزيد بعضها على بعض بمجرد طباعها."[٣]

والدرسات الحديثة تبين أن: في كل أرجاء الدنيا، ومنذ غابر الأزوان تبنى بيوتها بمقياس موحد بحيث يكون قطر البيت ١/٥ إنش."[٤]

يظهر من ذلك أن النحلة تحرك هنا هنا من أمر ربه، وتفعل كما أمرت ولا تنسى حكم ربها لو مر بها زمان!!

وهناك بعض الحكم في بيتها مسدساً:

"أن النحلة أقيمت هذه البيوت على فكرة هندسة دقيقة بحيث يبنى أكبر عدد من البيوت في أقل مساحة.!![٥]، ولمنع الفتج الخيالية الضائعة فيما بينها[٦]، ولتربية اليرقات،

---

(١) نفس المرجع، ص ٥١.

(٢) سورة النحل، الآية: ٦٨.

(٣) التفسير الكبير، للرازي، ص ٦٨، المجلد ١٠، دار إحياء التراث العربي بيروت.

(٤) النحلة تسبح الله، ص ٢٦.

(٥) نفس المرجع، ص ٢٦.

(٦) التفسير المنير، د. وهبة الزحيلي، ص١٧، ج ١٤، دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان. ط ١، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

وملائمة لإنتاج العسل وحفظها.[١]

المرحلة الثانية:

المرحلة الثانية في صنع العسل تتلخص بما يمكن أن نطلق عليه اسم مرحلة جمع المواد الأولية (الرحيق) والزهور، حيث تتنحصص مجموعة كبيرة من النحل الشغالات في جمع الرحيق.

فإذا كانت هذه النحلة قد اكتشف نوعاً جديداً في مكان لم تسبق إليه، فإنها توزع حمولتها هذه من الرحيق، على ثلاث شغالات أو أكثر كي تتعرف نوع الرحيق من خلال رائحته الخاصة التي تدركها النحلة الشغالة، ثم تدلها، بوساطة نوع من الرقص البيهج - على اتجاه الرحيق - والمسافة التي تفصل بينه وبين الخلية ... ثم تعود بدورها إل الحقل لتجمع الرحيق من أزهاره.[٢]

إن النحلة تزور مليون زهرة في حياته كي تنتج ١/١٢ من ملعقة شاي. وتطير تقريباً ٥٥,٠٠٠ ميل كي تجمع بوند (Pond) واحد فقط.

وكل واحدة من الشغالات تعرف عمليتها وتقوم بها بدون أي جدل أو مخاصمة ولا تداخل في أعمال الأخريات.[٣]

يكتب قارل فون فريش في كتابه (النحل الراقص) أن "لقاعدة عامة فإن المجموعة الواحدة أو نفس المجموعة من النحل لا تجمع الرحيق وحبوب اللقاح معاً. ففي طائفة النحل ينتظم العمل تماماً كما يحدث في مصنع الأحذية حيث تعمل أعداد من الأيدي كل بقدرتها وطبقاً لتخصصها: واحد تقطع الجلد، وأخرى تخيط الجلد الذي قطع على الآلة، ثالثة تدق المسامير وهكذا، واحتفاظ كل عامل بمجال محدد من نشاط معين يقتضي مهارة خاصة."[٤]

---

(١) تفسير القرآن الكريم، ابن كثير، ص ٥٥٦، ج ٢، مؤسسة الكتب الثقافية.

* اليرقية هي مرحلة من مراحل تطور البيضة قبل أن تصير نحلة كاملة وهي الطور الثاني للبيضة وشكلها مثل الدودة.

(٢) النحلة تسبح الله، ص ٧٧.

(٣) نفس المرجع، ص ٧٧.

(٤) النحل الراقص، قارل فون فريش، ترجمة: د. أحمد حسن كاشف، راجعه: د. عبد الخالق وفا، ص ٢٤، بإشراف الإدارة العامة للثقافة بوزارة التعليم العالي، دار نهضة، مصر القاهرة ١٩٦٧م. The dancing Bee.Karlvon.Frisch

نفس الشيء يجري تقريباً داخل خلية النحل.

النحلة لا تضيع وقتها قط، فإذا مازارت النحلة جامعة الرحيق زهرة، تركت في تلتها رائحة حتى تعرف من تأتي بعدها أن ليس فيها الرحيق فلا تضيع وقتها وتنقل إلى زهرة أخرى.

المرحلة الثالثة:

تبدأ المرحلة الثالثة، بانتقال المواد السكري للنحلة الصانعة للعسل، فقامت النحلة بالعمل في معامل صنع العسل وتهيئة داخل الخلية.

تقسيم الأعمال بين النحلة الشغالات:

إن الأعمال توزع بين طوائف مختلفة، فكل شغالة تعمل بما هي مأمور به، فالبعض يبني كأمهر البنائين والمهندسين ليشيد قرص النحل، والبعض يستكشف مكان الطعام ليوفر الجهد عن الآخرين.[١]

وبعضها تتعدل الحرارة كي لا يفسد العسل وصلاحياته. والخادمات يحافظن على نظافه المملكة فينظفن الشوارع والأماكن.[٢]

وفئة أخرى من الشغالات مأمور بتجديد هواء الخلية. وهناك فئة الحراسة الجو."[٣]

والشيء الجدير يرى في توزيع الأعمال بين الشغالات هو: أن هذا التوزيع حسب سنها ودورته، وحسب الإمكانات التي تتوافر لديها.

أي إذا ما توافرت لديها المقدرة على إفراز الغذاء الملكي، قامت بتحضير هذا النوع من الغذاء لتقدمه إلى اليرقات والملكات، وإذا يتطور وصار جسمها أشد احتمالاً للتعب والمشقة، قامت

---

(١) مقالة النظام آية من آيات الله في النحل. htt//www.smsce.wm/ar/encyc/Iron/vermin/bsys1.htm.

(٢) تفسير القاسمي المسمي محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، ص ٥٤١، ج٤، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ط ١، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

(٣) النحلة تسبح الله، ص ٦٤.

بالعمل في معامل صنع العسل، وتهيئته داخل الحلية، وعندما كبرت، أصبحت متأهلاً للطيران الطويل والأعمال الشاقة فتقوم لتجمع الرحيق وحبوب اللقاح.

حقاً إنها لأعمال متدرجة في الصعوبة ... تنتقل فيها النحلة من طور إلى طور لتحربها جميعاً، وفقاً لتزايد إمكاناتها وتطور مقدرتها.

وهناك فئة الحراسة. هؤلاء العمال يقف على باب الخلية، وكل واحد تدخل في الباب واحدة. واحدة كي لا يكون فوضى وعدم انتظام.وكذلك شكلت النحل الشغالة جيش الحربي التي يقتل أو يجرح كل ما أراد أن يضر مملكته أو كل ما أراد أن يخلل نظام هذه المملكة.

أو لا يدل ذلك على وجود مخطط مدبر عليم حكيم؟؟

الذي علم هذه النحلة الصغيرة التدبير والتخطيط، والتنظيم في حياتها، وجعل ذلك عبرة، ودرساً للإنسان الحي المتأمل، المتفكر ...

حقاً ... إن هذه النحلة تتربع على عرش مملكة من الحشرات سميت خلية النحل، قد بلغت من الدقة المتناهية، والمعرفة العالية ما يجعل الإنسان يقف مشدوها أماها .. من أين تسنى لهذه الحشرة الصغيرة أن تحصل على هذه العلوم الدقيقة والمعارف الجلية؟؟ ثم من أين تسنى لها أن تتقيد بها وتنفذها بدقة تامة، منذ اليوم الأول لمباشرتها العمل، على الترتيب والدقة نفسها !!!

أليس في ذلك آية ونصيحة لكل عاقل، لكل مفكر، لكل ناظر ؟؟؟!!!

أليس حياة النحلة المنظمة، المخططة، درساً لكل عامل في أي مجال كان وخاصة للداعية إلى الله عز وجل؟؟!!

والله سبحانه وتعالى – يختم الآية بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

الدروس المستفادة لداعية من حياة النحلة:

هذه النحلة الصغيرة تدرس الداعية إلى الله أشياء نافعة كثيرة. نذكرها في السطور التالية:

١- إن الشيء المهم الذي تدرسنا النحلة هو، أن كل عمل المنتج لا يمكن أن يكون إلا بالعمل الجماعي الهادف والمنظم الذي يرتكز على قاعدة لا تهزها الرياح العاصفة، ولا الزلازل المدمرة، إنها قاعدة العمل بروح الفريق.

٢- إن حياة النحلة كلها مخططة، والأهداف واضحة عند كل واحد من ركن الخلية، وهذا يوحد طاقات الأفراد وجهودهم ويجعلهم تسير في اتجاه واحد مما يولد طاقة جبارة لصالح تحقيق الأهداف المنشودة.

٣- نجد التنظيم والاتحاد في صفوفها، وهي كالبناء المرصوص الذي تتعاون لبناته، وتتماسك فيما بينها، وكل عامل يؤدي دورها، كما تؤدي كل لبنة دورها في البناء.

٤- حياتها هي المثل الأعلى التخطيط وحسن الإدارة، كما أن نجد فيها أحسن نظام لتوزيع الأعمال بين أفرادها، هذا التقسيم حسب قدرات الأفراد وحسب إمكانات التي تتوفر لديهم. فعلى الداعي أن يراعي في تقسيم الأعمال؛ المهارة والتخصص لعامل في عمل الدعوة. وهذا كلها يساعد على احتفاظ على الوقت وأحسن الإنتاج.

٥- إن حياة النحلة تدل على اعتمادها على المرحلية والتدرج في الخطوات – تعمل النحلة عملاً بخطوات ومراحل متتابعة، ومتناسقة مع مراعاة فقه الأولويات. فينظر الداعي هذا يساعدها على ترتيب وتنسيق في العمل دون أي فوضى. ونرى أن كل منها تقمن بعمل ينتهي عند النقطة التي تبدأ منها عمل صديقتها، فلا تنسى الداعية أن عمل في كل مرحلة يعدو جزء من العمل الكبير، وذلك السهل على العاملين وهذا يؤدي إلى أحسن الإنتاج، كما يؤدي إلى الجودة في المنتوج.

٦- إن النحلة تحافظ على الوقت وتعرف قيمته – كما يرى الداعية أهل البصيرة أنها لا تضيع لحظة من حياتها كما أنها تبدأ عملاً مباشراً بعد ولادتها ولا يغفل عن مسئوليتها إلا الموت. وهي تستغرق وقتها لنفع الآخرين كذلك هذا درس للداعية "أن حياة المرء لا تقاس بعدد السنين التي عاشها من مولده إلى وفاته، ولكنها تقاس بما قام به في حياته من أعمال وتأثير هذه الأعمال في حياة الناس."(١)

٧- واعتبر الداعية إلى الله ! أن ليس في خلية النحل فرداً كسلاناً يهمل أداء واجبه الذي كلف به بل جميع العاملين يكونون نشطين ومجتهدين. إن الجهد الدائب المستمر يجعل صاحبه تحقيق غايته، لا شك أن النجاح لا يأتي بدون عمل.

٨- يوجد في خلية النحلة التعاون، والانسجام والتآلف والمحبة فيما بين العاملات، وكل واحدة تعمل لمصلحة المملكة ولهدف واحد. كما أن النحلة الشغالة تترك في الزهور مادة خاصة التي تبين أنها خالية من الرحيق، كي لا تضيع وقت وجهد الشغالة الاخرى. فإذا يكون التعاون والانسجام إلى هنا الحد، فتأتي الثمرة الحلوة للجميع على نفس المستوى.

٩- إن النحلة تبنى بيوتها مسدسة، بحيث يبنى أكبر عدد من البيوت في أقل مساحة فهذه الحشرة الصغيرة تتعلم الداعية إلى الله أن يخطط أعماله على أساس أن يفيد أكثر من أقل ميزانية وينتج أعظم النتائج في أقل استخدام أقل طاقات المادية والمعنوية.

١٠- إن الحكمة في جعل البيوت سداسية؛ منع الفرج الخالية، فيأخذ الداعية العبرة من صنع هذه الحشرة الصغيرة العاقلة – أن لا يكون أي خلل فرج بين صفوف عاملين

---

(١) مقومات رجل العقيدة على طريق الدعوة، مصطفى مشهور، ص ٧٣، ط ٢، دار التوزيع والنشر الإسلامية ١٣١٦هـ - ١٩٩٥م.

الدعوة. وأن لا يكون أي خلال بين البرنامج الدعوة.

١١- إن المحاربة لعوامل الضارة جزء من تخطيط النحلة، كذلك ينبغي على الداعية إلى الله دائماً ينبه بظروف غير متناسبة، والمخالفات، والعوائق الممكنة في طريق الدعوي، والنظريات والعقائد الفاسدة التي تضر دعوة إسلامية. فيجب عليه الاستعداد الكامل لهذه العوائق المتمكنة.

١٢- لقد وجدنا في خلية النحل حسن الإدارة وحسن القيادة، وإتباع القائد في جميع أوامره. إن الأمر القيادي لابد في حقل الدعوة، واتباع الأمير هو مفتاح كل خير ونجاح.

١٣- عمل النحلة تملئ بالإخلاص إن النحل يمضي حياته في الجهد الطويل وعمل المستمر، يطبع ربه بما أوحى إليه، ويسلك سبيل ربه مطيعاً، وثمرة هذا الإتباع هو حلوة، وهو "شفاء للناس" ليس فقط "شفاء للنحل"، وهو لا يريد أي أجر من الآخرين، كذلك على الداعي إلى الله أن يروض نفسه على تقديم الخير العظيم والنفع لغيره دون نظر إلى نفع أو شكر من الغير ولكنه يبتغي خالصاً لوجه الله ورضاه.

١٤- أن النحلة لا تيئس من ثمرة قليلة، كما هي تطير ...ر٥٥ ميل، تزور ٢ مليون زهور، وينتج في كل حياتها فقط ١/١٢ ملعقة الشاي، كذلك هذا درس للداعي إلى الله أن لا ييئس، لو كان أحوال غير موافقة له أو لا يسلم على دعوته إلا قليل فلا تنسى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : "خير لك من حمير النعم".

١٥- إن النحلة غير مستعجلة في أمورها، كما أن انتاج العسل يمر بمراحل عديدة، ويقتضي جهود اجتماعية وعمل مستمر، ويطالب وترتيب وتنسيق، ويحتاج إلى وقت طويل، ثم تأتي النتائج والثمرات. فعلى الداعية إلى الله أن لا يكون مستعمل لنتائج، يقول الإمام البناء – رحمه الله – في المؤتمر الخامس، يخاطب المتحسمين والمتعجلين

"... فمن أراد منكم أن يتعجل ثمرة قبل نضجها أو يقنظف زهرة قبل أوانها فلست معه في ذلك بحال – وخير له أن ينصرف عن هذه الدعوة إلى غيرها من الدعوات، ومن صبر معي حتى تنمو البذرة وتنبت الشجرة وتصلح الثمرة ...".[١]

إن الداعية إلى الله لا يستقيم عمله إلا بتخطيط قبله. و"التخطيط ضرورة من ضروريات منابر الدعوة الإسلامية بحيث لا تدع نفسها للظروف والمصادفات تسيرها سيراً عشوائياً اعتباطياً تعمل ما لا تريده، وتريد ما لا تعمله، وتدفع دفعاً إلى السير في غير طريقها، وإنما يجب أن تسير في خط واضح المعالم، محدد المراحل بين والأهداف، معلوم الوسائل."[٢]

ويساعد التخطيط على إيجاد الطريق السليم والصحيح الموصل لتلك الأهداف، وهو يساعد صاحبه على سرعة الإنجاز بالشكل المطلوب.

وضح الدكتور علي جريشة أهمية التخطيط في مجال الدعوة بقوله: الدعوة بغير تخطيط كبناء يقوم عليه بعض العمال، بغير رسم مسبق، أو كجيش يتجه إلى معركة بغير ترتيب لأجنحته، ومقدمته ومؤخرته. إن البناء لا يقوم ... وإن قام فعلى شفاء حرف هار لينهار في أقرب فرصة وينقض على رؤوس أصحابه من القواعد.[٣]

فالتخطيط وظيفة من وظائف الداعية إلى الله، ولا شك أن العمل بدون خطة يصبح ضرباً من العبث وضياع الوقت سدى، إذ تعم الفوضى والإرتجالية ويصبح الوصول إلى الهدف بعيد المنال، "فالتخطيط السليم يرفع من معنويات العاملين في منابر الدعوة، فكل فرد قد شارك في التخطيط

---

(١) نقلاً عن رسائل العاملين، د. جاسم بن محمد بن مهلهل بن الياسين، ص ٦٣، ج١، شروق النشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

(٢) الحل الإسلامي، د. يوسف القرضاوي ٢/٢٣٠ نقلاً عن منابر الدعوة الإسلامية المعاصرة، د. بدر عبد الرزاق عبد الله الماص، ص ٢٧٩، ط١، نفقة الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

(٣) أصول الدعوة الإسلامية، المستشار د. علي جرشية، ص ٦٠، ط ٢، مكتبة دار الوفاء للنشر والتوزيع، جدة ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

وعرف ماله وما عليه مما يخلق نوعاً من الالتزام من جانبهم لتنفيذ الخطط واستيعابها."[١]

كذلك يفيد التخطيط في تحديد مهام العاملين في البرنامج الدعوي أو الخطة الدعوية عموماً، وطريقة أدائهم، مما يساعد على إدارتهم وتوجيههم بالطريقة المناسبة لتحقيق الأهداف المطلوبة، ويفيد في جعل البرامج والخطط أكثر شمولية وتكاملاً.

(١) منابر الدعوة الإسلامية، د. بدر عبد الرزاق عبد الله الماص، ص ٢٧٩، ط١، نفقة الهيئة الخيرية الإسلامية.

المطلب الثاني

الجمال في حياة الداعية

يشتمل هذا المطلب على النقاط التالية:

- **معنى الجمال**
- **الآيات الكونية يتعلق بالجمال**

(١) الجمال في صنع الله عز وجل

(٢) عناصر الجمال

(٣) الزينة مظهر من مظاهر الجمال

- **الاهتمام بالجمال وظيفة من وظائف الداعية إلى الله**

(١) الجمال في شخصية الداعية

(٢) الجمال في خلق الداعية

(٣) الجمال في عملية الدعوة الإسلامية

المطلب الثاني

الجمال في حياة الداعية

معنى الجمال لغة:

الجمال: مصدر جمل بضم الميم، والرجل جميل والمرأة جميلة، وجملاء عن الكسائي وأنشد:

فهي جملاء كبدر طالع بزت الخلق جميعاً بالجمال .

وقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾[1]، أي بهاء وحسن.

وعند ابن سيده: الجمال الحسن يكون في الفعل والخلق. أبو زيد: جمل الله عليك تجملاً إذا دعوت له أن يجعله الله جميلاً حسناً. قال ابن الأثير: والجمال يقع على الصور والمعاني، ومنه الحديث إن الله جميل يحب الجمال أي حسن الأفعال كامل الأوصاف.[2]

يفسر الإمام القرطبي معنى الجمال فيقول: أنه يكون في الصورة وتركيب الخلقة، ويكون في الأخلاق الباطنة ويكون في الأفعال.

فجمال الخلقة: فهو أمر يدركه البصر، ويلقيه إلى القلب متلائماً، متعلق به النفس من غير معرفة بوجه ذلك ولا نسبته لأحد من البشر.

وجمال الأخلاق: كونها على الصفات المحمودة من العلم والحكمة والعدل، والعفة، وكظم الغيظ وإرادة الخير لكل أحد.

وجمال الأفعال: فهو وجودها ملائمة لمصالح الخلق وقاضية لجلب المنافع فيهم وصرف الشر عنهم.[3]

---

(١) سورة النحل، الآية: ٦.

(٢) لسان العرب، لابن منظور، ص ١٢٦، المجلد ١١، (من باب جمل) دار صادر.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ص .، المجلد ٥، مكتبة الغزالي، مؤسسة مناهل العرفان.

الجمال صفة تلحظ في كل شيء موجود، ويبعث في النفوس سروراً وراحة، وله قيمة بارزة في حياة الناس. الجمال عند الفلاسفة له باع طويل، وكلام كثير وأبعاد متنوعة، ولكن الذي نحن بصدده ويعنينا هو الجمال في الكون، ومهمة الداعية إلى الله في هذا الجانب وبيان أثره على الداعية مظهراً وأخلاقاً، وأفعالاً.

الجمال في صنع الله:

"إن الله جميل يحب الجمال" فالجمال صفة من ذات الله سبحانه وتعالى، وهو الذي يحب الجمال في كل شيء، وهذا الحب للجمال يقتضي أن يضع كل شيء على أساس الجمال. فهذا الكون من حولنا، مليء بالأسرار، مليء بآيات الجمال. فإذا تأملنا هذا العالم وجدناه كبيت جميل يتزين بكل ما يحتاج إليه، فالسماء مرفوعة كالسقف، والأرض ممدودة كالبسط، والنجوم منصوبة كالمصابيح، والذخائر مخزونة كالذخائر...".[1]

إن هذا الجمال في الكون ليس فقط حسياً تحس به الحواس الإنسانية، بل هذا الجمال قد يكون معنويات مخفياً في داخل الأشياء، يعرف بأثاره على الآخرين. فعلى سبيل المثال تخفي ظاهرة الليل وظاهرة النهار مظاهر جمال معنوية وحسية،فالضوء، والحركة، والحرارة هي من مظاهر الجمال الحسي في النهار، وما فيه مصالح لعباد الله لابتغاء فضل الله فهو من مظاهر الجمال المعنوي... كذلك النجوم والقمر ومنازلها من زينة السماء وجمالها في ظاهرة الليل، وأما السكون، والراحة والصمت فهي من مظاهر الجمال المعنوي في الليل.

فإن هذا الكتاب المفتوح يدعو الناس إلى جماله، وكذلك الكتاب المقرؤ يدعو الناس إلى النظر في الكون، ولم تكن دعوته هذه تنصب على الجانب التجريبي العملي من أجل استغلال كنوز الطبيعة

---

(١) مجموعة الرسائل للإمام الغزالي، كتاب: الحكمة في مخلوقات الله عز وجل، ص ٤، ط ٤، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ٢٠٠٦م – ١٤٢٧هـ.

وإمكانياتها فحسب، "بل رافق هذه الدعوة توجيه إلى الجانب الانفعالي الجمالي من أجل تنمية وتهذيب الإحساس البشري ورفعه إلى الدرجة التي يستحقها الإنسان باعتباره مخلوقاً متذوقاً حساساً، وهو ما يهدف الفن إليه."(١)

والله سبحانه وتعالى يشير إلى الأسباب التي تجمل الأرض فيقول:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.(٢)

هاتان الآيتان تشيران إلى جمال الماء وأثاره على المخلوقات، فأنزال هذا الماء من السماء مع وجود لصالح للناس والأشجار، وجعل الأرض جميلة بالنبات والأشجار، وتكون الأرض أجمل بهيئة الفواكه وألوانها وطعومها من الزيتون والنخيل والأعناب.

إذن فقد وضع الله سبحانه وتعالى الجمال في كل شيء في هذا الكون، ووضع هذه الصفة الجمالية في نفس الإنسان، وهذه حاسة تفرق بين الحسن والقبح، ولقد ورد لفظ الجمال والجميل في ثماني آيات من القرآن الكريم، منها موضع واحد عن الجمال الحسي، وتحدثت المواضع السبعة الأخرى عن الجمال المعنوي والخلقي.

والله سبحانه وتعالى ذكر عن جمال الحسي في سورة النحل وأشار إلى منظر رواح وسبروح الأنعام فيقول:

﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾.(٣)

يقول العلامة القرطبي الجمال: ما يتجمل به ويتزين – والجمال (الحسن).(٤)

---

(١) المسلمون والعصر د. محمد الرهيمي (مقالة: شيء عن الموقف الجمالي في الإسلام، د. عماد الدين خليل) ص ١٤٤، كتاب العربي، سلسلة فصلية تصدرها مجلة العربي، الكتاب الرابع عشر ١٥ يناير ١٩٨٧م.

(٢) سورة النحل، الآية: ١١.

(٣) سورة النحل، الآية: ٦١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ص ٧٠، المجلد ٥، مكتبة الغزالي، مؤسسة مناهل العرفان.

ففي النظر إلى الإنعام وهي تنتشر في المراعي صباحاً ومساء جمال ومتعة لصالحيها والقرآن يفرض على الإنسان أن ينظر إلى هذا الجمال ويتأمل به في الكون، مما يقوي إيمانه وعقيدته، وخاصة الداعية إلى الله لأن عليه مهمة بلاغ الرسالة إلى سائر العالم، والقرآن "فتح أوسع نظرة جمالية متفحة، للإنسان على الآفاق، لأن نظرة الإسلام في جوهرها نظرة كونية، ولأن الإنسان المسلم انسان كوني لا تحده حدود الاقليمية أو العنصرية، أو حتى الأرضية، إنه لا يهفو لأن ينسجم ويتفاعل، مع هذا الكون، الذي هو بضعة منه.)[١]

كما قوله تعالى:

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.[٢]

والكون كله جميل بما فيه باعتبار هيئته وباعتبار وظيفته ومنافعه؛ وجعل الله سبحانه وتعالى جعل في هذا آيات كونية وبراهين جمالية لقوم يعقلون. فيطالب أصحاب العقول أن يتفكروا في آيات الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم ويستشعروا بجمالها حتى يدركوا الجمال والحسن في داخل.

يقول حسام حميدة: "الإحساس بالبعد الجمالي والأفعال به لون من ألوان العبادة في دين الله، والنفس التي لا تستطيع الانفعال بالجمال ولا تستشعر رقياً داخلياً وسمواً نفسياً عند التعامل مع الجمال وتجد عكس ذلك الشعور عند الإحساس بالقبح هي بلا شك نفس فضلاً من كونها غير سوية فهي أبداً لم تكن إسلامية قريبة الروح من الله الذي هو جميل يحب الجمال."[٣]

"والكون الذي يعيش فيه الإنسان، والتأمل في جمال الكون ينمى في الإنسان قيماً جمالية،

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، د. علي خليل مصطفى أبو العينين، ص ٢٠٣، ط ٢، دار الفكر العربي ١٩٨٥م.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢.

(٣) نظرات تربوية في الدعوة والجماعة، حسام حميدة، ص ٩، ط١،دار التوزيع والنشر الإسلامية – مصر، القاهرة١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

ليحس بالطبيعة إحساساً عميقاً خصباً، ويكتشف ما فيها من نظام وتوافق، ومن ثم فإنه يكتسب خبرة جمالية."[١]

كذلك الداعية إلى الله ينطلق هذا الشعور بالجمال في الكون، إلى قلبه وروحه لإحياء معيار الجمالية في ذاته، وملبسه، ومأكله، ومشربه، وكلامه، ومشيه، وأخلاقه، وأفعاله، وحبه للخير، في دقة وحسن في سائر أعماله.

يقول محمد الغزالي عن الجمال: "الجمال عمل حقيقي في جوهر النفس، يصقل معدنها، ويذهب كدرها، ويرفع خصائصها، ويعصمها من مزالق الشر، وينقذها من خواطر السوء ثم يبعثها في الحياة، كما تنبعث النسمة اللطيفة في وقدة الصيف، أو الشعاع الدافئ في سبرة الشتاء ...!![٢]

عناصر الجمال:

من خلال ما سبق فإن الجمال يشمل العناصر التالية:

(١) الهيئة الحسنة (٢) الدقة والتوازن (٣) التوافق والتناسق (٤) حسن النظام (٥) النافع للغير

(١) الهيئة الحسنة:

هي عنصر بارز من عناصر الجمال، وعنصر حسي وظاهريفالكون كله جميل بمظهره وهيئته، فإذا نظرنا إلى السماء وجدناها زرقاء، ملائمة تسر الناظرين،... وإذا انظرنا إلى الجبال نجدها ضخمة، تحمل رعباً ودهشة وجلالاً في ظاهرها، ولكنها لا تخلو عن مظهر الجمال ... يتزايد جمالها باختلاف أنواعها وألوانها، فمرة هي خضراء ممتلئة بالأشجار، ومرة سوداء بدون أي شجر، وهذه تعطي منظراً رائعاً، إذا غطت بالثلج الأبيض الناصع...

---

(١) القيم التربوية في القصص القرآني، سيد أحمد طهطاوي، ص ١٤٦، ط١، دار الفكر العربي، مصر ١٤١٢هـ - ١٩٩٦م.

(٢) جدد حياتك، محمد الغزالي، ص ١٥٦، دار الكتب الحديثة، شارع الجمهورية بعابدين بدون ذكر طبع.

كذلك النظر إلى الفواكه المختلفة التي ترتاح لها العيون وتتمطع بها النفوس، كما أن لكل فاكهة شكلها، ولونها مرئة، وطعمها لذذة، فهذا جمال في الشكل واللون والطعم يدل على الصانع الذي يحب الجمال.

(٢) الدقة والتوازن:

وهذا عنصر مهم من عناصر الجمال. جمال الشيء أصلاً يظهر في دقة صنعه وتوازنه. وهذا من حكمة الله عز وجل وكماله. كما قال الله تعالى:

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[١].

"إن هذه السماء صفحة من كتاب الكون، تنطق بالحق الذي فازقوه، أفلم ينظروا إلى ما فيها من تشامخ، وثبات، واستقرار، وإلى ما فيها بعد ذلك من زينة وجمال وبراءة من الخلل والاضطراب..."[٢] وكذلك الأرض صفحة من كتابه القائم على الحق المستقر الأساس الجميل البهيج، فالامتداد في الأرض والرواسي الثابتات، والبهجة في النبات تمثل كذلك صفة الدقة، والاكمال والجمال يلمس القلوب، وتشاهد بصفة الجمال لله – عز وجل – فالكون متوازن، ومتناسب إلى حد لا يمكن تصوره.

والله سبحانه وتعالى خلق الماء على وجه الأرض بقدر معين، فيغطي الماء أغلب الأرض وإذا اختلت هذه النسبة يفسد جمال الأرض، ويفسد النبات، وتهلك الحيوانات والناس على الأرض، وتجف البحار والأنهار، وكثرة الماء أمر ضروري لاستمرار الاعتدال الموسمي على الأرض، ... وبدون التوازن في الأشياء ينتقل إلى هذا الجمال منظر قبيح وخطير!!!

كذلك هناك توازن الغازات في الفضاء الكوني فلولا هذا التوازن لاختل الكون، وما فيه من

---

(١) سورة النحل، الآية: ٣.

(٢) أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، د. حمد بن ناصر عبد الرحمن العمار. ص ٦٢٨، دار شلبيا، الرياض ط ٢، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

النظام، والثبات، والاستقرار والكمال، والجمال والراحة ...

(٣) التوافق والتناسق:

تناسق الخلق والتنائي عن العيب مظهر أصيل للجمال.

الجمال الحسي ظاهر في كل مخلوق متناسق، لا عوج في خلقه، ولا اضطراب، ولا تشويه، وخلق الله تبارك وتعالى الكون بما فيه ومن فيه على أكمل صورة وأجملها. "فنظرة إلى السماء كافية لرؤية هذه الزينة ولادراك أن الجمال عنصر مقصود في بناء هذا الكون، وأن صنعة الصانع فيه بديعة التكوين جميلة التنسيق، وأن الجمال فيه نظرة عميقة لا عرض سطحي، وأن تصميمه قائم على جمال التكوين كما هو قائم على كمال الوظيفية سواء بسواء. فكل شيء فيه بقدر، وكل شيء فيه يؤدي وظيفته بدقة وهو في مجموعة جميل."[1]

فهناك تناسق وتوافق في أنزال المطر وإحياء الأرض الميتة، وبين تصريف الرياح وتصير السحاب، وهناك تناسق وتوافق في ظاهرة الليل والنهار والفصول الأربعة.

(٤) حسن النظام:

إن الكون يخضع لنظام صارم ودقيق، وضعه الله، فكل ذرة من ذرات هذا الكون لها مكانها، وموقعها المحدد، ولها حركتها بها، وهناك انسجام ونظام شامل يلف الحركة في الكون كله على سعة أرجائه. فالشمس والقمر وجميع الكواكب تجري في مدار خاص، وتتم منازلهم بنظام معين، فهذا النظام يدل على تعاقب الليل والنهار، وإرجاء الفصول الأربعة على سطح الأرض، وبقاء الكون وحسنه، وسلامة الخلق ... لولا هذا النظام في الكون لأختل الكون وفسد ما فيه. فالنظام في أي شيء يحسنه، ويمحى نقائصه.

---

(١) كتاب التوحيد، الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد يحيى بن منده، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه، د. علي بن محمد بن ناصر الفقهي، من ١٥٢، المجلد الأول.

(٥) النفع للغير:

حسن الشيء وجماله قائم في منفعته للآخرين. فأينما جاء ذكر الجمال يجيء معه ذكر نفعه للآخرين. كما قال الله عز وجل:

﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾[١].

ومعنى دفء هو ما يدفئ أي يسخن به من صوف أو وبر أو شعر، فيقي البرد.[٢]

وقال تعالى:

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾[٣].

وبعد ذكر المنافع جاء ذكر الجمال في هذه الظاهرة مباشرة كما قال الله – عز وجل –:

﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾[٤].

إننا نجد تزامناً في خلق الله ومظاهر الكون بين الأداء الوظيفي وبين الأداء الجمالي، كما قال الله تعالى عن النجوم:

﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾[٥].

فهي علامات تهدي المسافر في البر والبحر وهي التي يتزين السماء. "فهو أداء وظيفي ولكن بجوار ذلك الدور الوظيفي العمل الملموس للحواس، فهناك الدور الجمالي الملموس بالروح والوجدان."[٦]﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾[٧].

---

(١) سورة النحل، الآية: ٥.

(٢) تفسير القاسمي، ص ٥٠٤، المجلد ٤، ط١، مؤسسة تاريخ العربي، بيروت – لبنان، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

(٣) سورة النحل، الآية: ٨٠.

(٤) سورة النحل، الآية: ٦.

(٥) سورة النحل، الآية: ١٦.

(٦) نظرات تربوية في الدعوة والجماعة، حسام حميدة، ص ٩، ط١، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة.

(٧) سورة فصلت، الآية: ١٢.

الزينة مظهر من مظاهر الجمال:

قال تعالى:

﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[١].

خلق الله سبحانه وتعالى –الخيل والبغال والحمير لمصالح عباده فالركوب يحقق منفعة مادية مؤكدة،والزينة تحقق متعة جمالية فنية.

وقال تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٢].

فهذه الآية تدل على استخدام الزينة، مع الانتفاع باللحم الطري "فلم يقصر فائدة البحر على العنصر المادي المتمثل في اللحم الطري الذي يؤكل، فينتفع به الجسم، بل ضم إليه الحلية التي تلبس للزينة فتمتع بها العين والنفس."[٣]

الاهتمام بالجمال وظيفة من وظائف الداعية إلى الله:

إنما يفيض به الكون من الجمال لا يحتاج إلى برهنه أو تدليل، بل يكفي أن يرسل المرء حواسه ويفتح قلبه ليلقى الجمال في كل مكان، كالكائنات على تنوعها كبيرها، وصغيرها، عظيمها وحقيرها، بجليلها وبسيطها، تنشد كلها أنشودة مشتركة عذبة أسمها الجمال، هذا ما يجعل المرء في حيرة من أمره إذا ما حاول الاستعراض أو التتبع...[٤]

---

(١) سورة النحل، الآية: ٨.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٤.

(٣) ملامح المجتمع المسلم، يوسف القرضاوي، ص ٢٤٥.

(٤) مقالة: الله يتجلى في الجمال، الشيخ مصطفى اليهوفيhttp//ww.www.islamhouse.com.

فيايها الداعية فهل يتأمل جمال الزهرة أو الفاكهة؟!!

وهل يلتفت إلى النجمة بتلألئها؟! أيتأمل منازل الكواكب وجرياتها؟!!

أيلمح إلى تعاقب الفصول الأربعة، أم إلى تقلب الليل والنهار؟؟!!

ثم هل يستعرض من مشاهد الجمال ما يملأ العين أو ما يطرب الأذن أو ما يسر الحواس الأخرى؟!!

يتكلم أحد الكتاب المسلمين المعاصرين (صالح شاهي) عن الجمال فيقول (الجمال حقيقة ثابتة في كيان هذا الوجود، وهو قيمة من القيم العليا تعلو على المنفعة واللذة، وهو سمة بارزة من الصنعة الإلهية، وإن وجوده فيها مقصود لا عرضي، وهو الذروة دائماً إذ به تستكمل القضايا والأشياء.)[١]

وإذا كان (الجمال سمة بارزة من سمات هذا الوجود وإن لم يكن أبرز سماته، والحس البصير المتفتح يدرك الجمال من أول وهلة، وعند أول لقاء)[٢] فإن من اللازم تأهيل الشخصية الدعوية الإسلامية، للإحساس بهذا الجمال مما حولها، والإدراك به، فآيات الجمال في الكون تستهدف إلى تنمية الحس الجمالي لدى الإنسان، وتتطلب من الإنسان؛ أن يعيش حياته وهو يشعر بما حوله من جمال الكون والحياة، وما أودع الله في سائر مخلوقاته من جمال وتناسق وتوافق ونظام .... وأن الخبرة الجمالية، (هي إحساس الإنسان بالطبيعة إحساساً عميقاً، خصباً، ومنيراً، واكتشافه، لما فيها من نظام وانسجام وتوافق.)[٣]

والداعي إلى الله سبحانه وتعالى يستهدف أن يتجاوب مع هذا الجمال والتناسق الذي أودعه الله مخلوقاته فلا يفسده، ولا يتجاهله، وإنما يتجاوب معه ويزيده كلما استطاع، "وأن من واجبه أن

---

(١) مقالة: (الإسلام وقيمة الجمال ... نظر متميزة.) موقع د. فيفين عبد الخالق.

(٢) محمد قطب، منهج الفن الإسلامي، ص ١٢٥، دار الشرواق، بيروت — د. ت.

(٣) عماد الدين خليل: في النقد الإسلامي المعاصر، ص ٤٠، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٣٩٤هـ - ١٩٧٢م.

ينعكس هذا الجمال عليه، فيحاول أن يكون متحلياً بالجمال في نفسه وخلقه وروحه وحبه للخير، وفي ملبسه ومأكله وشربه، ومسكنه، وكل مكان يعيش فيه."[١]

وعلى الداعية إلى الله تعالى أن يكتسب الحس الجمالي بالطرق التالية:

١- النظر والتأمل في مشاهد الكون كلها من السماء، والنجوم، والقمر، والشمس والأرض وما فيها ...

٢- التفكر في ما جاء في القرآن عن آيات الله الكونية ما فيها من التناسق والتوازن الجمال.

٣- التوجيه نحو الجمال في العبادات التي تتوازن فيها الحركات الجسدية مع الروحية، وهو تناسق يعطي جمالاً رائعاً.

٤- التوجيه إلى إدراك التناسق، في علاقة جميلة بين الطبيعة والإنسان.

٥- التمييز بين الموجودات في أشكالها، وأحجامها وألوانها أو طعومهاوروائحها وأصواتها، ينمى الحس الجمالي لدى الإنسان. والتربية الجمالية لدى الدعاة افسلامي أهم للأمرين هما:

(١) الحسن والتكامل في شخصيتهم.

(٢) التأثير والنجاح في دعوتهم.

يتكلم د. عبد الحليم عويس عن الجمال وإهمال المسلمين له فيقول:

فإن المسلمين للأسف قد أهملوا الجمال في حياتهم، بل حاربوه في بعض الأحيان، وبالتالي تخلفوا عن فهم عناصر الإبداع والإنسجام في الكون والمجتمع وفقدوا حاسة الاختراع.[٢]

وبعد تنبيه المسلمين لهذا النقص يشير إلى نقطة مهمة فيقول: (إنني هنا لأدعو إلى إنشاء علمين معاهد الإسلام وكليات: أحدها (علم السنن الكونية) وثانيها (علم الجمال والنظام)، فإننا إذا

---

(١) منهج التربية عند الاخوان المسلمين، د. عبد الحليم محمود، ص ٤٨٥، ج١، دار الوفاء المنصورة ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

(٢) سبيل الرشاد في الدعوة والإرشاد، د. محمود علي حماية، ص ١٧٤، دار المعرفة، القاهرة.

فعلنا ذلك نكون قد وضعنا أقدامنا على الطريق الصحيح نحو ثقافة وحضارة تنتميان حقاً إلى القرآن، وتعيدان للوجود ألق العصر القرآني.)[١]

٢- الجمال في شخصية الداعية:

يجب على الداعية أن يحرص على مظهره العام، وحسن هيئة، وهندامه أمام من يدعوهم، ذلك لأنه قدوة، والقدوة لابد أن يضرب المثل في حسن المظهر وجمال المخبر وصدق السلوك. وبدهي أن الدعاة إلى الله ينبغي أن يكونوا في أحسن هيئة وأجمل مظهر، أتم أناقة، وأكثر جاذبية من غيرهم ليكونوا أقدر على التغلغل في مسارب القلوب، والوصول بدعوتهم إلى دخائل النفوس.[٢]

والداعي إلى الله جميل، عنده "ذوق في اختيار شكل ملابسه، وألوانها، وتناسقها، ما يناسب سنه وعمله، علمه، وثقافة عصره، وما يناسب ظروفه وظروف من يدعوهم، الاقتصادية والاجتماعية وغيرها."[٣] مثلاً الداعي الجميل يختار لباس البلتان عندما يكون بينهم، ويلبس لباس سندهي عندما يخاطبهم، فهذا يجعله أقرب إلى نفوسهم وتؤثر دعوته في قلوبهم.

الداعي الجميل يهتم بالنظافة الخارجية والباطنية، فهو نظيف في ثوبه وجوربه، فلا يرضى أن تنتشر بقع الزيت على جبته أو ثيابه، أو تفوح من قدميه أو جسمه رائحة مؤذية منفرة.

يقول علي محفوظ أن "كل ذلك مما يسهل عليه بلوغ الغاية من الدعوة إلى الله تعالى، بخلاف التهاون في هذا، فإنه يقلل من الثقة به وإقبال الناس عليه، وإمام الدعاة نبياً صلوات الله وسلامه عليه الذي هو وارث له كان على غاية من مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب."[٤]

---

(١) الإسلام كما ينبغي أن نؤمن، د. عبد الحليم عويس، ص ٧٣، ط ١، دار الصحوة، القاهرة. ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(٢) الإسلام كما ينبغي أن نؤمن، د. عبد الحليم عويس، ص ٧٣.

(٣) الدعوة الفردية وسائل ومفاهيم، د. محمد منصور، ص ١٥٥، ط١، دار التوزيع والنشر الإسلامية – مصر القاهرة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

(٤) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، علي محفوظ، ص ١٣، ط٩، دار الاعتصام ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

الجمال في خلق الداعية:

كما أن الداعية يحتاج إلى الجمال في مظهره وهيئته، كذلك هو أحوج إلى أن يتجمل في نفسه وخلقه. وهذا أصعب من الجمال الظاهري. لأنه يحتاج إلى جهد، وتمرين، كي يتجمل الداعية به.

فأول ما ينبغي للداعي أن يتحلى به هو الصفات المحمودة، من الصدق، والكرم، والجود، والحياء، والصبر على البلاء ... ثم يستعمل حواسه الخمسة على أحسن وجه، فيبغي عقله، بالعلم والدليل والبرهان حتى يعرف نفسه ومن عرف نفسه فقد عرف ربه.

وعلى الداعية أن يجمل معاملته مع الأقارب وعامة الناس، حتى لا تفسد العلاقات والروابط بينهم.

وجمال شخصية الإنسان تكون في عدله في جميع أمور حياته، فعلى الداعية إلى الله أن يراعي العدل في حياته وفي معاملاته وفي دعوته.

الجمال في عملية الدعوة الإسلامية:

ينبغي للداعية الإسلامية أن يراعي "بالجمال" في أداء مسئوليته الهامة بشكل النقاط التالية:

إن النفس الإنسانية بطبعها، وفطرتها، يبهجها المنظر الرائق الجميل، ويروقها الصوت العذب الرحيم، وتسحرها الكلمة البليغة المؤثرة، فعلى الداعي إلى الله أن يدعو الناس إلى الله بالقرآن فيقرأه على الناس بصوت جميل، فهذا يؤدي إلى إثارة إحساس جمالي لديهم، ويكون مدخلاً لنفوسهم ومفتاحاً لمغاليق قلوبهم.

إن الجاذبية والجمال في تقديم الدعوة لابد أن يكون مرتكزاً على جانبين هما: الشكل والمضمون. "الشكل الذي ترتاح له النفوس، وتهفوا إليه الأفئدة، وتعشقه الآذان وتستمتع به

العيون".[1] والمضمون الذي يوقظ الناس من سباتهم، يهديهم إلى النور من الظلمات، ويحمل همومهم، ويستشعر أعباءهم، ويعطى حلول مشاكلهم، العقدية، والخلقية، والاجتماعية والأسرية.

كي يجعل أثارة الدعوة الإسلامية جميلة؛ يجب على الداعي أن يطيب القول خلال حواره مع الآخرين أو جداله،، أو مناقشته العلمية، أو خطبته.

ومما يزاد الجاذبية والجمال في الدعوة الناس إلى الله هو: التنوع، والتنقل، والتلوين بين الصور، والأشكال الجمالية في أساليب الدعوة. إن التزام الداعية بطريقة واحدة من أسلوب البيان أو من أساليب الدعوة، يجعل مشاعر المدعوين لا تتأثر بهذا اللون، فتفقد ما كانت تحس به من استعذاب وحلاوة، ولا تؤثر نفوس الموعود. فلابد من تنوع الأساليب والتنقل بها، فمن حديث هادئ إلى منطقية عقلية، إلى حوار ممتع، وإلى جدال بالحكمة إلى موعظة الحسنة، إلى ترهيب وترغيب، وإلى الوعد والوعيد، وإلى لفت الإنظار إلى نعم الله عز وجل .....

والتزام الداعية بالجمال يؤدي به إلى أن يستلهم الابداع، والتطور والتجدد في أساليب الدعوة، ووسائلها، وطرقها، وهذا الحس الجمالي يجعله (الداعي الفنان)، الذي يسلك هذا الفن بطرق شتى، ومتجددة، ومقنعة تناسب العصر.

كما أن جمال الكون مخفي في حسن خلقه، ودقة توازنه، وتناسقه وتوافقه مع السنن الكونية ونظامه، كذلك يجب على الداعية أن يجمل الدعوة الإسلامية بهذه الأمور، وإلاّ فتفسد عملية الدعوة.

ويتكلم عبد الرحمن العمار عن أثر الجمال والزينة على الناس فيقول: "إن كثيراً من المقاصد والمطالب إذا قدمت إلينا مغلفة بزينتها، معروفة بما يسر الناظرين، كنا أكثر قبولاً لها، وانسجاماً معها،

---

(١) أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، د. حمد بن ناصر عبد الرحمن عمار. ص ٦٣٠، ط٢، دار شلبيا الرياض، ١٤٨٨هـ - ١٩٩٧م.

لأن جمال الزينة قد جذبنا إليها، وأقنع عواطفنا وانفعالاتنا بقبولها، لنحظى بلذّة الاستمتاع بالجمال، فتتحقق من وراء ذلك المقاصد الأساسية، والمطالب، وهذه الحقيقة تشمل الأفكار، فإذا قدمت بعض الأفكار وما اشتملت عليه من مطالب اعتقاد، أو عمل ممزوجة بزينة فكرية أو لفظية كانت النفوس أكثر انجذاجاً لها وقبولاً، ثم تمسكاً بها وعملاً بما فيها."[1]

(١) أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، د. حمد بن ناصر عبد الرحمن عمار. ص ٦٣٣.

الفصل الثاني

موضوع الدلالات في آيات الله الكونية

ويشتمل هذا الفصل على المبحثين:

المبحث الأول: الدلالات العقدية في آيات الله الكونية

ويشتمل هذا المبحث على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الآيات الكونية في عرض دلالات وجود الله وتوحيده

المطلب الثاني: الآيات الكونية في عرض دلالات الرسالة والنبوة

المطلب الثالث: الآيات الكونية في عرض دلالات القيامة والبعث

المبحث الثاني: الدلالات الخلقية المستفادة في سياق الآيات الكونية

ويشتمل هذا المبحث على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الدعوة إلى شكر المنعم

المطلب الثاني: الدعوة إلى الأخوة

المطلب الثالث: الدعوة إلى إصلاح المجتمع

المبحث الأول

الدلالات العقدية في آيات الله الكونية

ويشتمل هذا المبحث على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الآيات الكونية في عرض دلالات وجود الله وتوحيده

المطلب الثاني: الآيات الكونية في عرض دلالات الرسالة والنبوة

المطلب الثالث: الآيات الكونية في عرض دلالات القيامة والبعث

المطلب الأول

الآيات الكونية في عرض دلالات وجود الله وتوحيده

يشتمل هذا المطلب على النقاط التالية:

- **دليل الخلق والإبداع**
- **دليل النظام**
- **دليل العناية**

المطلب الأول

الآيات الكونية في عرض دلالات وجود الله وتوحيده

إن موضوع الدعوة الإسلامية هو توحيد الخالق ووحدانيته، وهذا هو أساس الدعوة الإسلامية ما من نبي خلا إلا جاء بنفس الدعوة : (لا إله إلا الله). ومحمد صلى الله عليه وسلم كذلك جاء كي يخرج الناس من عبادة الأصنام ومظاهر الطبيعية، فدعاهم إلى خالق كل شيء – الله عز وجل – كما جاء في قوله تعالى:

﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ (١)

فنفس المسئولية عائدة على دعاة العصر الحاضر أن يدعوا الناس إلى خالق ومدبر هذا الكون ويثبت وحدانيته في جميع أمور الحياة. نعرف أن العلوم تتقدم مع مرور الزمان حتى ظهر الناس الذين ينكرون وجود الله مطلقاً، فيجب على الدعاة أن يهتموا بهذا الجانب كما أهتم القرآن بهذه القضية عن طريق الأدلة العقلية، إن الأدلة التي يسوقها لنا القرآن الكريم لإثبات وجود الخالق والباريء والمدبر والمنظم؛ أدلة مشاهدة مرئية محسوسة، التي تهز مشاعر الإنسان فتستيقظ بها العقول، فهو يحشد الكون كله أدلة على هذا الأمر.

إذن فلابد لنا أن نعرف كيف تكون الآيات الكونية دليلاً على قضية وجود الله والإيمان به، وكيف تكون هذه المخلوقات والنظام الذي يدير فيها دليلاً على قضية وحدانية؟

أولاً : دليل الخلق والإبداع:

إن النظر في الموجودات في السماوات والأرض وما فيهما من الشمس والقمر، والنجوم، والبحار، والجبال، والنبات، والأنعام يدل على وجود خالق لهذه العناصر وحدانيته – وهذا الدليل

---

(١) سورة النحل، الآية: ٢.

سماه العلماء : (دليل الخلق) أو (دليل الاختراع) أو (دليل الإبداع).

فدليل الخلق يعتمد على مقدمتين:

(أ) أن جميع أجزاء الكون خلق بعد أن لم تكن شيئاً، إذ جميعها مخلوقاً وحادثاً.

(ب) كل مخلوق له خالق، وكل حادث له محدث.

يعتمد هذا الدليل على إثارة الفكر، للتعرف على خالق الموجودات، والاستدلال بذلك على وحدانيته ونفى الإشراك معه.

كما قال الله تعالى في سورة الروم ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ .[1]

يقول ابن كثير في تفسيره: "يقول تعالى منبهاً على التفكر في مخلوقات الدالة على وجوده وانفراده بخلقها وأنه لا إله غيره لا رب سواه. فقال (أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ) يعني به النظر والتدبر والتأمل لخلق الله الأشياء من العالم العلوي والسفلي وما بينهما من المخلوقات المتنوعة والأجناس المختلفة فيعلموا أنها ما خلقت سدى ولا باطلاً بل بالحق وأنها مؤجلة إلى أجل مسمى".[2]

فهذه الآية تحث الإنسان على التفكير فيما يوجد من الموجودات في السماوات وفي الأرض، فهذه الكائنات الحية على تباينها، واختلاف أجزائها، وتسخيرها لمصالح الإنسان، لا مجال لإنكار ذلك مجال، فمن أوجدها؟ ومن وهبها حياتها ووجودها، ومن حدد وظائفها؟ إن العقل يقول: ابحثوا وتفكروا في الموجد، وفي الخالق، وفي المدبر وفي مبدأ، لهذا الكون!

"واعلم، أنه لا يوجد شيء موجود أوجد نفسه بنفسه، ولا كائن كون نفسه بنفسه في هذه العالم الموجودة والكائنات المشاهدة المحسوسة أبداً".[3]

---

(١) سورة الروم، الآية: ٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج ٣، ص ٤١٢، ط ٥، مؤسسة الكتب الثقافة، بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

(٣) عقيدة المؤمن، لأبي بكر جابر الجزائري، ص ٢٧، دار الكتب السلفية، د ت.

أم الماديون والملحدون يقولون: بأن هذا العالم يخلق بالصدفة (الانفجار العظيم دون أي خالق.)

والرد على ذلك: "إذ آمنا بوجود الكون فلابد أن نؤمن بإله هذا الكون منطقياً ... إذ لا معنى لأن نؤمن بالمخلوق ونرفض وجود خالقه، ونحن لا نعلم شيئاً جاء إلى الوجود من العدم، دون أن يخلق، فكل شيء مهما بلغ حجمه، عظم أو صغر، جل أو دق، وراءه علّة، فيكف بنا نؤمن بأن كوناً عظيماً – مثل كوننا – جاء إلى الوجود ذاتياً، دون خالق؟؟"[١]

فهم اقنعوا بهذا الدليل ولكن وقفوا إلى حد، أن الكون خلق نفسه بنفسه – فرد على ذلك أن الكون مادة، والمادة ميت، فالميت لا يخلق الحي. وهناك بعض من هداه الله عز وجل خلال النظر في خلقه وموجودات ومنهم جورج ابرل وافير[٢] فهو رد على هذا الزعم في كتابه "الكشوف العلمية تثبت وجود الله" فيقول: "إذا سلمنا بقدرة الكون على خلق نفسه، فإننا بذلك نصف الكون بالألوهية. ومعنى ذلك أن نعترف بوجود إله، ولكننا نعتبره إلهاً مادياً وروحياً في نفس الوقت وأن أفضل أن أومن باله غير مادي خالق لهذا الكون تظهر فيه آياته وتتجلى فيه أياديه، دون أن يكون هذا الكون كفوا له".[٣]

هناك زعم آخر لدى الملاحدة وهو ان الكون أزلي:

---

(١) الإسلام يتحدى، لوحيد الدين خان، ترجمه: ظفر الإسلام خان، تحقيق: د. عبد الصور شاهين، ص ٥٤، دارالبحوث العلمية.

(٢) عالم الطبيعة، حاصل على درجة الدكتورة من جامعة هنسيوتا – رئيس قسم البحوث الذرية بالبحرية الأمريكية بروكليس- إخصائي في الإشعاع الشمس، والبصريات الهندسية والطبيعية .
انظر كتاب الله يتجلى في عصر العلم، ص٤٢.

(٣) الله يتجلي في عصر العلم، نخبة من العلماء، أشراف جون كلوثرمونسيما، ترجمة: د. مرداش عبد المجيد سرحان. راجعه : د. محمد جمال الدين الفندي، ص ٤٧، دارالقلم.

والرد على ذلك، أن الكون له بداية إذ ليس أزلياً وهذا أثبت من (القانون الطاقة المتاحة)[١] أو (ضابط التغير) فبعد التحقيقات العلمية يقول العالم الأمريكي ادوارد لوثركيسل – عالم الحيوان:

"وهكذا أثبتت البحوث العلمية – دون قصد – أن لهذا الكون (بداية) فأثبتت تلقائياً وجود الإله، لأن كل شيء ذي بداية لا يمكن أن يبتدئ بذاته، ولابد أن يحتاج إلى المحركة الأول – الخالق الإله)."[٢]

فلا شك أن الله هو الذي بدأ الخلق كما جاء في سورة الروم:

﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٣]

قال تعالى في مكان آخر:

﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [٤]

يقول ابن كثير في شرح (وله المثل الأعلى في السموات والأرض) "أنه لا إله إلا هو ولا رب غيره." [٥]

بعد ما ذكرت من بعض مزاعم الملحدين والماديين فيما يتعلق بدليل الخلق وجود إله، سأذكر الآيات القرآنية الكونية المتالية في سورة النحل التي تتحدث عن الخلق والموجودات كدليل على وجود الخالق والإله، ووحدانيته. فالله سبحانه وتعالى – يقول:

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ *

---

(١) (قانون الطاقة المتاحة (Law of Entropy) فهو يصف لنا أن الحرارة تنتقل دائماً من (الوجود الحراري) إلى (العدم الحراري) والعكس غير ممكن، وهو أن تنتقل هذه الحرارة من (الوجود الحراري القليل) أو (العدم الحراري) إلى وجود حراري أكثر). فإن ضابط التغير هو التناسب بين (الطاقة المتاحة) و(الطاقة غير المتاحة)

(٢) الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان، ص ٥٥.

(٣) سورة الروم ، الآية: ١١.

(٤) سورة الروم ، الآية: ٢٧.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج ٣ ص ٤١٥.

وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ * وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(١)

ويقول الإمام الزمخشري في تفسيره: "أن هذا دلَّ على وحدانيته وأنه لا إله إلا هو مما ذكر، فما لا يقدر عليه غيره خلق السموات والأرض وخلق الإنسان وما يصلحه، وما لابد له منذ من خلق ما لا يعلمون من أصناف خلائقه، ومثله متعال من أن يشرك به غيره." (٢)

ثم الله – سبحانه وتعالى – يتحدث عن موجودات وظواهر أخرى التي تدل على وحدانيته وليس هناك أحد قادر على إيجاد هذه الأشياء فيقول:

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(٣)

ولما نبه تعالى على معالم السموات، نبه على ما خلق في الأرض من الأمور العجيبة والأشياء المختلفة، من الحيوانات، والمعادن، والنباتات، والجمادات، على اختلاف ألوانها وأشكالها، وما فيها من المنافع والخواص، بقوله تعالى:

﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ * وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (٤)

بعد ذكر جميع هذه الأشياء يسأل الله – عز وجل – عن المنكرين والجاحدين والمعاندين.

---

(١) سورة النحل ، الآيات: ٣ -٨.

(٢) الكشاف، للزمخشري، ج ٣، ص ٤٢٣، ط١، مكتبة العبيكات، الرياض ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

(٣) سورة النحل ، الآيات: ١٠ - ١٢.

(٤) سورة النحل ، الآيات:١٣ - ١٦.

﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (١)

ذكر علامة محمد جمال الدين القاسمي في تفسيره (أفمن يخلق) أي كل شيء، لا سيما تلك المصنوعات العظيمة المذكورة، وهو الله الواحد الأحد (لمن لا يخلق) أي شيئاً ما، وهو ما يعبدون من دونه، وهذا التبكيت للمشركين وأبطال لإشراكهم بإنكار أن يساويه ويستحق مشاركته، ما لا يقدر على خلق شيء من ذلك، بل على إيجاد شيء ما. (٢)

فجميع الموجودات في السموات والأرض تدل على البديع، والمبدع، الصانع، والخالق العظيم وليس لأحد أن يشرك معه في خلق والإبداع والإيجاد، حتى علماء الطبيعين والماديين أقروا بهذا — فعالم جيولوجية دونالدربرت يقول:

"يا إلهي العظيم، عندما أنظر بعجب ورهبة إلى كل العوالم التي ضعتها يداك، وأبصر النجوم، وأسمع هدير الرعد وزحجرته، عندئذ تتجلى لي قوتك في كل أرجاء الكون، عندئذ تغني روحي وتناجي إلهي الكبير: ما أعظم إبداعك، ما أعظم إبداعك." (٣)

فدليل الخلق والإبداع، يدعو المسلمين وغير المسلمين، والمشركين والملحدين أولاً إلى وجود الخالق لهذا الكون، ثم يدل على وحدانية الله عز وجل.

ثانياً: دليل النظام:

إن دليل النظام هو من أوضح الأدلة وأسيرها فهما بالنسبة للجميع. "النظام هو عبارة عن التناسق الموجود بين أجزاء المركب الواحد. كأجزاء الشجرة الواحدة — والتوازن الحاصل بين الموجودات كالتوازن بين أنواع الحيوان والإنسان والنبات والهواء إلخ ... بشكل يتحقق منه الغرض

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٧.

(٢) محاسن التاويل تفسير القاسمي، المجلد ٤، ص ٥١٠، ط ١، مؤسسة التاريخ العربي بيروت ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

(٣) الله يتجلي في العصر الحديث، نخبة من العلماء الأمريكيين، ص ٩٣، دار القلم، بيروت.

والعناية من وجودها على أكمل وجه".[١]

فيقوم دليل النظام على أساس مشاهد المظاهر والآيات الكونية وملاحظة، الانسجام والتناسق، والإتقان والتوازن القائم بين مخلوقات هذا العالم العظيم، هذه المشاهدة يؤدي إلى الاهتداء إلى وجود الله – عز وجل – ووحدانيته في خلق وتدبير ونظام.

إن التأمل والمشاهدة في الكون يكشف عن بعض حقائق النظام الكوني الذي يمكن توضيحه من خلال الخطوات التالية:

(أ) وحدة في النظام تدل على وحدانية الله – عز وجل:

الله – سبحانه وتعالى – خلق هذا الكون ونظمه على وجه الكمال – فلو نظرنا في السماء، والشمس والقمر، والنجوم وحركاتها، وإلى الأرض وجمادها، نباتها ... وجدنا أن كل هؤلاء يسير وفق نظام واحد ونظام متناسق بعضها مع بعض.

إن القوانين والسنن الحاكمة على الموجودات الطبيعية كلية وشاملة، بحيث لو أتيح لأحد أن يكشف بالتجربة سنة في نقطة خاصة من نقاط الكون، أمكنه أن يكشف قانوناً كلياً شاملاً، ويهتدي إلى سنة كونية عمومية وهذا هو أفضل دليل على وحدة النظام الحاكم على العالم الطبيعي.

يوضح هذا بالمثال:

عرفنا أن الذرة أصغر عالم، حتى لا يمكن أن نشاهدها بعين المجرد، ولكن هذه الذرة، تحتوي بصورة رائعة على نظام الدوران العجيب هذه الذرة تشمل على الالكترون والبروتون والنيوترون. الالكترون يدور حول البروتون في مداره الخاص، "وهذه الجزئيات التي لا حقيقة لها أكثر من نقط وهمية سابحة في الشعاع، تدور حول مركزها، بنفس النظام الذي تتبعه الأرض في مدارها حول

---

(١) مقالة : دليل النظام على وجود الله تعالى: http:\\www.eltwhed.com\ub\show thread.phP?15673

الشمس...". [١]

فلماذا لا نأخذ منه دليلاً على وجود منظم قائم على هذا التنظم، ووحدة القوانين والنوامس من الذرة إلى المجردة؟

يقول الدكتور منصور محمد حسب النبي: "وحدة تركيب الذرة في جميع العناصر واشتراك جسيمات أساسية في تركيب كل ذرة كالاليكترون، والبروتون والنيوترون يدل على وحدة الخالق للأرض والسماء." [٢]

لاشك من آيات الله – سبحانه – خلق السموات والأرض واختلاف الألسنة والألوان والأصناف للحيوان، والنبات وفيه آيات للعالمين كما قال الله عز وجل:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾ [٣]

ولكن مع الاختلاف والتنوع أصل واحد، وغاية واحدة لجميع هذه الأصناف من الموجودات. وهذا يدل على منظم واحد وهو "الله".

يقول د. أحمد زكي ي مقدمة الكتاب "العلم يدعو إلى الإيمان".

"كشف العلم من عجيب ما صنع الصنائع، كشفه في النبات، وهو صفوف لاعداد لها. وكشف في الحيوان، وهو أجناس لا حصر لها، وكشفه في الإنسان، أسمى حيوان، وكشف عن أنساق واحدة في كل هذه الصنوف والأجناس جميعاً. وكشف عن قوى في كل تعمل واحدة، على اختلاف في الدرجات، ولكن على اتحاد في الغاية. وهدى المنطق، وهدت الفطرة إلى أن صاحب هذه الإنساق لابد واحد، ومجرى هذه القوى لتعمل على هذه الأساليب الواحدة لابد واحد. ونسق العلم ما بين الأرض الجامدة وما عليها من إحياء. ونسق ما بين الأرض، جامدها والحي، وبين هذه

---

(١) الإسلام يتحدى، وحيد الدين، خان ص ٥٩.

(٢) الكون والإعجاز العلمي للقرآن، للدكتور منصور محمد حسب النبي، ص ٥٢، دار الفكر، د. ت.

(٣) سورة الروم ،الآية: ٢٢.

الشمس وذلك القمر، وأثبت إن المعدن واحد والأصل واحد." [١]

كل أنظمة في الكون تمشي تحت قوانين التي تؤيد أنظمة أخرى في أداء عمليتها. وهذا يدل على منظم واحد في جميع أنحاء العالم. فمن صمم عين الإنسان، بعدستها ومائها، وما وراء الماء من شبكة تلقى عليها الصور، هو لابد الذي صم هذه الشمس وإخراج منها تلك الأشعة ووجهتها إلى الأرض، فهذه العين تكون عبثاً لولا هذا الضياء. فهذا يدل على كمال حكمة الخالق، والمنظم الأعظم، ليس هناك أي منظم آخر الذي وضع نظام واحد لسماء ونظام آخر للأرض الذي لايتوافق بعضها ببعض.

فهذا أوضح دليل على وحدانية خالقها وبارئها، فهي تسير وفق نظام واحد لا يتغير مما يدل على أنها تسير بإرادة خالق واحد، وإذا تأمل الإنسان بفكره وعقله في بعض جزئيات هذا العالم المسخر لمصالحة، والتي بها استقرار حياته كفاه ذلك دليلاً واضحاً وحجة بينه على وحدانية خالقه، وأنه المستحق لأن يعبد وحده. [٢]

وجاء العلم، وجاء العلماء بالف ألف دليل على وحدة الأرض، وما عليها، ووحدة السماء، ووحدة النظام والقوانين، ومن هذه الوحدة درج الناس والعلماء إلى وحدة رب هذه الأرض ورب السماء، ومنظم هذه العوالم ومدبر هذه الأكوان ...

فجميع هذه الدلائل العلمية يدعو الناس من المثقفين وغير المثقفين إلى موضوع أساسي للدعوة الإسلامية فهو: إثبات وجود الله عز وجل ووحدانيته في جميع الأمور.

(ب) الانسجام والترابط يدل على وجود الله ووحدانيته:

إذا فحصنا الكون كله وجدنا في جميع أجزائه التناسق والانسجام، إن القرآن يذكر لنا آيات

---

(١) العلم يدعو للإيمان، أستاذ كريسي موريسون، ترجمة: محمود صالح الفلكي، ص ٩، إعداد للمكتبة الشاملة: موقع مكتبة المسجد النبوي الشريف. http:\\www.maktaba.org

(٢) الكون والإعجاز العلمي للقرآن، للدكتور منصور محمد حسب النبي، ص ٥٨.

عديدة متنوعة يظهر فيها الترابط والانسجام في نظام هذا الكون، أذكر على سبيل المثال بعض الآيات الكونية من سورة النحل والروم التي تدل على الترابط والانسجام في المظاهر الكونية وهذا الترابط والانسجام يدل على وحدانية خالق الكون ومدبره ومنظمه.

فقوله تعالى:

﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (١)

وقوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢)

وقوله تعالى:

﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٣)

فهنا هذه الآيات تتحدث عن عملية المطر وعملية إحياء النبات فنرى الترابط بين موجودات الكون وانسجام دقيق في نظام العالم العلوي والعالم السفلي. عملية المطر مترابط بكليات مختلفة كي تؤدي وظيفتها. فهي تحتاج إلى كلية البحر، وكلية الشمس، وكلية الرياح.

فماء البحر يتبخر بحرارة الشمس والرياح يسير هذه البخارات إلى السماء، حتى تتكاثف، وتتجمع وتتثاقل في شكل سحاب، ثم ينزل المطر من هذه السحاب على الأرض بحكم مدبر الكون. بهذا الماء ينبت النبات. فنرى "أن الله تعالى، خالق الخلائق والنوميس وجعلها بقدرته وحكمته تتلاقى

---

(١) سورة الروم ، الآية: ٤٨.

(٢) سورة النحل ، الآيتان: ١٠-١١.

(٣) سورة الروم ، الآية: ٥٠.

ويفضى بعضها إلى بعض ويؤازر بعضها بعضاً في تيسير آله هذا الكون العظيم، فجعل الماء أصلاً لحياة النبات والحيوان، وجعل المطر الدوري وسيلة لسقي الأرض في حاجتها. وجعل البحر معيناً دائماً للمطر، وجعل التبخر والتكاثف وسيلتين لتكوينه ورفعه والإزالة. (١)

فالسموات والأرض وما فيهما ومن فيهما في وحدة متناسقة متجانسة، وكأنها أجزاء في آله واحدة، أو أعضاء في جسد واحد، أو لبنا في بناء متناسق بديع، كل لبنة منه مكانها الصحيح، وهكذا كل شيء إنما هو بمقدار وميزان ... هذا الترابط والانسجام في النظام كله من الذرة الصغيرة إلى المجرة الكبيرة من أعظم الأدلة على أن الخالق، المدبر، المنظم إله واحد لا إله إلا هو سبحانه وتعالى وأنه ليس هناك من ينازعه أو يشاركه في الإدارة والنظام.

(ج) الإتقان والتوازن يدلان على وجود الله وحدانيته:

فلو ينظر واحد نظرة مشاملة إلى الكون الهائل وما فيه من الاتزان في الكواكب والشموس والأقمار – يحكم بأن هذا كله يخلق بالحق كما قال الله تعالى:

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٢)

وإذا يرى الأرض واستقرارها، ومنافعها، وصلاحها لمخلوقات وجد أنها لا يخلو هذا النظام من الإتقان والدقة والتوازن في جميع الكون. لا شك أن هذا الكون الهائل يوجد على نظام دقيق وهذه السماء الرفيع ذا أجرام ومجرات كيف تقوم منذ أكثر من خمسة بلايين سنة بدون أي عمد ولا يسقط علينا.

فإن المشاهدة والعقل يقول أنها تحتاج إلى أعمدة كبيرة طويلة، قوية تتناسب مع علوها وحجمها كما هو حال بنيان فإنه يحتاج إلى عمد كي يقوم عليه ... فما هو السر الخفي وراء هذا

---

(١) قصة الإيمان، الشيخ نديم الجسر، ص ٣٣٧، ط ٣، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

(٢) سورة النحل ، الآية:٣.

البنيان العظيم الكبير الوسيع بدون أي عمد؟!!

هل هناك أي قوة تمسك السماء ومجراها حتى لا تزول ولا يخرب نظام هذا الكون الهائل؟

نعم ... القوة العلية، بأمره تقوم السماء والأرض ولا تزولا كما قال الله تعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ (١)

وقال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾(٢)

إن العلم الحديث أثبت أن هذا الإمساك يحصل بقوة الجاذبية. وهي السبب في بقاء المجرات والنجوم الموجودة بالكون في مدارات بعضها البعض. يقول رونلدروبرت في كتاب موجهات جيولوجية : (الكون المنتظم الذي يعتبر على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة للمشتغلين بالعلوم يتفق مع ما تحدثنا عنه الكتب السماوية من أن الله هو الذي أبدع هذا الكون، وهو الذي يمسكه ويحفظه. (٣)

كما قال الله تعالى أن من آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ... فوجدنا قانون الجاذبية في الأرض كما يسير هذا القانون في السماء. نرى كل يوم أن الشيء يرمى إلى فوق ولا يبقى في الهواء، بل يأتي إلى الأرض، ونعرف أن الصعود الجبل أشق من النزول فيه، ونعلم أن رفع الحجر على الظهر أصعب ويتطلب جهداً ... كل هذا يحدث تحت القانون الإلهي وهو القانون الجاذبية (*Law of gravity*) غير ذلك هناك حقائق كثيرة لا علاقة لإحداها بالأخرى ظاهراً، ولكن بعض كشف القوانين والنواميس عرفنا أن جميع هذه حقائق تربط بعضها مع بعض، ارتباطاً كاملاً داخل النظام الخاص وتدل على الدقة والإتقان في صنع الصانع والنظام وأكمل بدون أي خلل وعيب.

---

(١) سورة الروم، الآية: ٢٥.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٢.

(٣) نقلاً عن الله يتجلي في عصر الحديث، ص ٩٣.، دار القلم، بيروت.

يقول د. محمد بن ناضر بن عبد الرحمن العمار: "فقانون الجذب من أعظم نعم الله تعالى، به استقرت وحدات الوجود، وبه تم كمالها، فهو رباط قديم لا يشاهد، وممسك متين لا يرى." (١)

آية أخرى تدل على نظام عجيب والرائع نرى كل يوم ولكن لا نفكر في نواميسه التي تدل على حكمة الصانع والدقة في الخلق، فقال الله عز وجل في سورة الروم:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(٢)

نعرف أن من أسباب أنزال المطر هو الرعد والبرق، ولكن عادة لا تصل إلى حكمة الرعد والبرق وما هي فوائدهما.

كل النبات فيه جزء من النتروجن اللازم لحياتنا. "فإن ٧٨% من النتروجن توجد في كل هبة من الرياح، وكذلك توجد في أجزاء كيمياوية أخرى، ونسميها حينئذ (النتروجن المركب) وهذه كلها يستغلها النبات لكي يهيء لنا الجزء النتروجني من غذائنا، فلولا هذه العملية، لهلك الحيوان والإنسان، وكل ما يعتمد على النبات في أكله، جوعاً، وفاقة، فإن أي نبات غذائي لا ينمو بدون هذا التحليل الكيماوي".(٣)

وآية الرعد والبرق في نظام أنزال المطر الذي يفيد في إحياء الأرض من النبات ... فكلما احتك الرعد في الفضاء، مزج شيئاً من الأوكسيجن والنتروجن ويصل هذا النتروجن المركب إلى الأرض عن طريق الأمطار التي لكي العلمية.

فيا ترى ! كيف يحي الأرض بنظام دقيق أليس هذا وجود النظم تدل على المنظم القدير؟؟ بل ألا هذا النظام يدل على الواحد القهار، بيده ملكوت السماوات والأرض إن في هذا العالم

---

(١) أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار، ص ٦٧، ط ٢، دار شبيليا، الرياض ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(٢) سورة الروم، الآية: ٢٤.

(٣) الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان، ص ٧٠.

شواهد لا تحصى، تدل على ما فيه من النظام، هذا النظام يشمل على الدقة، والانسجام، والترابط والتوازن، والإتقان.

يقول نديم جسر: "إن في هذا العالم شواهد لا تحصى، تدل على ما فيه من النظام، حتى في الجمادات التي تتحرك بطريقة منظمة، فكيف يمكن وجود هذا النظام والأحكام، إلا إذا كانت هناك قوة عاقلة هي التي خلقت الأشياء، إن وسعنا أن نعرف، بطريق الفهم الطبيعي، إن الله موجود، وأنه واحد، لأن وجوده ووحدانيته تتلألأ في عجائب العالم وحسن تنظيمه."[1]

أعلم الدعاة إلى الله عز وجل أن دليل النظام يفيد في إثبات موضوع الدعوة يبين:

أولاً: إنه يحرك الفطرة الإنسانية، ليرتقي بها إلى مرتبة الوعي والالتفاف بعد النسيان والغفلة، معه يحرك العقل الإنساني، عندما يرى النظام في جميع أجزاء العالم، فيقدران عقله وقلبه بوجود المنظم والمدبر.

ثانياً: إنه لا تقتصر وظيفته على إثبات وجود الخالق فحسب بل تتعداه لإثبات بعض صفاته ومنها أنه عالم، قادر، مدبر، منظم وحكيم ...

ثالثاً: دليل العناية:

إن الطريق الآخر الذي نبه به الكتاب العزيز على وجود الخالق، لهذا الكون ووحدانيته في الخالق، والتدبير والأمر هو الآيات التي تتحدث عن الموجودات التي مسخرة للإنسان في جميع أحوالها، وهو ما سماه العلماء، بدليل العناية.

دليل العناية مبنى على أصلين:

(أ) أن الكون كلّه، وجميع أجزائه مسخر لخدمة الإنسان وموافقة لصلاح وجوه.

(ب) أن هذا تأييد للإنسان دليل على الخالق، الحكيم، مدبر هذه أجزاء كونية.

---

(١) قصة الإيمان، الشيخ نديم الجسر، ص ١٠٧.

آيات المتضمة لدليل العناية كثيرة في سورتي النحل والروم، أذكر منها على صفحات التالية:

قال الله عز وجل:

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[١]

يقول صاحب محاسن التأويل: أن (سخر) بمعنى (نفع). [٢]

الله سبحانه وتعالى جعل الليل لراحة الإنسان والنهار لمعاشه، كما نعرف أن هذا الدوران الليل والنهار لا يتم إلا بقدر، كذلك الشمس والقمر والنجوم كلها مسخرات لمنفعة الإنسان وصلاح حياته بأمر خالقها.

وسأعرض على سبيل المثال الشواهد العلمية التي تؤكد، عناية الله عز وجل – لخلقه: الشمس هي وسيلة حياة الموجودات على سطح الأرض. "تبلغ حرارة سطحها اثني عشر ألف درجة فهرنهيت، والمسافة بينهما وبين الأرض تبلغ ما يقرب من ٩٣٫٠٠٠٫٠٠٠ ميلاً ... وفي ذلك عبرة عظيمة لنا، لأنه لو نقص، واقتربت الشمس من الأرض، بمقدار النصف، مثلاً، من الفاصل الحالي، فسوف يحترق الورق على الفور من حرارتها، ولو بعد هذا الفاصل، فصار ضعف ما هو عليه الآن، فإن البرودة الشديدة التي تنجم عن هذا البعد، سوف تقضي على الحياة في الأرض..." [٣]

فهل هذه العناية للمخلوقات تدل على الصدفة أم خالق ومدبر وحكيم؟!!

عناية أخرى التي يذكر الله عز وجل – في سورة النحل، هي: آية بحر وما فيه منافع للإنسان، فقوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ

(١) سورة النحل، ، الآية: ١٢.

(٢) محاسن التأويل، الإمام القاسمي، ج ٤، ص .

(٣) الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان، ص ٦٤.

مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[١]

في هذه الآية أكثر من نعمة وأكثر من حكمة: فيها حكمة خلق البحر بذاته وعلى الوضع الذي هو فيه، نعمة استخراج الحلية للزينة والتجارة، و"نعمة امتلائه بالأسمك، التي هي من أعظم الأغذية للإنسان، بل من أعظم مخازن الطعام وأغناها وأبقاها على الدهر، وحكمة كونه يحمل الفلك، ونعمة سير الناس فوقه لابتغاء فضل الله من طريق التجارة." [٢]

أما ذكر الفلك وجريانها في البحر، بنعمة الله، فإنما أراد به القرآن الإشارة الخفية الحكيمة إلى سر هذا القانون العجيب المعروف (بقانون ارشيميد).

"هذا الناس الذي بسره تسبح الأسماك، ويستطيع الإنسان أن يبني سفنا كالأعلام ضحامة واتساعاً وشهوقاً ووزناً، ويجعلها، لو شاء، من حديد، ويحملها، في جوفها، ما شاء من الأثقال، ويضمن، بالحساب الدقيق، أن يلقيها في البحر فلا تغرق ..." [٣]

فيرفع السفن العظام الثقيلة، كما يرفع الأبخرة الخفيفة. أليس هذه عناية الخالق عباده، هو الذي وحده يستحق الألوهية والعبودية!!

فيا غافل! كيف تنكر بوجود خالق لهذا الكون الرفيق، الذي جعل في كل شيء حكمة بالغة وفوائد كثيرة!!

الآن أذكر مجموعة من الآيات التي تتحدث عن منافع الأنعام للإنسان.

فقال الله عز وجل:

﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ * وَالْخَيْلَ

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٤.

(٢) قصة الإيمان، الشيخ نديم الجسر، ص ٣٣٥.

(٣) نفس المرجع، ص ٣٣٦.

وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١)

وقال الله تعالى:

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾(٢)

ثم بين تعالى نعمته على البشر ليستدل به على وحدانيته(٣)، فيقول:

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾ (٤)

تشير جميع هذه الآيات إلى كمال الحكم موجودة في خلق الأنعام، من خلقها على هذا النهج السليم ومفيد للإنسان؟

هل هناك سوى الله من خلق الأنعام ووضع فيها منافع جميعت بين طعام الإنسان، ولباسه ودفئه، وجرّ الأثقال وحمله، ومسكنه وأثاثه، ومركبه وزينته؟؟

كلاّ كلاّ!! بل هو وحده، لا شريك له في الخلق، والتدبير وهو الرؤف والحيم بمخلوقاته.

نرى ماذا يقول العلم عن هذه الأنعام حتى يبين عناية الخالق بالخلق أكثر بياناً: "كما نعرف أن جسم الإنسان يحتاج لحفظ حياته إلى أغذية تتألف من المواد البروتينية، والمواد الكربوهيدرتية، والمواد المدهنية، والاملاح المعدنية، والفيتامنيات. وإن أعظم مصدر للبروتينات الكاملة والفيتامنات هو (اللحم واللبن)، وإن المواد الدهنية هي أغنى الأغذية في إنتاج الحرارة، وإن من أعظم مصادرها

---

(١) سورة النحل، الآيات: ٥-٨.

* جاء في كلمات القرآن دفء بمعناه: ما تتدفئون به من البرد. انظر كلمات القرآن، أستاذ حسين محمد مخلوف، ص ١٤٨، دار ابن حزم.

(٢) سورة النحل ، الآية: ٦٦.

(٣) تفسير القاسمي، المجلد الرابع، ص ٥٣٩، مؤسسة التاريخ العربي، لبنان ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

(٤) سورة النحل ، الآية: ٨٠.

(السمن والزبدة واللبن واللحم) – أي الأنعام." [١]

أليس يدل هذا أن خالق هذه الأنعام وخالق الإنسان واحد، الذي عليم، بكل احتياجات الخلق وهو رفيق ورحيم بهم. لو أردنا الوقوف على العناية الربانية، فلن تكفينا ألوف السنين لتدوين، كل ما تراه عيوننا، من عناية الله عز وجل.

وصدق الله هو العظيم بما قاله في كتابه:

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [٢]

تلك هي طريقة آيات الله الكونية في معرض الهداية إلى الله عز وجل – والدعوة إليه، وترسيخ الإيمان بالله ووحدانيته ... أنها توقظ العقل أولاً ... توقظه في رفق ويسر حين تلفته إلى مظاهر الكون المحيط به، والواقعة تحت سمعه وبصره، ثم يثبت القضية بالبرهان القاطع، كي لا يجد سبيل للمنكرين والملحدين لإنكار الدعوة إلى خالق لهذا الكون.

---

(١) ملخص من كتاب: قصة الإيمان، الشيخ نديم الجسر، ص ٣٦٨ - ٣٦٩.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٨.

المطلب الثاني

الآيات الكونية في عرض دلالات الرسالة ونبوة محمد - صلى الله عليه وسلم -

يشتمل هذا المطلب على النقاط التالية:

١- معنى النبوة والرسالة

٢- حاجة الناس إلى الرسالة / لماذا الرسالة ؟

٣- إمكان الوحي من مصدر غير إنساني

٤- الآيات الكونية تثبت النبوة والرسالة

٥- أثر آيات الله الكونية على غير المسلمين

المطلب الثاني

الآيات الكونية في عرض دلالات الرسالة والنبوة

المصدر الأساسي للدعوة الإسلامية هو (القرآن الكريم). هذه هي الرسالة التي أرسلها الله عز وجل إلى محمد – صلى الله عليه وسلم –، ووضع على عاتقه إبلاغ هذه الرسالة إلى كل الناس، وبعده فهذه مهمة الدعاة المسلمون أن يبلغوا هذه الرسالة إلى جميع الناس حتى يوم القيامة، بطرق شتى ووسائل عديدة، وأساليب متنوعة، حتى تثبت الحجة.

ومن مناهج القرآن الكريم، أنه يثبت العقائد بالآيات الكونية، لأن فيها مشاهد حسية وعقلية، فتقنع به المخاطبون، فهذه الآيات تدل على رسالة محمد – صلى الله عليه وسلم – كما تدل على وجود الخالق ووحدانيته.

قبل أن ندخل في إثبات الرسالة والنبوة، ننظر ما معنى النبوة والرسالة، وحاجة الناس إلى الرسالة، وما هي إمكانية الوحي من مصدر غير إنساني.

معنى النبوة والرسالة:

النبوة: مأخوذة من النبأ بمعنى خبر – ومعناها ووصول خبر من الله بطريق الوحي إلى من اختاره من عباده، لتلقي ذلك، فالكلمة إذاً تفسير للعلاقة التي بين النبي والخالق جل جلاه. وهي علاقة الوحي والإنباء. (١)

الرسالة : والرسالة تعنى تكليف الله أحد عباده بإبلاغ الآخرين بشرع أو حكم معين، فالكلمة إذاً تفسير للعلاقة التي بين النبي وسائر الناس وهي علاقة البعث والإرسال. (٢)

---

(١) كبرى اليقينات الكونية، د. محمد سعيد رمضان البطوي، ص ١٨٣، ط ٨، دار الفكر، دمشق سورية، ١٩٨٦م.

(٢) المرجع السابق، ص ١٨٣.

حاجة الناس إلى الرسالة:

الرسالة أو النبوة ليس بالأمر العجيب بعد الإيمان، بكمال الله، وحكمته، ورحمته، وعنايته بالمخلوقات، وتدبيره، ونظامه للكون. بل هذا الإيمان فرع عن ذلك. فما كان الله، ليخلق الإنسان، ويسخر له ما في الكون جميعاً، ثم يتركه بغيره هداية، بل هذا من حكمته أن يهيء له زاده الروحي، كما هيأ له زاده المادي. وأن ينزل الهداية من السماء لتحي به القلوب والعقول، كما أنزل من السماء ماء لتحيا به الأرض بعد موتها.

هذا ما كان ضروريا من طرف الخالق أن ينزل (النظام الكامل) من عنده للإنسان، حتى يكون جميع المخلوقات وعناصر الكون تحت قيادة النظام الإلهي.

والله سبحانه وتعالى خلق كل الموجودات ثم هداها، ولكل مخلوق له مهمة والرسالة أي يؤديها كما الله – عز وجل – خلق النحلة أوحها سبيل العيش، كما قال الله تعالى:

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.(١)

مادام الله سبحانه وتعالى يهدي النحلة الصغيرة سبله، فلماذا هو لم يهد الإنسان أشرف الخلق، سبيله؟؟

وأما بالنسبة للإنسان، إنه يريد أن يبحث عن أسرار الكون وسر الحياة، وحقائق الخير والشر، والسعادة الروحي، كمال إنسانيته فهو يريد أن يبحث عن كل ذلك، وفي كل ما غاب عن حواسه، فشغل عقله عن كشف، مصدره الذي جاء منه، وفي نهايته التي سيؤول إليها، وغاية وجوده.

أمامنا دهور ماضية، شغلو الفلاسفة، والعقلاء والطبيعيون عقولهم حول قضية فلاح الإنسان وسر حياته وأسرار الكون، ولكن كانت حصيلته من كل جهودهم، غير مطمئنة وناقصة.

---

(١) سورة النحل، الآيات: ٦٨-٦٩.

ولو نرى العصر الحاضر، فرغم تقدم الإنسان في ميادين العلوم، التي استطاع بها تحتطيم الذرة، وسير الإنسان على سطح القمر، وبناء السفن الفضائية المثيرة وغيرها من غرائب هذا العصر. وتمكن من معرفة أسرار المادة وخواصها وتراكيبها، مما أتاح له السيطرة على كل شيء فوق سطح الأرض، ولكنه ظل فيما يتعلق بالظواهر الحياتية وسر الحياة، أمام لغز محير مظلم، وفي مجاهيل يغمرها الضباب".[١]

يقول بول كارنس ابرسولد[٢] في مقاله: "الأدلة الطبيعية على وجود الله" هناك أمر واحد لا شك فيه، فبقدر ما بلغ الإنسان من معرفة وما لديه من ذكاء وقدرة على التفكير، لم يشعر في وقت من الأوقات بأنه كامل في ذاته. والناس على اختلاف أديانهم ... قد عرفوا منذ القدم، وبصورة تكاد تكون عامة، مبلغ قصور الإنسان عن إدراك لكنه هذا الكون المتسع، كما عجزوا عن إدراك سر الحياة وطبيعتها في هذا الوجود."[٣]

فإن الإنسان رغم تقدمه بالعلوم حتى الآن، عاجز عن معرفة الجواب الشافي عن تساؤلاته الكثيرة عن ذاته. كما صرح به الدكتور كاريل[٤] فيقول:أن علمنا عن ذاتنا لا يزال في حالة بدائية.[٥]

فمن عنده هذا العلم الكامل؟ وما هو مصدر هذا العلم؟

ليس مصدره مادي ولا طبيعي بل لابد أن يكون أعلى وأرفع من عقل الإنساني. ويجب أن يكون هو خالق بهذا الكون وهذا الإنسان العليم بذات الصدور.

---

(١) أعلام النبوة، الإمام أبي الحسن علي بن محمد الماوردي، تعليق: الشيخ خالد عبد الرحمن العك، ص ٢٦٧، ط١، دارالنفائس، بيروت – لبنان ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(٢) وهو أستاذ الطبيعية الحيوية – حاصل على درجة الدكتورة من جامعة كاليفورنيا، مدير قسم النظائر والطاقة الذرية في معامل أوك ربدج – عضو جمعية الأبحاث النووية والطبيعية النووية. انر إلى الله يتجلى في عصر العلم، ص ٤١.

(٣) الله يتجلى في عصر العلم، نخباة من العلماء، ترجمة، جمال الدين الفندي، ص ٤١.

(٤) عالم بيولوجي وجراح فرنسي حصل على جائزة نوبل للعلم سنة ١٩١٣م له كتاب الشهير الإنسان ذلك المجهول (The man unknown).

(٥) الإسلام يتحدى، وحيد الدين، ص ٨٥.

وهذا القاء العلم والأحكام والإرشاد لا يكون إلاَّ باتصال الله جل جلاله بخلقه عن طريق الوحي. ومن هنا كانت الرسالة ضرورية والناس محتاجون إليها.

إمكان الوحي من مصدر غير الإنساني:

إن الماديين لا يعتقدون أو اتصال الله عز وجل برسوله لأنهم لا يؤمنون بما وراء المادة.

ولكن اليوم نستطيع أن نثبت هذه المسألة بسهولة تامة بفضل الحقائق المعلومة.

أن الأكتشافات الحديثة كثيرة تدل على حقائق عجيبة، التي لا يمكن للإنسان قديماً يتصورها قط. هل يتصور واحد منهم أنه في أمريكة يتكلم بالصوت الرجل الذي يسكن في باكستان؟ أو يراه، أنه يمشي، ويلعب ويطعم ....؟ واليوم الاختراعات الحديثة تثبت هذا فعلاً أن نرسل، ونتكلم ونرى أشياء، وقائع عديدة إلى أماكن بعيدة. وهذا جعل ممكنا بعلم الإنسان وبعد كشف عن غطاء القوانين والسنن الكونية ... فإن الإنسان بعقله المحدود، وصل إلى هذه الدرجة، لماذا لا يمكن لرب العالمين وخالق الكون أن يرسل الرسالة من عنده إلى رسوله المختار من جانبه.

لقد عرض علماء نظرية – أن أمواجاً تصدر من المخ وتنتشر في العالم أجمع بسرعة فائقة ولذلك سموها نظرية – الموجة المخية" (Brain Wave Theory). [١]

نستنبط من هذا، إذا كان الإنسان يستطيع تحويل الأفكار بأكملها إلى إنسان آخر، مع مسافة غير عادية، بدون استعمال أي واسطة مادية، فلماذا تستحيل نفس العملية بين الإله وعباده؟[٢]

أن الإشراق (Telepathy) أمر معروف لدى الناس، وهو يدلنا على فهم ذلك النظام الاشراقي العظيم بين الإله والعباد، والذي يكون في أكمل صوره، حين يبلغ درجة (الوحي).

---

(١) الإسلام يتحدى، وحيد الدين، ص ٩٨.

(٢) نفس المرجع، ص ٩٨.

ودليل آخر أريد أن أخذ من نظرية علماء الفلك أنه هناك قرائن وشواهد تخبرنا بأن هناك موجودات أكثر عقلاً وحكمة من الإنسان، في مكان ما في الفضاء الخارجي، وهي على اتصال دائم ومستمر بأرضنا بوسائلها فائقة التقدم في المواصلات. وقد أنشيء فرع جديد في علم الفلك يسمى (علم الفلك الإشعاعي) Radia Astronomy.[١]

يذكر في موسوعة الفلكية "أتاح تطور الفلك الراديوي إمكانيات جديدة تماماً للفلك. وحيث أن ما يأتينا من إشاع هو الشيء الذي يعطينا معلومات عن الأجسام الغير أرضية، ... لذلك يمكن بواسطة الفلك الراديوي الحصول على معلومات عن المادة المتناثرة بين النجوم، والتي لا يمكن الوصل إليها نهائيا أو على الأقل مباشرة بواسطة المساعدات البصرية."[٢]

فهذا التقدم العلمي يثبت أن فكرة الوحي الإلهي، والإخبار عن معلومات ما وراء المادة، من الجنة والنار، والحياة بعد الموت، وهداية الإنسان، بمصدر غير إنساني لم تعد غريبة وستبعد لدى الإنسان الحديث.

الآيات الكونية تثبت النبوة والرسالة:

لقد سلك القرآن الكريم، في إثبات الحقائق الاعتقادية، ذكر آياته الكونية. وعلى هذا، طريقة القرآن، هو دعوة العقل، إلى النظر والتفكر في الآفاق وفي الأنفس، ودراسة الظواهر الكونية، ثم مقارنة في النتيجة بين الحقائق البديهية، والأوهام المصطنعة، كي يصل صاحب العقل والبصيرة إلى يقين كامل في معرفة خالق الكون، ويخضع قلبه إلى تسليم أحكامه المنزلة على أنبيائه، عن طريق الوحي.

---

(١) الفلك الراديوي: هو أحد مجالات علم الفلك، في عام ١٩٣٢م اكتشف (جانسكي) انظر الموسوعة الفلكية د. عبدالقوي عياد. ص ٣٣٢. الهيئة المصرية العامة لكتاب ١٩٩٠م.

(٢) الموسوعة الفلكية، تأليف: ثابحرت، هـ تسمرمان، ترجمة: د. محمد جمال الدين الفندي، د. عبد القوي عياد، ص ٣٣١، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م.

والآن أورد هنا بعض الأمثلة من سورة النحل والروم التي تدل صراحة على أن القرآن الكريم يحيط بالحقائق التي لم تعرف إلا في عصرنا هذا، وإن كانت أحاطته هذه ضمن إشارات غير مقصودة لذاتها، بل هذه الحقائق تدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وأن القرآن كتاب سماوي ليس من صنع البشر.

يشير الله سبحانه وتعالى في سورة النحل إلى آيته العظيمة والضخمة على وجه الأرض فيقول:

﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(١)

إن هذه الآية فيه إشارات كثيرة لعلماء الجيولوجيا عن تخليق الجبال ... يثبت علم الحديث أن عندما خلقت القارات، بدأت في شكل قشرة صلبة رقيقة، تطفو على مادة الصهير الصخري، فأخذت تميد وتضطرب، فخلق الخالق البراكن التي تخرج من تحت تلك القشرة، فترمي بالصخور خارج سطح الأرض، ثم تعود هذه المادة الصخرية السائلة على الأرض وتتراكم بعضها فوق بعض، مكونة الجبال، وتضغط بأثقالها المتراكمة على الطبقة اللزجة فتغرس فيها جذراً من مادة الجبل، الذي يكون سبباً لثبات القشرة الأرضية...

ويقول عبد المجيد بن عزيز الزنداني في أحد مقالاته:

وفي قوله تعالى: ﴿ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ...﴾.

إشارة إلى الطريقة التي تكونت بها الجبال البركانية، بالقاء مادتها من باطن الأرض إلى الأعلى ثم عودتها لتستقر على سطح الأرض." (٢)

وهذه الحقيقة التي جاء بها القرآن، قبل ألف وأربعمائة عام، ثبت في القرن التاسع عشر،

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٥.

(٢) مقالة : البينة العلمية في القرآن، عبدالمجيد بن عزيز الذنداني، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم. http:\\www.eajaz.org/index.php.

عندما جاء عالم طبقات الأرض (سيدجورج) ايرى في عام ١٨٥٥م بنظرية أن القشرة الأرضية وما عليها من جبال لا تمثل إلاَّ جزءً طافياً على البحر من الصخور الكثيفة المرنة، وبالتالي: فلابد أن يكون للجبال جذور ممتددة داخل تلك المنطقة العالمية الكثافة لضمان ثباتها واستقرارها." [١]

فهذا التقدم العلمي والتحقيقات الحديثة يؤكد أن هذا الكلام من عند الله عز وجل لأن الرجل قبل ألف وأربعمائة سنة لم يكن مترقياً على هذا المستوى العلمي.

فمن أخبر محمداً صلى الله عليه وسلم بهذه الحقيقة الغائبة في باطن القشرة الأرضية، وما تحتها على أعماق بعيدة تصل إلى عشرات الكليومترات، قبل معرفة الناس له بأربعة عشر قرناً؟

ومن أخبر محمد صلى الله عليه وسلم كيف خلق الجبال تحت الأرض، وأنها تقوم بعمل الأوتاد والمراسي "وهي الحقيقة التي لم يعرفها الإنسان إلا بعد عام ١٩٦٠م."[٢]

أو هل شهد محمد صلى الله عليه وسلم عندما خلقت الأرض وهي تميد ؟؟؟ أما هو رأي تكوين الجبال البركانية عن طريق الإلقاء من باطن الأرض، وثم إعادتها عليها لتسقر الأرض؟؟

ألا يكفي ذلك دليلاً على أن هذا العلم وحي أنزله الله على رسوله الأمّي الذي كان يعيش في العصر، غلبت عليه جاهلية، والناس يعبدون مظاهر كونية ويقدسونها. فإنها البينة العلمية الشاهدة بأن مصدر هذا القرآن هو خالق السموات والأرض.

أريد أن أبين أمامكم مثال آخر من سورة الروم، وهي مقطع من الآيات التي تذكر عن رسالة – محمد صلى الله عليه وسلم – خلال آيات كونية. فقوله تعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١]

قال تعالى:

﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[٢]

ثم قال جل جلاله:

﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٣]

فالآية الأولى من هذا المقطع، تشير إلى وظيفة من وظائف الرياح، أنها سبب أنزال المطر، وتبين علاقة الرياح بجريان الفلك في البحر.

"فقائد وسائق الفلك في البحر، الرياح التي يسخرها الله، لاجرائها فإذا حبس عنها القائد والسائق ظلت راكدة على وجه الماء".[٤]

والآية التي بعدها تذكر في إثبات الرسل وخاصة إثبات رسالة محمد – صلى الله عليه وسلم – وهذا تسلية النبي صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل أرسل رسلاً إلى جميع الأقوام بالبينات فمنهم من أنكروا ومنهم من آمنوا. فكذلك الحال معك، فلا تيئس الله عز وجل يهلك المجرمين وينصر المؤمنين.

وربط هذه الآية وما قبلها هو:أن الله عز وجل كما جعل الرياح، وأنزال المطر من السماء، وجريان الفلك في البحر، من آياته، والبينة والدالة على رحمة الخالق بالعباد، كذلك الله سبحانه وتعالى أرسل في جميع الأقوام، رسله، بالآيات، البينات، والدلائل الواضحة، وكان عليهم أن

---

(١) سورة الروم، الآيتان: ٤٦-٤٧.

(٢) سورة الروم، الآية: ٤٨.

(٣) سورة الروم، الآية: ٥٠.

(٤) الحكمة في المخلوقات، الإمام الغزالي، ص ١٥، ط ٤، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

يستجيبوا، فأهلك الله عز وجل المجرمين وعليه نصر المؤمنين.

يقول سيد قطب في تفسير هذه الآية: إنه يجمع في هذه الآيات، بين إرسال الرياح مبشرات ، وإرسال الرسل بالبينات، ونصر المؤمنين بالرسل ، وإنزال المطر المحي ، وإحياء الموتى وبعثهم. وهو جمع له مغزاه . إنها كلها من رحمة الله ، وكلها تتبع سنة الله . [١]

فتلك الآية صريحة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم – في سياق الآية الكونية. والآية التي بعدها، آية كونية تتحدث عن عملية المطر، فالقرآن الكريم إن لم يكن كتاباً يشرح قوانين العلوم، ويوضح معادلاتهم، من فلك، فيزياء، كيمياء ... وغيرها، ولكن له أسلوباً معيناً يشير إلى قضية من قضايا العلم.

يذكر الشيخ عبد الله نعمه يذكر أسلوب القرآن هي بيان أشارات علمية فيقول: "ويقدمها بايماءة خاطفة، والمحة سريعة، قد لا يأبه لها المخاطبون به أو لا يبالون به، ولكنها تلفت انتباه من أوتي خطأ من علم وعقل، وكثير من هذه الومضيات السريعة، والإشارات الخاطفة، أثبت العلم أنها تعني أشياء كثيرة في المجالات العلمية، وأيدت ذلك التجارب والكشوف الحديثة." [٢]

وهذه الكشوف الحديثة والتجارب العلمية تثبت أن هذا الكلام الذي جاء به محمد – صلى الله عليه وسلم – قبل ألف وأربعمائة عام، ليس من كلام البشر كما أن الله تعالى تشير في الآية التالية عملية المطر، فقوله تعالى:

﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[٣]

هذه الآية تذكر عن مراحل إنشاء المطر.

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٢٧٧٤/٥، دار الشروق.

(٢) عقيدتنا في الخالق والنبوة والآخرة، الشيخ عبد الله نعمة، ص ٢٩٩، ط٢، مؤسسة عز الدين، بيروت – لبنان. ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٣) سورة الروم، الآية: ٤٨.

فقوله تعالى :

﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ ﴾

يشير إلى مرحلة الأولى في تكون المطر: إن ماء المحيطات والبحار يتبخر بفعل الطاقة الشمسية. وهذا الذرات الغنية بالملح، محملها الرياح إلى طبقات العليا للغلاف الجوي. فإذا التقى هذه البخارات أو الذرات بأجسام باردة في الطبقات العليا من الجو، تنقص حرارتها، وترجع مائعاً على شكل قطرات صغيرة جداً. "تكون حجمها جزءا من ألف من الميترات تقريباً، فلا تسقط هذه القطرات على سطح الأرض للزوجتها في الهواء؛ بسبب حجومها الصغيرة."(١)

وهذا هو السحاب العادي، وهذا هو اللقاح الأول الذي يتم بواسطة الرياح. (من مزج شيئين أحدهما بارد والآخر ساخن).

ويقول د. بشير التركي في كتابه لله العلم:

"ولكن لا يتحول البخار ماءً بمجرد إتصاله بشيء بارد بل ينبغي على الرياح أن تحمل معها (مراكز تمييع)؛ وهي قسيمات مجهرية من الغبار الذي تشيره من سطح الأرض إلى السماء، وهكذا يقع تلقيح الهواء، ليصبح سحاباً، وتصبح الرياح بهذه الصفة."(٢)

وهذه هي المرحلة الثانية كما قال الله تعالى:

﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا﴾

ثم قال عز وجل:

﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾

وجاء في الموسوعة العلمية:

تتكثف جزئيات الماء التي تتجمع حول بلورات الملح أو ذرات الغبار مكونة قطرات المطر،

---

(١) القرآن والكون، د. محمد عبد الله الشرقاوي، ص ١٢١، مكتبة الزهراء، د. ت.

(٢) لله العلم، د. بشير التركي، ص ١٦٤-١٦٥، تونس، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

وهكذا تبدأ قطرات الماء الأثقل من الهواء في الانفصال عن السحب، وتسقط على الأرض على هيئة المطر.[١]

قام العلماء بأبحاث كثيرة في عملية المطر؛ في القرن التاسع عشر، وهم متفقون على أن المطر سر من أسرار الله في الطبيعة، وقد كتب هنرى ديسانس[٢] يقول:

"... ويتواصل نزول المطر من السحاب على الأرض منذ مليارات السنين، ولكن علم الإنسان بأجمعه غير قادر على أن يوضح سر هذا المطر.[٣]

فهذه الإشارات اللطيفة إلى حقائق الظاهرة الكونية، في القرن الخامس، ليس إلاّ من وحي الله سبحانه وتعالى، الذي يدبر النظام كله.

فكل آية من كتاب الله تحمل علماً إلهياً، يعرفه البشر بعد بذل الجهود الشاقة في كشف الحقائق، التي تتحدث عنه الآية القرآنية قبل ألف وأربعمائة عام، مع أن البشرية في تلك الزمن كلها، لم تكن تعلم تلك الأسرار وكان يغلب على تفكيرها الأسطورة والخرافة إلى حد، أنهم إذا سئلوا ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين، ولم يدركوا ماذا يخفي فيه من أسرار وحقائق، والآية في سورة النحل تشير إليه:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[٤]

إن القرآن هو كتاب الله والمعجزة الخالدة، والعلماء أكدوا بها، بعد أن يكشف عنهم الغطاء عن أسرار الكون بالتحقيقات والأبحاث العلمية، فمنهم الجراح الفرنسي، العالمي الشهير الدكتور

---

(١) الموسوعة العلمية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية، الشيخ مجدي فتحي، د. هاني بن مرعي القليني، ص ٢٦٠-٢٦١، دارالتوفيقية للتراث، القاهرة.

(٢) الأستاذ بكلية العلوم بتولوز بفرنسا، كتابه (التحق في المناخ) الصادر في ١٩٦٨م. انظر في، لله العلم، د. بشير التركي، تونس ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٣) لله العلم، د. بشير التركي، ص ١٧٠. القرآن والكون، د. عبد الله الشرقاوي، ص ١٠٤.

(٤) سورة النحل، الآية: ٢٤.

موريس بوكاي؛ فقول:

(... فإن حديثه (القرآن) عن هذه المظاهر الكونية، يعكس لنا علم محمد – صلى الله عليه وسلم – وثقافته عن المخلوقات وأسرارها، كما يعكس لنا علم مجتمعه وبيئته، وعلوم عصره في ذلك المجال، وهي علوم غلبت الأسطورة والساذج عند حديثه عن الكون وأسراره، كما هو شأن كل الكتب التي دونت في تلك الأزمنة بما فيها الكتب المقدسة عند اليهود والنصارى، التي طرأ عليها التحريف، هذا إذا كان القرآن من عند محمد – صلى الله عليه وسلم -. أما إذا كان القرآن من عند الله فسنراه عنه حديثه عن المخلوقات وأسرارها يسبق مقررات العلوم الحديثة، وسنرى الاكتشافات العلمية تلهث وراه، فتقرر ما فيه من حقائق، وتؤكد ما فيه من مقررات في شتى المجالات."[١]

هناك دليل آخر، الذي يذكر في سورة النحل، على صدق الرسالة في سياق آية الله الكونية، هو كما قال الله:

﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾[٢]

وهنا قال الله عز وجل ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ يدل على صدق النبوة، أن هذا الكتاب ليس من عند محمد – صلى الله عليه وسلم – بل تنزيل من الله عز وجل.

يبدو لنا من هاتين الآيتين، أن منهج هذا القرآن منهج فريد في الوجود، لا يدع جانباً من جوانبه إلا ويشير إلى حقائق ونواميس هذا الكون، والغاية والحكمة التي وجه من أجلها – فهو يتناول قضياء مظاهر الكون نواميسه، وقضايا أحياء الروح الإنساني، واصلاحه عن طريق الرسالة السماوية.

فالله سبحانه وتعالى أنزل هذا الكتاب على محمد – صلى الله عليه وسلم – ليبين الحق من

---

(١) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، موريس بوكاي، ص ٢٢، دار المعارف. د . ت.

(٢) سورة النحل، الآيتان: ٦٤-٦٥.

الباطل ويفصّل فيما وقع بينهم أي نوع من خلاف، ويقول سيد قطب في ربط هاتان الآيتان:

"هو خير ما أنزل الله للناس وفيه حياة الروح – فهو يتبعه بإنزال الماء من السماء، وفيه حياة الأجسام".[١]

كما الله عز وجل أنزل الماء من السماء فأحيا به، مخلوقات الأرض بعد أن تكون ميتة، كذلك أرسل رسوله وأنزل عليه الكتاب، حياة للقلوب الميتة، ورحمة لها.

وهنا في قوله تعالى:

﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾[٢]

يبين لنا أن القرآن هو الفاصل بين نظريات باطلة وحقائق ثابتة.

أعلم، أن العلوم الحديثة، كل يوم تكشف الجديد وجاؤوا بنظرات عديدة، يرفض واحدة بالآخر، مع أن القرآن ليس كتاب الطب، والفزياء والكيماء ولكن الأشارات التي جاء به القرآن عن حقائق الكون هي ثابتة ومحققة. فإن القرآن يكشف عن أخطأ العلماء في أحدث نظرياتهم.

يقول محمد الماوردي في كتابه: "لقد صحّح القرآن الكريم كثير من النظريات العلمية التي كانت سائدة في كل عصر، وهو يسجل في مكان تلك النظريات حقائقه الثابتة التي لا تقبل التغير ولا التبديل، فكان ذلك إلى جانب الحقائق القرآنية، الكونية في الدعوة إلى الخالق، الحليم المبدع، تحدّياً للعقل البشري بإحقاق الحق وإزهاق الباطل." [٣]

ممكن أن يأتي سؤال في الذهن، لماذا ذكر الله عز وجل الآيات الكونية في سياق إثبات النبوة والرسالة؛ وما هي الحكم الخفية في بيان آيات الكونية التي تدل على إعجاز القرآن، مع أن نبوة

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ص ٢١٨٠، المجلد ٤، دار الشروق.

(٢) سورة النحل، الآية: ٦٤.

(٣) أعلام النبوة، الإمام أبي الحسن علي بن محمد الماوردي، تعليق: خالد بن عبد الرحمن العك، ص ١٥٥، ط١، دارالنفائس، بيروت – لبنان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

محمد تثبت بالتحدي للكفار بإتيان حتى آية مثله، ورسالة ثابتة عن طريق الإعجاز البلاغي، وسيرة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم –. وأخلاقه، وصفاته، كذلك تدل على صحة نبوته، فلماذا شاء الله عز وجل أن يثبت هذه القضايا عن طريق الإعجاز العلمي؟

والجواب على ذلك أن الله تعالى يعرف بعلمه أن سيأتي يوم يجهل الناس فيه اللغة العربية، فلابد من دليل وبينة أخرى تتناسب مع الزمن وثقافة وفهم الناس – فذكر سبحانه وتعالى بعض معجزاته في الآفاق والأنفس حتى يتبين لإنسان أن هذا القرآن الحق وهذه ما يسمى بـ"إعجاز القرآن العلمي" كما جاء في قوله تعالى:

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾(١)

يثبت من هذا أن القرآن كتاب الحق، ومعجزاته الخالدة، والنبي محمد – صلى الله عليه وسلم – رسوله.

أثر آيات الكونية على علماء الكون:

إثبات الرسالة والنبوة بهذه الطريقة يثمر اليقين، ويطهر أثر في تقوية الإيمان وتثبيته بين المسلمين، ويقوم مقام المعجزات المشاهدة في عصر الرسول – صلى الله عليه وسلم – بل هو معجزة مشاهدة في عصرنا الحاضر.

ذكر الحقائق الكونية في القرآن في القرن الخامس، واكتشافات الحقائق العلمية في هذا العصر، لا يرسخ اليقين في قلوب المؤمنين فقط بل يتعدى هذا التأثير إلى غير المسلمين كذلك. وهذا هو أهم وأول وسيلة يهدي، عن طريقها غير المسلمين في عصرنا خصوصاً، لأن الحقائق القرآنية الكونية تدعوهم إلى كلمة سواء بينه وبين اكتشافات الحقائق الحديثة. والدليل على هذا استسلام الكثير من الطبقات المثقفة، بعد إطلائهم على ما جاء في القرآن من حقائق الكونية. فمن أمثلة هؤلاء:

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

البروفيسور ألفريد كروتر، من أشهر علماء العالم في الجيولوجيا، قال:

"إن التفكير في كثير من مسائل الجيولوجيا ونشأة أجرام، من أين جاء بها محمد – صلى الله عليه وسلم – فقد كان بدوياً على أيّة حال يجعلنا نعتقد أنه من المستحيل أن يكون قد عرفها بنفسه أو بمعارف عصره، لأن العلماء اكتشفوا ذلك فقط خلال السنوات القلية الماضية بوسائل معقدة جداً ومتقدمة جداً تكنولوجياً." (١)

هناك كثير من علماء الكون والطبيعة، بعد عدد من المناظرات، والبحوث، نجدهم يعترفون بالسبق القرآن، ونجد كثير منهم في النهاية يشهد أن (لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله)، فمنهم البروفيسور وليام ديلبو هاي؛ عالم بحري مشهور، وأستاذ العلوم الجيولوجية في جامعة كولورادولود، الولايات المتحدة الأمريكية.

كان يبحث في بعض الظواهر لبحرية التي تتعلق بسطح البحر، والتي تتعلق بالحد الفاصل بين البحر السطحي وبين البحر العميق، وبقاع البحار وجيولوجيا البحار، فوجد حقائق عجيبة التي ذكرت في القرآن قبل ألف وأربعمائة عام، فقال: "إنني أجد من المثير جداً أن هذا النوع من المعلومات موجودة في آيات القرآن الكريم، وليست لدى طريقة أعرف بها من أين جاءت ... ثم قال: أعتقد أنه، ولابد أن يكون من الله". (٢)

فثبت مما ذكرناه في هذا المطلب: أن آيات الله الكونية، تثبت صدق الرسالة والنبوة بالبراهين الواضحة، والأدلة القاطعة، وهذه أهم وسيلة من الوسائل التي تقتنع بها عقول غير المسلمين والملحدين والماديين إضافة إلى عقول المسلمين ضعافا الإيمان الذين أصابهم شيء من التشويه واللبس.

---

(١) مقالة : القرآن المعجز، د. جاري ميللر ٢٠١٠-١٠-٢٠، www.rasoulallah.net.

(٢) الإعجاز العلمي والدعوة إلى الله، عبد الكريم علي عبده الفهدي، ص ١٠٣. الكتاب الالكتروني ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م. www.saaid.net.

المطلب الثالث

الآيات الكونية في عرض دلالات الآخرة والبعث بعد الموت

أولاً: الدلائل في إثبات يوم الآخرة

هذا يشمل على النقاط التالية:

(١) خلق السموات والأرض وما بينهما بالحق

(٢) جميع الخلق يحي إلى أجل مسمى

(٣) إنكار الأكثرين للآخرة والبعث

ثانياً: الدلائل في إثبات البعث بعد الموت

(١) استدلال على الإعادة والبعث بالقياس الأولوي

(٢) استدلال بإخراج الحي من الميت والميت من الحي

(٣) استدلال بالمشابهة، إحياء نبات الأرض، بالمطر، بإحياء الموتى في يوم الآخرة

المطلب الثالث

الآيات الكونية في عرض دلالات الآخرة والبعث بعد الموت

إن الإنسان هو المخلوق الوحيد من بين المخلوقات الأحياء على هذه الأرض، الذي يفكر في غده ومستقبله، ولا يقف بصره عند حدود هذه الحياة، فهو يتطلع إلى غده، يخطط له، ويرسم له الطرق، ويدور أفعاله وسلوكه حول نجاح، وسعادة، وفلاح المستقبل. قد ذكرته في الصفحات الماضية، إنه ومنذ قرون طويلة يفكر الإنسان في مجيئه إلى هذه الأرض وغاية مجيئه، ومصيره بعد الموت، فإنها فكرة متغلغلة في وعي الإنسان ووجدانه عبر تاريخه الطويل.

رغم هذا، هناك طائفة من الملحدين والماديين، الذين يرفضون هذا الكلام، ويقولون: "إن عقيدة الآخرة اخترعتها عقلية الإنسان الباحثة عن عالم حر، مستقل عن حدود هذا العالم، وعن مشكلاته، مليء بالإفراح ... وأن هذه العقيدة تنتهي بالإنسان إلى عالم مثالي وخيالي، حيث يحلم بأنه سوف يظفر به بعد الموت. ولكن الحقيقة كما يراها الفلاسفة – أن لا وجود لشيء كهذا العالم الثاني في الأمر الواقع.[١]

أن الذين ينكرون حاجة نفسية عظيمة – مثل هذه زاعمين أنها باطلة. "ولو كانت هذه الأفكار نتاج المجتمع، كما يزعمون، فكيف لا تزال تطابق التفكير الإنساني، فهذه الصورة المدهشة، من أقدم العصور؟ هل تجدون مثالاً لأية أفكار إنسانية أخرى ظلت باقية إلى العصر الحاضر."[٢]

والقرآن الكريم يقدم أمامنا إعتراض المشركين في قضية البعث، وكما جاء في قوله تعالى:

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا

---

(١) عقيدتنا في الخالق، والنبوة والآخرة، الشيخ عبد الله نعمه، ص ٣٢٧، ط ٢، مؤسسة عز الدين، بيروت، لبنان. ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م. الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان، ص ٨٣، ط ٧، المختار الإسلامي، القاهرة ١٩٧٦م.

(٢) الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان، ص ٨٣.

يَعْلَمُونَ﴾[١]

وهذه القضية ليس فقط محل الجدل والإثبات في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم – بل ما زالت هذه القضية من أهم مواضيع الدعوة الإسلامية وأساسها.

ينكر الماديون والملاحدة، الأخرة والبعث بعد الموت كما كان مشركوا مكة قد أنكروها.

فالآن أذكر في هذا المطلب إثبات هذه القضية عن طريق الدلائل المرفوضة في سورة النحل والروم.

فالله عز وجل يقول:

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾[٢]

هذه الآية تشير إلى ثلاثة نقاط:

(١) خلق السموات والأرض وما بينهما بالحق

(٢) جميع الخلق يحي إلى أجل مسمى

(٣) أكثر الناس ينكر بلقاء الرب والبعث بعد الموت

ناقشنا النقطة الأولى في الصفحات الماضية.

النقطة الثانية: جميع الخلق يحيى إلى أجل مسمى:

نعرف أن الله تعالى خلق السموات والأرض وما بينهما بالحق، وهو يخلق كل يوم شيئاً جديداً، فهل كل هذه المخلوقات خالدة، لا يعتريها الزوال والفناء أبداً؟ أو يجري جميع أنظمة معمل الكون على النهج التي عليها بدون أي زوال؟؟

---

(١) سورة النحل، الآية: ٣٨.

(٢) سورة الروم، الآية: ٨.

سأعرض بعض الحقائق العلمية التي تؤيد وتثبت أن – السموات والأرض وما بينهما – يقوم إلى أجل مسمى ويؤكد فساد بينه هذا العالم.

كلاّ! بل كما أن لكل شيء في الدنيا أجلاً ينتهي إليه لا محالة بصفته الفردية، كذلك أن النظام العالم الذي نعيش فيه أجلاً لابد أن ينتهي إليه. يقول صاحب البحر المحيط: "في الآية إشارة إلى البعث والنشور، وفساد بنية هذا العالم".

(أ) قانون الديناميكية الحرارية يثبت الآخرة:

إن الماديين كانوا يقرون بأزلية الكون، ولكن قانون الدنيا ميكية الحرارية، والطاقة المتاحة يؤكدان أن الحرارة تنتقل دائماً من وجود حراري إلى وجود غير حراري. "باستمرار هذه العملية، لابد أن يأتي وقت تتساوي فيه حرارة جميع الموجودات، فتنتهي كل العمليات الكيميائية والطبيعية، وبانتهائها تنتهي الحياة تلقائياً على أرضنا، وما يشبهها من كواكب في الأكوان البعيدة." [١]

(ب) موت الشمس والنجوم:

القرآن يقول أن لكل شيء أجل، والعلم الحديث يؤكد هذه القرن العشرين "بأن الشمس بل وجميع الشوس (النجوم) لها عمر محدود، وسوف تموت حتماً في المستقبل حيث قسم علماء فيزياء النجوم دورة حياة النجوم إلى ما يلي:

(موت – وميلاد – شباب – شيوخة – موت) [٢]

أمر إحضار يوم الآخرة لا يبقى بعيداً عن إيمان به في هذا العصر، بسبب تقدم الأبحاث العلمية. كما يعتقد الفكيون أن الشمس سوف تنقلص أثناء استهلاك طاقتها حتى يصبح حجمها

---

(١) مشاهد القيامة في القرآن، سيد قطب، ص ٣٦-٣٧، دار الشروق، بيروت، د. ت.

(٢) إعجاز القرآن في آفاق الزمان المكان، د. منصور حسب النبي، ص ١٨٢، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

بحجم قزم أبيض، وستتخلى عن كميات هائلة من الغازات خلال الانفجارات العنيقة عند تحوّلها من عملاق أحمر إلى قزم أبيض، وتلك هي المرحلة الأخيرة في حياة النجم كذلك الشمس.(١)

وعندما تمدد الشمس لتصبح نجماً عملاقاً أحمر، وتصل إلى الأرض ستكون درجة حرارة الأرض مرتفعة جداً لقيام أنه حياة عليها.

(ج) الزلازل ونهاية الأرض

كذلك الأرض التي بيت الناس، والحيوانات والنبات ينتهي إلى يوم: بعدة أسباب ومنها زلزلة أكبر. وعلماء البحار يوصل الآن إلى "أنه يقع في أعماق الميحطات السحيقة أيدروجين طليق يتكون من ذرات ثقيلة، ومن الممكن تحطيم إحدى هذه الذرات بفعل ضغط كمهربي من صاعقة مثلاً، أو بفعل حرارة هائلة تندلع بصورة مفاجئة من باطن الأرض الملتهب عبر شق يحدثه انكسار في صخور القاع النارية".(٢)

فحين يبدأ اشتغال الأيدروجين الموجود في المحيطات، يحدث زلزال أكبر، تنطلق منه كميات هائلة من الطاقة الإشعاعية، ويهلك جميع على الأرض.

إن الزلازل والبراكين، وفناء بعض النجوم يومياً، وتحطيم أحد الكواكب كلها إنذار للإنسان وأمثله مصغرة للهول الأكبر يوم القيامة. ويثبت هذه الظواهر الكونية أن جميع الخلق له حياة إلى أجل مسمى.

---

(١) Quran for astronomy and Earth exploration from space and Earth, Dr. syed Waqar Ahmed Husaini.
ترجمة الكتاب: الفلكية في القرآن، ترجمة: سمية زيتوني، مراجعة: عبدالباسط إبراهيم، ص ٨١، ط ٢، دار طلاس، دمشق، ١٩٩٦م.

(٢) الإنسان في الكون بين القرآن والعلم، د. عبد العليم عبد الرحمن خضر، ص ٣٩٢، ط١، عالم المعرفة، جدة، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

النقطة الثالثة : إنكار الأكثرين للآخرة والبعث:

الله سبحانه وتعالى يقول ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ (١)

إن الإنسان الواعي والعاقل عندما يرى هذه الحقائق العلمية وسنن الدمار الكونية، يؤمن بهذا اليوم الرهيب، ولكن الذين في قلوبهم زيغ والكبر لا يؤمنون به ولو عقولهم أعتنق بهذه الحقيقة ولكن قلوبهم تبحث عن الحيل والفرار من شدائد هذا اليوم العظيم.

وهذا هو حال المنكرين الذين يعرفون أن القيامة هي الحق، ولكن لا يرى أثر هذا العلم على أعمالهم، والله سبحانه وتعالى يقول لهذه الفيئة:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ * مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ * لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ (٢)

ومن الناس من اعتمد على علمه ولا يصرف أن الجميع القدرة والعلم عند الله ... فعلماء الطبيعيين والفلكيين أكدوا إنهيار وفناء الشمس والنجوم والأرض إلى هذا الحد، أنهم يؤكدوا ضرورة الاستعداد للهروب من سطح الأرض إلى كوكب أبعد كالمريخ أو المشتري. "ويقول بعضهم أن المشكلة سوف تتركز في إعداد سفن فضاء كافية لكل الناس للفرار في الأرض". (٣)

وقال أحد علماء اليابان: إننا إن بقينا على الأرض يقضي علينا .... لذلك يجب أن نغادر الأرض إلى كوكب آخر ... وليس بالضرورة، أن نموت على الأرض؟!"(٤)

---

(١) سورة الروم، الآية: ٨.

(٢) سورة الروم، الآيات: ٤٣-٤٥.

(٣) الكون والإعجاز العلمي للقرآن الكريم، د. منصور محمد حسب النبي، ص ٣٧٦، دار الفكر العربي، القاهرة ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

(٤) بناء الكون ومصير الإنسان، هشام طالب، ص ٦٥٧، ط ١، دار الفكر لبنان، بيروت. ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

فهؤلاء الناس قلوبهم منكرة كما قال الله عز وجل:

﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ (١)

فهؤلاء الناس أعلموا أن اليوم يأتي يدمر النظام والحياة، وحالهم أنهم يريدون أن يستخدموا أقواتهم للهروب من هذا الدمار العظيم، ولكن لا يعرفون أن قيام هذه الساعة في يده الله، وهو ما أخبر به أحد، ويأتي هذه الساعة بغتة كلمح البصر كما قال جلا جلاله:

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢)

يقول د. وهبة الزحيلي: "وخصّ قيام الساعة من بين المغيبات، لكثرة الجدل حوله، وإنكاره من كثير من الناس فهي قحط الأنظار، ومحل البحث والجدل بين المنكرين والموّحدين." (٣)

فأهل المنكرين، إذا أراد الله عز وجل شيئاً من الخلق والإعادة، والبعث للأموات والمعاد، فإنما يتم الأمر به مرة واحدة، فيكون كما يشاء الله، دون عناء، ولا تردد، ولا بطء، ولا تكلف، كما قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٤)

فإن فكرة (الآخرة) التي تقرر لنا القرآن، خلال بيان أن نظام الكون الموجود حالياً سوف يدمر يوماً مفاجأة، لا تعني سوى أن واقع الكون، الذي نشاهده في صورة صغيرة أولية، سوف يتجلى يوماً في صورة نهائية كبرى.

فالقيامة حقيقة معلومة ومثبوتة في أعماق الناس، ومهم اليوم يعرفونها في حد (الإمكان)، ولسوف يلقونها غداً في صورتها الواقعية.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٢٢.

(٢) النحل، الآية: ٧٧.

(٣) التفسير المنير، أ.د. وهبة الزحيلي، ص ١٩٣، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

(٤) سورة النحل، الآية: ٤٠.

الدلائل في إثبات البعث بعد الموت:

بعد أن نثبت قضية إمكان الآخرة، ننتقل إلى قضية البعث والنشور بعد الموت.

لقد اهتم القرآن اهتماماً بالغاً بإثبات اهتماماً بالغاً بإثبات هذه العقيدة وتقديرها، والرد على المشكيكن فيها، تنوعت أدلة الآيات الكونية في تقدير هذه القضية، بين إخبار بوقوع البعث، وتدليل على وقوعه، واستدلال بالحس والمشاهدة على إمكانه، وتنتبيهه بالقوانين تجري في عالم الحياة. وسوف أعرض دلائل من الآيات الكونية التي تثبت هذه القضية، عقلاً ومنطقاً.

(أ) استدلال على الإعادة والبعث بالقياس الأولوي:

إن شبهات المنكرين للبعث تكاد تكون متجانسة لأنها تدور حول استعباد جمع الأجزاء بعد تفرقها، وإعادة الحياة إليها بعد فنائها، والله عز وجل ذكر زعم المشركين في سورة النحل، فيقول:

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]

والله سبحانه وتعالى استدل على إعادتهم بالقياس الأولوي، فيقول:

﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[2]

يقول سيد قطب في تفسيره: "فالإعادة كالبدء لا غرابه فيها . وهما حلقتان في سلسلة النشأة، مترابطتان لا انفصام بينهما . والرجعة في النهاية إلى رب العالمين ، الذي أنشأ النشأة الأولى والنشأة الآخرة ، لتربية عباده ورعايتهم ومجازاتهم في النهاية على ما يعملون .".[3]

فمن الأدلة العقلية التي برهن بها الله عز وجل على البعث والمعاد، هي قياس منشأة الأخرى على منشأة الأولى. لأن "لا شي أكثر عداءً للمنطق والعقل الإنسان من أن نسلم بوقوع حارث في

---

(١) سورة النحل، الآية: ٣٨.

(٢) سورة الروم، الآية: ١١.

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، ص ٢٧٦١، المجلد ٥، دار الشر وق.

(الحال) وننكره في (المستقبل)." [١]

العلم الحديث يثبت هذه الإعادة بتجاربه، فيقول: "أن الجسم (يفني) لا يفنى حقيقه، وإنما هو (يتحلل) إلى العناصر الأولية؛ وأن بمقدور العلماء في المعامل جمع هذه العناصر الأولية، بينما التي كانت عليها قبل فناء الجسم أو إعادة ليعود إلى ما كان عليه من قبل، فالماء جسم، وهو يتحلل إلى أوكسجين (ذرة واحدة) وأيدروجين (ذرتين)، والعلماء يستطيعون جمع الذرات الثلاث ليتكون لديهم الماء مرة أخرى". [٢]

فهذا كان بنسبة علم البشر، الذي يجمع العناصر مرة أخرى إلى حالة ما قبلها، فما حال الخالق، العليم، القدير، أليس له قدرة على الإعادة؟!! ونحن نعرف أن الإعادة أسهل من الخلق، كما قال الله عز وجل.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [٣]

(ب) الاستدلال بإخراج الحي من الميت والميت من الحي :

الله سبحانه وتعالى يستدل على البعث، بذكر ظواهر حقيقة وعادية، تمر كل يوم أمام أعين المنكرين والمشككين، وهي – إخراج ميت من الحي، وإخراج حي من الميت – فنرى إخراج الصوص من البيض، وإخراج النبات من البذرة ساكنة لا حياة فيها.

---

(١) عقيدتنا في الخلق والنبوة والآخرة، الشيخ عبد الله نعمة، ص ٣١٥، مؤسسة عز الدين.

(٢) الإنسان في الكون بين القرآن العظيم، د. عبد العليم عبد الرحمن خضر، ص ٤١٠، ط١، عالم المعرفة جدة السعودية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٣) سورة الروم، الآية: ٢٧.

* ليس شيء أهون على الله وأصعب. إنما أمره إذا أراد شيئاً، أن يقول له: (كن فيكون) ولكنه، إنما يخاطب الناس بحسب إدراكهم، ففي تقدير الناس أن بدأ الخلق أصعب من إعادته، فما بالهم يرون الإعادة عسيرة على الله وهي في طبيعتها أهون وأيسر؟! انظر : في ظلال القرآن ٢٧٦٦/٥.

كما قال الله عز وجل:

﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ (١)

فهذه الآية عجيبة رهيبة لمن يتأمل بالحس الواعي، والقلب البصير. فالله عز وجل عرض أمامنا ظاهرة كونية. إخراج الحي من الميت والميت في الحي، فكما فهذا عمل عادي واقعي لا غرابة فيه، كذلك الله سبحانه وتعالى يخرج الناس من قبورهم أحياء.

ثم يقول في آية ما بعدها:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ (٢)

التراب ميت، ساكن، والإنسان نشأ منه، وينشر في الأرض، فكذلك بعد موته يخرج من التراب وينشر إلى ميدان الحشر.

يقول سيد قطب في تفسيره: "هنا يذكر هذا الأصل ويعقبه مباشرة بصورة البشر منتشرين متحركين . للمقابلة في المشهد والمعنى بين التراب الميت الساكن والبشر الحي المتحرك . وذلك بعد قوله : ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ تنسيقاً للعرض على طريقة القرآن ." (٣)

(ج) استدلال بالمشابهة، إحياء نبات الأرض بالمطر، بإحياء الموتى على يوم الآخرة:

الله سبحانه وتعالى وضح قضية البعث والإعادة، بآيات كونية التي تتضمن إحياء الأرض بالمطر بعد موتها، بصيغ مختلفة وأساليب متعددة، ليقرب إلى الأذهان فكرة إمكان إعادة الحياة إلى الإنسان بعد موته، كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ

---

(١) سورة الروم، الآية: ١٩.

(٢) سورة الروم، الآية: ٢٠.

(٣) في ظلال القرآن ٥/٢٧٦٤.

الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾. (١)

ويقول في مكان آخر:

﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٢)

يقول صاحب الظلال في القرآن: إنها حقيقة واقعة منظورة ، لا تحتاج إلى أكثر من النظر والتدبر . ومن ثم يتخذها برهاناً على قضية البعث والإحياء في الآخرة . على طريقة الجدل القرآني ، الذي يتخذ من مشاهد الكون المنظورة ، وواقع الحياة المشهودة ، مادته وبرهانه؛ ويجعل من ساحة الكون العريض مجاله وميدانه :﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ . . ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ . (٣)

لا شك أن المشاهدة الحسية والعقلية تخضع لهذا التشبيه، والعلم الحديث يثبت هذا أن البذرة لتي مستنبت منها يوم القيامة هي جزء يتبقى من جسم الإنسان، لا تأكله الأرض وهو عجب الذنب.

وفي أكثر من تجربه أجراها العالم الألماني "هانس سبيمان (Hans spemann) (٤) أن هناك ما يسمى بالشريط الأولى، هو المسؤول عن خلق جميع أجهزة الجسم في الجنين البشري، ولإثبات هذه النظرية، قام بطحن هذا الشريط الأولى بقوة قاموا بعد ذلك، بزراعته في أجنة الحيوانات، فوجد أن هذا الشريط الأولى نمامرة أخرى تماماً مثل مدة الأولى. (٥)

---

(١) سورة الروم، الآية: ٢٤.

(٢) سورة الروم، الآية: ٥٠.

(٣) في ظلال القرآن ٥/٢٧٧٥.

(٤) عالم ألماني، حصل على جائزة نوبل سنة ١٩٣٥ على اكتشافه لدور الشريط الأولى (عجب الذنب) المرجع السابق.

(٥) العلم يثبت البعث، منتديات ابن الجزائر.

Http:\\www.ibrdz.com/vb/newreply.php?do-newrply$P-245964

عالم ألماني، حصل على جائزة نوبل سنة ١٩٣٥ على اكتشافه لدور الشريط الأولى (عجب الذنب) المرجع السابق.

ولقد أكد أن هذا الشريط لا يبلي بالطحن أو الغليان وهكذا كل الجسد يبلي ويتحول إلى تراب ولا يتبقى منه إلا الذرات المكونة له، وهذه الذرات عجب الذنب.

وهذا هو يقول عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم:

قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب. (١)

وكذلك حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أو إن في الإنسان عظما لا تأكله الأرض أبدا ، فيه يركب يوم القيامة قالوا : أي عظم هو يا رسول الله؟ قال : عجب الذنب." (٢)

وكذلك سيكون البعث يوم الآخرة حيث ينزل الله مطراً، فتنبت الأجساد الحية من أعجاب

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الفتن، باب ما بين النفختين ٢٢٧١/٤، حديث رقم ٢٩٥٥، بنحوه.
انظر صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج أبي الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.
أخرج هذا الحديث الإمام أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في ذكر البعث والنشور ١٢١/٧، حديث رقم ٤٧٤٣، بنحوه.
انظر: سنن أبي داود للإمام سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير، تحقيق شعيب الأرنؤوط وغيره، ط ١، دار الرسالة العالمية.
– وأخرجه الإمام ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب ذكر القبر والبلى، من ٧٠٧، حديث رقم ٤٢٦٦، بألفاظ متقاربة.
انظر: سنن ابن ماجه للإمام عبد الله محمد بن يزيد القزويني الشهير بابن ماجه، ط١، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية،.
– وأخرجه الإمام النسائي في سننه، كتاب الجنائز، باب أرواح المؤمنين، ص ٢٣٢، حديث رقم ٢٠٧٧، بنحوه.
انظر: سنن النسائي للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي. بيت الأفكار الدولية

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند أبي هريرة، ٥١٥/١٣، رقم ٨١٨٠ بنحوه.
انظر: مسند الإمام أحمد لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن الأسد الشيباني، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ١، بيروت – لبنان.

الذنب (آخر عظمة أسفل العمود القري)، والتي تبقى في الأرض إلى قيام الساعة، كحبة التي تكمن في أعماقها حياة متخفز، ولو مضى عليها زمن طويل، وهي يابسة، لا حياة فيها – توافرت لها ظروف ملائمة وتربة صالحة، والمطر، فتنبت فيها الحياة.

يدور شرح، هذه الظاهرة الكونية وتشبيهها بإحياء الموتى في ضوء حديث الرسول وحقائق علمية، حول المحاور الثلاثة:

(١) الإنسان يخلق من عجب الذنب وهذا لا يبلى.

(٢) منه إعادة تركيب الخلق يوم القيامة

(٣) إعادة خلق وتركيب إنسان يوم القيامة من عجب الذنب تشبه إعادة تركيب وخلق النباتات من البذور في الأرض، وإحيائها عند المطر.

وهكذا هذه الحقائق العلمية تؤيد الدعاة لإبلاغ القضايا العقدية الإسلامية إلى الملحدين، وبها يثبت قلوب المسلمين.

المبحث الثاني

الدلالات الخلقية المستفادة في سياق الآيات الكونية

ويشتمل هذا المبحث على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الدعوة إلى شكر المنعم

المطلب الثاني: الدعوة إلى الأخوة

المطلب الثالث: الدعوة إلى إصلاح المجتمع

المطلب الأول

الدعوة إلى شكر المنعم

الله سبحانه وتعالى خلق كل ما في السموات والأرض وما بينهما، لأجل الإنسان ومنفعته، فهناك آيات كثيرة التي تذكر نعم الله عز وجل لعباده، وخلال ذكر هذه النعم، يدعو الله عز وجل عباده إلى قيمة خلقية وهو الشكر.

والنعمة في اللغة: هو ضد لبأساً والبُؤْسى. (١)

والشكر في اللغة: الشكر: عرفان الإحسان ونشره. والشكر: مقابلة النعمة بالقول والفعل والنية، فيثني على النعم بلسانه، ويذيب نفسه في طاعته، ويعتقد أنه موليها.

فمن المعلوم أن الله جل وعلا أسبغ على عباده نعماً كثيرة، وسورة النحل مليئة بذكر النعم، لأجل ذلك، سميت هذه السورة النعم، كما جاء في تفسير القاسمي "عن قتادة: تسمى سورة النعم، وذلك لما عدد الله فيها من النعم على عباده. (٢)

ففيها المقطعة الكاملة تذكر عن النعم العديدة، التي منح الله سبحانه به عباده، وتقيد هذه النعم بالكشر والاستسلام لله عز وجل. كقوله تعالى في الأنعام ومنافعها للناس.

﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ * وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٣)

"إن هذه الحيوانات اللبونة من (آكلات العشب) هي من النفع للإنسان في المرتبة العظمى:

---

(١) المرجع السابق، ١٧٠/٧.

(٢) لسان العرب، للإمام العلامة ابن منظر، نسق وتعلق : علي شيري ٢٠٧/١٤، ج١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٣) سورة النحل الآيات: : ٥- ٨.

فهي تعطيه الحليب، واللحم، والصوف، والوبر والشعر، وخاصة، فضلاً عما ينتفع به من جلودها وعظامها وقرونها." (١)

فيا عباد الله! أشكروا على هذه النعم ورحمة الله عليكم، "أنه خلق الحيوان مختلف الطباع والخلق، فما كان منه ينتفع الناس بأكله، خلق فيه الانقياد والتذلل، وجعل قوته النبات، وما جعل منه للحمل جعله هادىء الطبع، قليل الغضب، منقاداً منفعلاً على صور يتهيأ منه الحمل." (٢)

فلولا هذه الأنعام، لما يصلح كثير من أعمال الإنسان، فوجب عليه الشكر على هذه النعمة القيمة!

ثم يذكر الله سبحانه وتعالى مزيد من النعم التي أسبغ على الناس، ويدعوهم إلى التفكير في الكون، كي يدرك ما أحاطه به من جلائل العلم، وبدائع الإحسان، مما يعجزه عن تعدّده ...

كقوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٣)

فيأيها الإنسان أنك ترى كل يومٍ ظاهرة إنزال المطر من السماء، وأمامك منافعه، فلما لا تشكر الله؛ وتسبحه بحمده، ولما لا تُعبد الله؟!

ثم انظر إلى النبات والأشجار والثمرات من الزيتون، والنخيل والأعناب ... "وأنت تعلم أن الأغذية التي نحتاج إليها، تتألف من المواد النشوية السكرية، الكربونية، والمواد الدهنية، والبروتينية. فالنشوية منها نستخرجها من الحبوب على اختلافها، والسكرية الكربونية نستخرجها من الأعناب

---

(١) قصة الإيمان ، الشيخ نديم الجسر، ص ٣٦٨، ط٣، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

(٢) مجموعة رسائل الإمام الغزالي، كتاب: الحكمة في مخلوقات الله عز وجل، ص ٤٠، دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٩٦١م.

(٣) سورة النحل الآيتان: ١٠-١١.

والنخيل، والدهنية فنستخرجها من الزيت. [١]

وأما البروتينية منعها الأنعام، لبنها ولحومها.

فتلك الآيات تشير إلى رزق الله عز وجل لعباده. فبعد النظر في نعمة الرزق، على الناس أن يشكروا له، ويعبدوا وحده. كما أكد به الله عز وجل فيقول: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾. [٢]

والله سبحانه وتعالى نبه عباده تأكل من الطيبات: واشكر تقابل نعم الله، بالإيمان به، وبرسله، ومحبته، والاعتراف بإنعامه، وشكره على ذلك، بالعبادته وحده، ولا يستحقها أحد سواه، لأن المنعم هو (الله) فعبادة تستحق له فقط.

ثم يذكر الله سبحانه وتعالى نعم أخرى فيقول:

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [٣]

ويقول أيضاً:

﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [٤]

فيشير الله سبحانه وتعالى إلى تسخير الليل وما فيه منافع للإنسان والنهار وما فيه حكمة في ابتغاء الرزق، وتسخير الشمس والقمر والنجوم، وأنواع مختلفة من النبات، وألقاء الجبال في الأرض حتى تستقر، جميع هذه النعم تنادي: أن يشكروا الله عز وجل شكراً عميقاً من القلب، لأن النفوس

---

(١) قصة الإيمان ، الشيخ نديم الجسر، ص ٣٦٣.

(٢) سورة النحل الآية: ١١٤.

(٣) سورة النحل الآيتان: ١٢-١٣.

(٤) سورة النحل الآيتان:١٥-١٦.

السوية قد جبلت على حب من يحسن إليها وعلى التعلق به، والآيات السابقة تدل أن لا أحد أكثر إحساناً وأشمل من الله عز وجل، فنعمة سبحانه وتعالى للخلق كثيرة. لا يحصيها المحصون ولا يطيق عده العادّون، كما قال الله عز وجل:

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١)

والله سبحانه وتعالى دعا عباده إلى الشكر خلال تذكير نعمة البحر، وما فيه من رزق، فيقول تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٢)

وتشير آية من سورة الروم إلى نفس الموضوع، كقوله تعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٣)

في هذين الآيتين، أكثر من نعمة، فيها إرسال الرياح، وهي سبب من أسباب المطر، "وفيها نعمة امتلاء البحر بالأسماك التي هي من أعظم الأغذية للإنسان، بل من أعظم مخازن الطعام وأغناها، ابقاها على الدهر، وحكمة كونه يحمل الفلك، ونعمة سير الناس فوقه، لابتغاء فضل الله من طريق التجارة." (٤)

فلقد بيّن آياته ونعمه على الناس "لعلهم يشكرون. والرزق في يد الله، فلا تعبدوا إلا إياه، ولا تكفروا نعمه كما قال الله عز وجل:

---

(١) سورة النحل الآية: ١٨.

(٢) سورة النحل الآية: ١٤.

(٣) سورة الروم الآية: ٤٦.

(٤) قصة الإيمان ، الشيخ ندم الجسر، ص ٣٣٥.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (١)

المالك، والرازق هو الله عز وجل، والناس مع ذلك، منحرف عن الله وعن طاعته، وينكر نعمته بعد أن يعلموها. فقال عز وجل:

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٢)

فلماذا هذا الإنكار بعد معرفة النعم العظيمة؟ هذا عجيب جداً.

﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (٣)

اعلموا! أن عدم الشكر ومقابلة النعم بالكفر والجحود يورث غضب الله، وعقابه، وسلب نعمته. كما نبه عز وجل عن ذلك.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (٤)

يقول عبد العزيز بن عبد الله بن باز: "الشكر قيد النعم، إذا شكرت النعم اتسعت وبارك الله فيها؛ وعظم الانتفاع بها، ومتى كفرت النعم زالت وربما نزلت العقوبات العاجلة قبل الآجلة." (٥)

في الواقع نرى هذا كثيراً، مثلاً إذ الناس يخربون ويفسدون في الأرض، وكثرت المعاصي والشرك، يمسك الله سبحانه وتعالى نعمة الأمن، ونعمة كثرة الرزق، ويتبدلهما إلى الجوع من القحط، والخوف من الهلاك.

---

(١) سورة النحل الآية: ٧٣.

(٢) سورة النحل الآية: ٨٣.

(٣) سورة النحل الآية: ٧١.

(٤) سورة النحل الآية: ١١٢.

(٥) مقالة: شكر النعمة – حقيقته وعلاماته –، عبد العزيز بن عبد الله بن باز www.binbaz.orgisa/mat/8277.

فتلك الآيات يدعو الناس إلى الشكر المنعم، باعتراف نعمه، واظهاره بالطاعة والانقياد له. ويحذرهم بالكفر والأنكار لهذه النعم الكبرى عليهم.

والآية أخرى تشير إلى نعم الله على عباده لعلهم يسلمون، كقوله تعالى:

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾[1]

يشير الله سبحانه وتعالى إلى نعمة الظلال في البحر، والبيوت للسكن في الجبال الصالبة، واللباس الذي يقي الناس من الحر وخلال القتال. ولا شك أن تلك الأشياء من أعظم النعم على سكان الأرض، وهكذا الله عز وجل يتم نعمه على عباده، لعلهم يسلمون لأوامره، ويطيعون.

إذن نعمة الله عز وجل تقتضي من الناس الشكر للمنعم، والشكر يقتضي عبادة المنعم دون غيره، وهذا يقتضي الاستسلام الكامل لله عز وجل في جميع شؤون الحياة.

فصاحب المال والثروة يشكر الله، بلسانه، وبأعطاء نصيب من المال للضعفاء وصاحب السلطة، يشكر الله عز وجل، يتجنب الطغيان، والابتراز والانحراف عن الطريق، ربّة الأسرة يشكر الله عز وجل، برعاية الأسرة والإحسان وحسن التهذيب في أمور عائلية. هكذا الشكر واجب علينا في كل حال من الأحوال.

والنموذج الكامل للإنسان الذاكر الشاكر هو أبو الأنبياء إبراهيم - عليه السلام — ويلفت القرآن نظرنا إلى هذه الحقيقة التي تكاد تغفل عنها العيون، ويدعونا إلى رؤيتها من جديد: [2]

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[3]

---

(١) سورة النحل الآية: ٨١.

(٢) أضواء قرآنية في سماء الوحدان، محمد فتح الله كولن، ص ٣٣٨، ط٢، دار النيل ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

(٣) سورة النحل الآيتان: ١٢٠-١٢١.

فاللهم اجعلنا ممن نظر إلى نعمك فعرفها، وشكرك عليها فزادته إيماناً وسعادة، ولا تجعلنا ممن غفل عن نعمك وانكرها، فازداده حسرة وشقاء!!

المطلب الثاني

الدعوة إلى إصلاح المجتمع

إن الناظر في الكون يجد أن الكون يجري بسنن تحفظ وجوده، وتوازنه، وحركته، وجميع عناصر الكون تابعة لنظام الذي يهدف إلى صلاح الموجودات وعدم إفسادها. ويبدؤ كأن كل عنصر من الكون مأمور بإصلاح عنصر آخر ولا خلاف هذه السنة الآلهية. كشمس منذ ولادتها تقوم بأعمال التي بها تصلح حياة أهل الأرض، وكذلك النجوم والقمر، والجبال، والأشجار، والبحار، والهواء والمطر تقضي أعمارها في وظائف التي تصلح المجتمع الكونية كله.

فهل الإنسان، أشرف المخلوقات، صاحب العقل والبصر، أن يفسد النظام، ويفسد البيئات، والمجتمعات بأعماله الشرية؟!

كلاّ! بل الكون يدعوه إلى إصلاح مجتمعه، ولا يقوم الصلاح إلا بالتمسك بأوامر الله عز وجل، خالق الكون والإنسان، والاجتناب عن نواهيه. والإصلاح خير للفرد، والمجتمع والأمة، كلها تحققته وسائله القائمة على تحقيق العبودية لله عز وجل، وإقامة العدل والإحسان، والسعي بالمعروف، والنهي عن الفحشاء والمنكر، وإحقاق الحق، وابطال الباطل، ومحاربة الظلم والفساد والبغي.

يبين الله – عز وجل – هذه القيم الأساسية لإصلاح المجتمع في سورة النحل، فيقول عز وجل :

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (١)

إن الله تعالى يدعو الناس إلى مكارم الأخلاق، فأمرهم بالفضائل ونهاهم عن الرذائل. وفي

(١) سورة النحل الآية: ٩٠.

هذه الآية يذكر ثلاثة قيم الأخلاقة الأساسية وأمر بها، ونهى عن ثلاثة صفات الرذيلة، حتى يستقيمالمجتمع الإسلامية. ففي هذه الآية الله سبحانه وتعالى يأمر بالعدل، وهو عمد النظام الاجتماعي، ثم يأمر بالإحسان، وهذا من أعلى درجة من العدل، وايتاء ذي القربى، وهذا من أساس نظام الاقتصاد، وكذلك ثلاثة نواهي وهي الفحشاء والمنكر والبغي... روي ابن جرير عن ابن مسعود: "إن أجمع آية في القرآن، لخير وشر، هذه الآية." (١)

وهذه الآية كانت داعية إلى الإيمان بنسبة مشركي مكة. كما جاء في حديث: روى الإمام أحمد: "أن عثمان بن مظعون مرّ على النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال له: ألا تجلس؟ فقال: بلى فجلس. ثم أوحى إليه هذه الآية فقرأها عليه، قال عثمان: فذلك حين استقر الإيمان في قلبي وأحببت محمداً – صلى الله عليه وسلم -."(٢)

فهذه الآية أصلاً تذكر مبادئ اصلاح المجتمع، فتذكر أولاً.

أولاً: إن الله يأمر بالعدل:

إن العدل صفة من صفات الله عز وجل، والعدل هو سنة إلهية في جميع الكون، فالله أمر به عباده بصفة مطلقة في كل شيء، في القضاء والحكم، وفي التعامل، والعدل مع النفس، وفي الاعتقاد.

ويقول صاحب لسان العرب، أن العدل على أربعة أنحاء: "العدل في الحكم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ والعدل في القول، قال الله : ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ

---

(١) أخرج هذا الحديث الإمام الطبراني في معجمه الكبير. مسند عبد الله بن مسعود، ١٣٢/٩، حديث رقم ٨٦٥٨، بلفظه ومطولاً.

انظر: المعجم الكبير للإمام أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي، ط ٢، دار إحياء التراث العربي.

(٢) أخرج هذا الحديث الإمام أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن عباس ٣١٨/١، حديث رقم ٢٩١٩، مطولاً وبمعناه.

انظر مسند الإمام أحمد لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن الأسد الشيباني، بتحقيق شعيب الأرنؤوط، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت.

﴿فَاعْدِلُوا﴾والعدل، الفدية، قال الله : ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾وعدل في الإشراك، قال الله: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (١)

إن الله تعالى يأمر الناس بالعدل خاصة في الحكم والقضاء.

يقول القاسمي: "العدل هو القسط والتسوية في الحقوق فيما بينكم. وترك الظلم وإيصال كل ذي حق إلى حقه." (٢)

فالمجتمع لا يصح إذا يكون أساس المحكمة والقضاء هو العدل. أمامنا قدوة النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه طبق هذا القيم في القضاء وأصر عليه، قصة معروف لدينا لإمرأة مخزومية التي سرقت فجاؤوا أصحاب قبيلتها إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن لا يقيم الحد، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – : يأيها الناس، إنما ضل من كان قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه؟ وإذا سرق الضعيف فيهم، أقاموا عليه الحد، وايم الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها." (٣)

فالإسلام جاء بقاعدة ثابتة لكل فرد، ولكل جماعة، ولكل قوم، يقول سيد قطب في تفسيره هذه القاعدة: .."لا تميل مع الهوى، ولا تتأثر بالود والبغض، ولا تتبدل مجاراة للصهر والنسب، والغنى والفقير، والقوة، والضعيف. إنما تمضي في طريقها تكيل بمكيال واحد للجميع، وتزن بميزان واحد للجميع." (٤)

---

(١) لسان العرب، للإمام ابن منظور ٨٤/٩، وباب (ع – د – ل) دار إحياء التراث العربي.

(٢) تفسير القاسمي، تحقيق فؤاد عبد الباقي، ٥٤٣/٤، ط١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

(٣) أخرج هذا الحديث الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الحدود، باب الكراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان، ص ١١٧٠، حديث رقم ٦٧٨٨، بلفظه وفي بدايته قصة.

انظر: صحيح البخاري للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم المغيرة البخاري، ط٢، دار السلام، الرياض، السعودية.

(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٢١٩٠/٤، دارالشروق.

وهذا كان بنسبة للدولة وحكام، وإما العدل في حياة فرد مهم جداً، فيجب على الإنسان أن يعدل في معاملته مع نفسه ومع أبنائه وأسرته، كما قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لرجل أعطى أحد أولاده أكثر من بقية إخوانه، فقال: "أيها الناس! اتقوا الله، واعدلوا بين أولادكم..." (١)

فالعدل يحيط جميع نواحي لحياة الإنسان لأجل هذا أولاً أمر الله عز وجل به.

ثانياً: الأمر بالإحسان:

أمر الله عز وجل إلى جوار العدل، "الإحسان"، نطاقه أوسع، فكل عمل طيب إحسان، والأمر بالإحسان يشمل كل عمل وكل تعامل، فيشمل محيط الحياة كلها، في علاقات العبد بربه، وعلاقاته بأسرته، وعلاقاته بالجماعة، وعلاقاته بالبشرية جميعاً.

وإحسان في علاقة العبد بربه هو كما قال جاء في حديث جبريل عليه السلام والصلاة الإحسان: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك".(٢)

يقول جابر الجزائري: " أداء الفرائض واجتناب المحرمات مع مراقبة الله تعالى في ذلك حتى يكون الأداء على الوجه المطلوب إتقاناً وجودة والاجتناب خوفاً من الله حياء منه."

فالمحسنون هم الذين يصلون إلى هذه الدرجة، وأما الإحسان في المعاملات ، كذلك أمر به كي ينسجم أفراد المجتمع بعضهم بعضاً، ومن أمثلته: أن يترك المرء حقه، أو يكظم غيظه، أو يعفو

---

(١) أخرج هذا الحديث الإمام أبو داود في سننه، كتاب البيوع، باب في الرجل يفضل بعض ولده في سورة النحل الآية: ٤٠٣/٥، حديث رقم ٣٥٤٤، مختصراً وبمعناه.

انظر: سنن أبي داود للإمام سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وغيره. ط دار الرسالة العالمية، ٢٠٠٩م.

(٢) أخرج هذا الحديث الإمام الترمذي في جامعه، كتاب الإيمان. باب ما جاء في وصف جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم. ص ٧٧٨، حديث رقم ٢٦١٠، مطولاً وفي بدايته قصة.

انظر: جامع الترمذي للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، دار السلام، الرياض، السعودية.

عمن أساء إليه، وهذ هو أفضل الإحسان وأعلاه، فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم – به (وأحسن إلى منك آساء إليك تكن مسلماً).[١]

لو يحصلون المسلمون على هذا المستوى من الخلق، يصبح المجتمع الصالحة والنقية من الخصام، والفساد، الانتقام. وهذا هو مجتمع مثالية إسلامية.

ثالثاً: الأمر بإيتاء ذي القربى:

إن الشيء الثالث الذي أمر به الله عز وجل هو: احياء ذي القربى، أي: إعطاء القرابة حقهم من الصلة والبر".[٢]

وقال تعالى في سورة الروم: ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٣]

ولقد اهتم الإسلام بالطبقات الضعيفة في المجتمع، فأمر الأغنياء بإعطاء المال لضعيف، فذو القربى أولى بهم، ثم مساكين، ثم ابن السبيل، وهذا حكم جاء، حتى يكون المساواة والعدالة بين الناس، ويكون الطعام الكافي لكل جائع، والعلاج الكافي لكل مريض، والكساء المناسب لكل عريان، والكفاية التامة لكل محتاج.

فيأيها الناس، تفكر في هذا الأمر، يخفي فيه مصالح كثيرة منها:

(١) المساواة بين الطبقات المختلفة في المجتمع.

(٢) إثارة المحبة والوحدة بين قلوب أفراد المجتمع.

---

(١) أخرج هذا الحديث الإمام ابن الأعرابي في معجمه، ١٧٤٤/١، رقم ١٥٠٧، بزيادة قصة في أوله. انظر: كتاب المعجم للإمام أبي سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن بشر ابن الأعرابي، بتحقيق عبد المحسن ابن إبراهيم بن أحمد الحسيني، دار ابن الجوزي، الرياض، ط١. أيسر التفاسير: أبو بكر جابر الجزائري، ١٥١/٣، ط ٣.

(٢) التفسير المنير، أ. د. وهبة الزحيلي ٢١٢/١٤، دار الفكر، دمشق.

(٣) سورة الروم الآية: ٣٨.

(٣) قلة الكبائر وقلة كسرقة. والهرابة، والزنا، والظلم.

هذا الكلام كان يتعلق بالأوامر والآن نأتي إلى النواهي التي تذكرها في هذه الآية.

الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[١]

(والْفَحْشاءِ): كل قبيح قولا أو فعلا ، ويشمل الزنى والسرقة وشرب المسكرات والطمع ونحو ذلك من المذموم (وَالْمُنْكَرِ): ما أنكره الشرع واستقبحه العقل السليم ، كالكفر والمعاصي من الضرب الشديد والقتل وغمط حقوق الناس ، ونحو ذلك (وَالْبَغْيِ): ظلم الناس ، والاستعلاء عليهم وتجاوز الحد. [٢]

وهذه الثلاثة تتعلق بعضها بعضاً.

فأولاً جاء نهي عن الفاحشة، لأن هذا من أخطر الوسائل التي يستخدمها الكفار لانحطاط البلاد المسلمين. والتقدم التيكنولوجي يساعدهم كثيراً فيه. فاحذروا أيها المسلمون! لأنهم أدخلوا الفاحشة وأقسامها، بهذه الوسائل في بيوت المسلمين، وهذه الأفكار الردية تسرب في أذهان شباب الأمة الإسلامي. فتذهب الحياء، والخوف والتقوى وتأتي – غلبة الشهوات واتباع النفس، وهذا يؤدي إلى المنكر، والبغي، وكل هذا تفسد المجتمع وتفسد القيم الأخلاقية وانهيار الأمة. كما قال الله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

فعلى المسلمين أن يحذروا من الفاحشة ولا تقربوها لو كانت ظاهرة أم باطنة. وإقامة مراكز التربوية لشباب أن لا تدخلوا في مشاغل التي تقود إلى الفاحشة والمنكرات. والواجب على المسؤولين عن المراقبة التلفاز، والانترنت، والصحف، والمجلات اللاتي تنشر الفاحشة خلال الصور، والأفلام، والأغاني، والموسيقى، ونشر القصص الجنسية وغير ذلك.

---

(١) تفسير المنير، أ. د. وهبة الزحيلي، ٢١٢/١٤، دار الفكر، دمشق.

(٢) سورة الروم الآية: ٤١.

المطلب الثالث

الدعوة إلى الأخوة

من القيم الإنسانية الاجتماعية التي دعا إليها الكون ونظامه هي: الإخاء أو – الأخوة – ومعناه: "أن يعيش الناس في المجتمع متحابين مترابطين متناصرين، يجمعهم شعور أبناء الأسرة الواحدة، التي يحب بعضها بعضاً، ويشد بعضها أزر بعض، يحسب كل منها أن قوة أخيه قوة له، وأن ضعفه ضعف له، وأنه قليل بنفسه كثير بإخوانه." (١)

فإذا أرسل الإنسان نظره وأعمل عقله متأملاً في عناصر الكون، يجد أنها كأسرة كبيرة، وأجزائها مرتبطة، متناصرة، منسجمة بعضها ببعض بعناصر أخرى مثلاً، فالنبات عنصر من موجودات الأرض، حيّاته مرتبطة بالتراب، بالمطر، بالغازات متعددة، وبالشمس؛ فلولا هناك علاقة الترابط، التناصر بين الأفراد العائلة الكونية، لما يصلح النبات في الأرض.

فاتخذ نظام الكون المحبة، والترابط والتناصر ركيزة من ركائزه، التي عليه بناء نظام الأسرة الكونية.

المحبة من لوازم الأخوة:

والحقيقة من الواقع أنه لا يمكن أن نتصور وجوداً – أي وجود – دون نظام ... وأن أي نظام لا يمكن أن يوجد مع التنافر والبغضاء، لأن النظام أصلاً هو حالة توافق ورحمة تنتج عن تألف بين أجزاء الموجود. فلو يرى إلى ذرة: "بالألفة ترتبط اجزاء الذرة، ويبرز وجودها من تألف البروتونات شحنتها الموجبة في مكان واحد، بقانون الرحمة مع تجاذبها بنفس القانون مع اليكترونات السالبة

---

(١) ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده / د. يوسف القرضاوي، ص ١٣٨، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

الغلاف وفق نظام وجود الذرة." [١]

فالحب يمثل العلاقة الرابطة بين أجزاء المادة في مركبات المادة وبين جزئياتها، وبين عناصرها وهو العامل الفاعل والرئيسي في معادلة الحياة. كما قال ابن قيم الجوزية في كتابه (الجواب الكافي) "وكل حركة في العالم العلوي والسفلي فأصلها المحبة." [٢]

ففي غياب الحب لا يتحقق التفاعل وتقف الحياة ثابتة عند حدود غير ناضجة وراقية، فلا تتطور ولا تتحرك، ولا تنمى الكائنات والموجودات الكونية ... وجميع الحركات الطبيعية قاسرة تابعة لها: "فلولا الحب ما دارت الأفلاك، ولا تحركت الكواكب النيرات، ولا هبت الرياح المسخرات، ولا مرت السحب الحاملات، ولا انصدع عن الحب أنواع النبات، ولا اضطربت أمواج البحار الزاخرات ...." [٣]

فلو كان الحب على هذه الأهمية البالغة في نظام الأسرة الكونية، فما حاله في نظام المجتمع الإنسانية!!

الأخوة لا يقوم إلا بالمحبة. فهذا النظم الكوني يدعو المتفكر فيه إلى المحبة بين الناس والبعد عن النفرة فيما بينهم.

يقول إمام حسن البنا عند يذكر مراتب الحب: "أقل الحب سلامة الصدر وأعلاه مرتبة الإيثار." [٤]

ومعاني سلامة الصدر أي: من الحسد، والبغضاء، والأحقاد، وأسباب العداوة والشحناء"،

---

(١) مقالة: فلسفة المحبة هي الجاذبية التي توحد الأجزاء في الكل، عزة اليازجي، ٢٠٠٦/٣/٧م.
http://thawra.alwehda.org.sy/-print-view,asp?.

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدوا الشافي / الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزي، ص ٢٣٨، ط١، دارالعلمية، بيروت، لبنان. ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٤٠.

(٤) منهج التربية عند الإخوان المسلمين، د. علي عبد الحليم محمود، ١٠٢٢/٢، ط١، دارالوفاء،١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

وحفظ اللسان من الكذب والغيبة والنميمة، والبهتان.

واليوم نرى كثيراً في الأمة الإسلامية، الحسد، والبغضاء، والعداوة فيما بينهم، نرى اليوم قوات غربية تسعى في انشقاق الأمة، وقتلهم بعضهم بعضاً. فعلى المسلمون أن يحذر من هذه الآفات لأنها الحالقة كما سماها محمد – صلى الله عليه وسلم – فيقول:

"دبَّ إليكم داء الأمم من قبلكم: الحسد والبغضاء. والبغضاء هي الحالقة، لا أقول: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين." (١)

والنبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الحسد لأنه تهلك الروابط بين الناس والحسد عدو المحبة والأخوة، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ". (٢)

"إن جو البغضاء والشحناء جو عفن كريه، تروج فيه كل بضائع الشيطان من سوء الظن، والتجسس، والغيبة والنميمة، وقول الزور، والسب واللعن، وقد ينتهي إلى أن يقاتل الأخوة بعضهم بعضاً." (٣) وهذا هو الخطر الذي حذرّ منه النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، وقال: "لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض." (٤)

---

(١) أخرج هذا الحديث الإمام الترمذي في جامعه، كتاب صفة الجنة، باب في فصل صلاح ذات البين، ص ٧٥، حديث رقم ٢٥١٠.

انظر: جامع الترمذي للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي دارالسلام، الرياض، السعودية.

(٢) أخرج هذا الحديث الإمام مسلم في صحيحه، كتاب البرّ والصلة والأدب، باب تحريم التحاسد والتباغض والتدابر، ص ١١٢٢، حديث رقم ٢٥٥٩.

انظر: صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دارالسلام، الرياض، السعودية ط ٢.

(٣) ملامح المجتمع المسلم / د. يوسف القرضاوي في جامعه، كتاب الفتن، باب ما جاء (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض) ص ٦٦٤، حديث رقم ٢١٩٣.

(٤) أخرج هذا الحديث الإمام الترمذي في جامعه، كتاب الفتن، باب ما جاء (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)، ص ٦٦٤، حديث رقم: ٢١٩٣.

إن من أفسد السموم التي تدمر المجتمعات، وتنشر النفرة فيها، وتلك التي تسمى بأمراض القلوب، كالغيبة، والنميمة، فهذه مفسدة للألفة والمحبة، وقد جاء التحذير منها في القرآن: (وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا) (١)

وأعتقد، فسدت أنظمه الكون في الماضي البعيد، لو كانت فيها من هذه الخصائل الرذيلة...

أرجو أن يخرج جيل مسلم لا يغتاب ولا يسمع للغيبة أن تدار في مجلسه، كما لا يسمع المسلم لكؤوس الخمر أن تدور في مجلسه!!

الوحدة من لوازم الأخوة:

الوحدة من لوازم الأخوة ومظاهرها، ووحدة النظام سنة من السنن الكونية كما ذكرناه في المبحث السابق.

وأما التنوع والتمايز والتعدد والاختلاف هو كذلك سنة إلهية كونية مطردة في سائر عوالم المخلوقات، من الجماد إلى النبات، والحيوان وغير ذلك. ولكن هذه التعددية والاختلاف فهو في إطار وحدة الأصل الذي خلق الله سبحانه وتعالى، فلا تدل على التنافر والتضاد والتفرقة بل فيه آيات لأهل الذكر كما قال الله عز وجل:

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ (٢)

فاختلاف الألوان لا تدل على التفرقة والتنازعة في الموجودات لأن أصله الواحد كذلك الوحدة المفروضة في الأمة الإسلامية، لا تعارض الاختلاف والتنوع والتمايز الذي يقتضيها اختلاف البيئات، والألسنة، والألوان بتأثير العلاقات المختلفة، والمواريث الثقافية المتعددة، فهو تنوع في اطار الوحدة الجامعة، "وهو أشبه بتنوع المواهب، والميول والأفكار والتخع داخل الأسرة الواحدة ... أو

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٢.

(٢) سورة النحل الآية: ١٣.

تنوع الأزهار والثمار داخل الحديقة الواحدة ..." [١]

كذلك الإنسان الذي خلقه الله من تراب واحد ومن نفس واحدة تتنوع إلى شعوب وقبائل، وأجناس، فألوانهم وألسنتهم مختلفة حسب جنسيتهم ومنطقتهم، وفي ذلك آيات للعالمين، كما قال عز وجل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾. [٢]

يقول سيد قطب: "ومع آية السماوات والأرض عجيبة اختلاف الألسنة والألوان . . بين بني الإنسان . ولا بد أنها ذات علاقة بخلق السماوات والأرض . فاختلاف الأجواء على سطح الأرض واختلاف البيئات ذلك الاختلاف الناشئ من طبيعة وضع الأرض الفلكي ، ذو علاقة باختلاف الألسنة والألوان . مع اتحاد الأصل والنشأة في بني الإنسان ." [٣]

فالأخوة الإسلامية فوق كل العصبيات، ولا ينبغي أن يفرق هذا المجتمع الإسلامي ما يفرق المجتمعات الأخرى من العصبية للجنس أو اللون أو اللغة أو الطبقة، أو غير ذلك ما يمزق وحدة الأمة.

فأياكم بالتفرقة وعدم المحبة، واحذروا من دسائس غير المسلمين الذي يكيدون للمسلمين، ليفرقوا كلمتهم ويمزقوا وحدتهم.

وأياكم بالمسلمين الذين يتبعون أهوائهم، وفرّقوا دينهم إلى فرق عديدة، وكل حزب بما لديه فرحون، وفي قوله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [٤]

بينما الدين القيم واحد لا يتبدل ولا يتفرق، ولا يقود أهله إلا إلى الله الواحد، الذي تقوم السماوات والأرض بأمره، وله من في السماوات والأرض، كل له قانتون ومنيبون إليه.

وأما الدين والعقيدة التوحيد هي النهج الذي تجمع عليه الأمة وترد إليه اختلافها فيقوم حكماً بينهم

---

(١) ملامح المجتمع المسلم د. يوسف القرضاوي، ص ٤٨، مكتبة وهبة.

(٢) سورة الروم الآية: ٢٢.

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب ٥/٢٧٦٤، دارالشروق.

(٤) سورة الروم الآية: ٣٢.

ليهديهم في كل صغيرة وكبيرة في شئون حياتهم.

"وما أنزل الله الشريعة إلا ليحسم الخلاف الذي يلازم البشر بطبعهم وتستشري بينهم آثاره كلما افتقدوا هدى الله".[١]

﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٢]

إذ علينا أن نربط قلوبنا بالعقيدة التوحيد أولاً ثم نجمع على كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – وهذا هو ما قاله إمام حسن البنا:

"أريد بالأخوة أن ترتبط القلوب والأرواح برباط العقيدة، والعقيدة أوثق الروابط وأغلاها، والأخوة أخت الإيمان والتفرق أخو الكفر".[٣]

فالوحدة التي هي سر القوة لا تتحقق إلا في ظل وحدة العقيدة، والحب الآخرين في الله، والحب سيتبع سلامة الصدور وصفاء القلوب، وهذا يساعد على إزالة الخلاف والنفرة والتفرقة. الحب والوحدة عن لوازم الأخوة، فكلما زاد الحب قويت الوحدة وابتعد التفرق، وكلما قويت الوحدة، زادت رعب المسلمين على الكافرين، تنصر المسلمين.

(١) إيمان أثره في حياة الإنسان، د. حسن الترابي، ص ١٩٦، ط٤، دارالقلم، كويت ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٢) سورة النحل الآية: ٦٤.

(٣) منهج التربية عند الإخوان المسلمين، د. علي عبد الحليم محمود، ص ١٠٢٦، ج ٢، دار الوفاء.

الفصل الثالث

الدلالات المستفادة من الآيات الكونية في أساليب الدعوة وخطاب المدعوين

يشتمل هذا الفصل على المبحثين.

المبحث الأول: أصناف المدعوين ذكرت في هذين السورتين

يشتمل هذا المبحث على مطلبين:

المطلب الأول: المعارضون

المطلب الثاني: المسلمون

المبحث الثاني: أساليب الدعوة ونوعية الخطاب

وهذا المبحث يشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: أسلوب الحكمة

المطلب الثاني: أسلوب الموعظة الحسنة

المطلب الثالث: أسلوب الجدل بالحسنى

المبحث الأول

أصناف المدعوين ذكرت في هذين السورتين

يشتمل هذا المبحث على مطلبين:

المطلب الأول: المشركون

المطلب الثانى: المسلمون

المبحث الأول

أصناف المدعوين ذكرت في هذين السورتين

المدعو هو من توجَّه إليه الدعوة، فينقسم المدعويون بعد أن توجه إليهم الدعوة إلى أصناف مختلفة، منهم من يستسلام لها، ومنهم من ينكر عنها، يعني الله سبحانه وتعالى يضل بها من يشاء ويهدي بها من يشاء ولو شاء الله ليهديهم أجمعين كقوله تعالى:

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1]

واستخرجت خلال دراسة آيات الله الكونية في سورتي النحل والروم، أصناف المدعوين التي ذكرت في سورتين.

(١) المعارضون

(٢) المسلمون

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٣.

المطلب الأول

المعارضون

المعرضون والمعاندون هم الذين يتحاملون على الدعوة والدعاة، ويتهمونهم ويسيئون بهم الظن، ويتصدون لهم، ولما يدعون إليه من حق".[١]

الطائفة التي ذكرت من معارضي دعوة الحق في سورتي النحل والروم، هم المشركون. وهذه الطائفة حسب خصائصها ونفسيتها تنقسم إلى ثلاثة أنواع:

(١) المغفلون

(٢) المستكبرون

(٣) المفترون

وكل نوع من هذه الأنواع تختلف عن الأخرى كل اختلاف في خصائصها، وميزاتها، وأفكارها ونفسيتها كذلك، فالداعي الحكيم يضطر أن يعامل كلا منها معاملة مفردة. يقول أمين أحسن إصلاحي في كتابه منهج الدعوة إلى الله: "ويتوقف نجاح الدعوة إلى حد كبير على هذا التفريق في المعاملة، فلو كان هناك داع لا يفرق فيما بين هذه القطاعات المختلفة الممتازة بنوازعها وميولها ورغباتها، ولا يدرك أبعاد هذا الاختلاف لا تستطيع دعوته أن تفعل فعلها وتؤتي أكلها."[٢]

وسوف نتحدث فيما يلي عن سمات كل نوع:

---

(١) فقه الدعوة إلى الله، د. علي عبد الحليم محمود، ص ٩٧٣، ج٢، ط٢، دار الوفاء ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

(٢) منهج الدعوة إلى الله، أمين أحسن أصلاحي، تعريف: نور عالم الندوي، ص ١١٥، دار النشر الكتاب الإسلامي، الكويت. د. ت.

(١) المغفلون:

وأعني بالمغفلين، صنف من الناس الذين يمرون كل يوم عن الآيات المبثوثة في السماوات والأرض وما بينهما، فلا ينظرون إليها بعين البصيرة، وتغلق قلوبهم عن الخير والحق، فيمرون بها غافلون.

والله عز وجل عرض أمامهم مشاهد خلق السماوات والأرض وما بينهما من مخلوقات، كدليل على وحدانية الخالق، كقوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[١]

وعرض أمامهم تسخير الشمس والقمر والنجوم، ومظاهر الليل والنهار كي ينظروا في نظام الكون ويتدبروا في سننه، ويستنتجوا منه أنه وحده لا شريك له في التنظيم، كما قال الله عز وجل: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٢]

ولكن هم غافلون فيمرون على مثل هذه الآيات في الصباح، والمساء، فلا توقظ تطلعهم، ولا تثير استطلاعهم ولا تنطق ضمائرهم؛ أن الخالق، والمدبر، والمنظم لهذا الكون، هو وحده لا شريك له وسبب هذا الإعراض، عدم رؤية العلاقة بين طاقة الفكر وسنن الكون، هذه العلاقة التي يسميها الله التسخير.[٣]

فهؤلاء الناس الذي يعبر عنهم القرآن ان لهم أعينين لا يبصرون بهما، ولهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم أذان لا يسمعون بها، وأولئك هم أضل، وأولئك هم غافلون عن آيات ربهم.

وقال الله تعالى ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[٤]

---

(١) سورة النحل، الآية: ٣.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢.

(٣) حتى يغيروا ما بأنفسهم، جودت سعيد، ص ١٦٦، ط ٨، ١٩٨٩م.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

ممن أهم سمات هذه الطائفة:

(١) رؤية سطحية إلى حقائق الكون وموجوداته

(٢) عدم تفكر في نظام الكون وعدم رؤية السنن التي هي الدلائل الواضحة على وحدانية الله عز وجل.

(٣) العقيدة العبثية للكون وموجوداته، والغفلة عن هدف الخلق.

(٢) المستكبرون:

وطائفة أخرى من أنواع المعارضين هم المستكبرون.

والكبر: "خلق ذميم وآفة عظيمة مستقرون في النفس، وتظهر آثاره في الخارج بأشكال مختلفة ومواقف متعددة، ومن آثاره عدم رؤية الحق في غالب الأحيان أو رؤيته، ولكن الكبر يمنع من الاعتراف به والانقياد له".

يشير الله سبحانه وتعالى إلى جحود المستكبرين في استسلام التوحيد الألوهية والآخرة، فقال عز وجل:

﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ (١)

وفي سياق هذه الآية السلسلة من الآيات الكونية، التي تدل على وحدانية الخالق، وحدانية المنعم، وتدل على يوم البعث.

فهنا الله سبحانه وتعالى يذكر عن الذين يرون هذه الدلائل العقلية الثابتة منتشرة في أنحاء العالم، ولا يؤمنون بها، فهم هؤلاء الذين لا تنقصهم الآيات ولا تنقصهم البراهين، إنما تكمن العلة في كيانهم وفي طباعهم، إن قلوبهم منكرة جاحدة لا تقر بما ترى من الآيات البينة. ويقول سيد قطب في تفسيره: "فالجحود صفة كامنة فيها تصدهم عن الإقرار بالآيات البينات ، وهم مستكبرون ، فالاستكبار

---

(١) سورة النحل، الآية: ٢٢.

يصدهم عن الإذعان والتسليم ".[١]

فالمرض هو في داخل قلوب المستكبرين، وجحودهم يصدهم عن قبول الوعظ كما يصدهم عن قبل الدليل. قول الإمام القرطبي في بيان (قلوبهم منكرة) "أي لا تقبل الوعظ ولا ينجح فيها الذكر." [٢]

إذن القلب المستكبر لا يرجى له أن يقتنع أو يسلم أو يوقن. وكذلك هم مكرومون من الله من الله عز وجل لاستكبارهم الذي في داخل قلوبهم، والذي يظهر من أعمالهم وأفكارهم، شقاقهم بالمسلمين. وفيه قوله تعالى:

﴿لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [٣]

وهناك أذكر بعض لمحات جحودهم وأعمالهم السيئة.

تعديل الحق بالباطل: الكبر ليست صفة كامنة في القلب والنفس؛ بل تنتطق بالأفكار الباطة، فهم يكذبون الحق عندما يجيء إليهم. فإذا عرضوا عليهم الحق (القرآن) وسئلوا: (ماذا أنزل ربكم؟) لم يجيبوا الجواب الطبيعي المباشر ما يليق بالصدق والحق، بل إنما يعدلون عن الجواب بالظلم! فيقولون: (أساطير الأولين). [٤]

فهم عدلوا الحق بالباطل، وارتكبوا جريمتين (١) تكذيب الحق (٢) تعديل بالباطل

وهكذا مرض الكبر يصف هذا القرآن الذي يهدي النفوس والعقول، ويعالج أوضاع الحياة وسلوك الناس، وعلاقات المجتمع وأحوال البشر في الماضي والحاضر والمستقبل بالحكايات الوهمية الحافلة بالخزافة. [٥]

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٢١٦٦/٤، دار الشروق.

(٢) الجامع أحكام القرآن، للإمام القرطبي، ٩٥/٥، مكتبة الغزالي، دمشق.

(٣) سورة النحل، الآية: ٢٣.

(٤) انظر سورة النحل، الآية: ٢٤.

(٥) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٢١٦٧/٤، دار الشروق.

- إضلال الناس بغير علم:

إن الكبر لا يؤثر فقط صاحبه بل أثاره متعدية أنهم ضلوا أنفسهم بجحودهم وكبرهم، وأضلوا الآخرين لأنهم نموذج لناس الذين يتبعونهم، فهم أضلوا الناس بغير علم وبغير دليل وبرهان.

لأجل صددهم الناس عن الإيمان بالوحدانية الله عز وجل، وإنكارهم لكتاب الحق، ضرر ذنوبهم لم يبقى إلى نفوسهم بل يتعد إلى الآخرين، ولذلك هم سيحملوا أثقال ذنوبهم وأثقال ذنوب الآخرين كما قال الله عز وجل:

﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ (١)

المخاصمة والشقاق بالدعاة المسلمين:

المخاصمة والشقاقمن آثار الكبر، فالمتكبرون يخاصمون بأهل الحق، بأهم صحيح وآرائهم صحيحة وهم يثبتون موقفهم بغير علم ولا دليل.

وكان مشركوا قريش كانوا يخاصمون الرسول – صلى الله عليه وسلم – والمؤمنين من أجل شركائهم، فبين الله سبحانه وتعالى أنه يخزيهم يوم القيامة. ويقف فيه هؤلاء المستكبرون المخاصمون موقف الخزي، وينتهي عهد الاستكبار وشقاقهم، كما قال الله عز وجل:

﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٢)

فهؤلاء يثيرون شكوكاً حول الدعوة لتبرير معاضتهم، ويثيرون الأفكار الباطلة بالتي يعدل الحق إلى الظلم والباطل، ولأجل إثبات أفكارهم وآرائهم الخاطئة وبدؤوا بالشقاق والمخاصمة، وبهذه السبل يضلون الآخرين كذلك. فهم يصدون أنفسهم والناس الآخرين عن الدعوة الإسلامية "والداعي الحق

---

(١) سورة النحل، الآية: ٢٥.

(٢) سورة النحل، الآية: ٢٧.

يرى فيهم جوانب اليأس أكثر من جوانب الرجاء والأمل."[١] ولا يجد فيهم من يقبل دعوته إلا أقل قليل، فهذا الاستكبار من أكثر الأسباب التي تحول بين المرء وبين قبوله للحق. فعلى الداعي أن يتعرف بهذا الصنف من الناس، ويعالج أولاً هذا المرض الخطير، ثم يتبع الدعوة إلى خطوات التالية.

(٣) المفترون:

النوع الثالث من المعاندين والمعارضين الدعوة، هم مفترون. يسمى بمفترين لأنهم ينكرون الدعوة ويصدون الناس عنها إفتراء الكذب عليها.

عندما يعرض الدعوة على هذا النوع من المعاندين، فأول شيء يصيب على أذهانهم هو إفتراء الكذب على دعاة الحق ودعوتهم. ثم بدؤوا بالتشكيك في مبادئها ومصادرها، كي يصدوا الناس عن الدعوة إلى الإسلام.

ويذكر الله سبحانه وتعالى عن هؤلاء المكذبون في سورة النحل، فقوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾[٢]

الكفار في مكة يعرفون أن هذا الكتاب وحي من الله عز وجل، ولا من صنع البشر، ولكن شدة إنكارهم، وحقدهم للإسلام، انكروه، وجاؤوا بالكذب أن محمدا – صلى الله عليه وسلم – تعلّم هذا القرآن من بشر أعجمي[٣]، فرد عليهم الرد أبسط الواضح الذي لا يحتاج إلى جدل:

---

(١) منهج الدعوة إلى الله، أمين أحسن أصلاحي، تعريف: نور عالم الندوي، ص ١١٩، دار النشر الكتاب الإسلامي، الكويت.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٠٣.

(٣) في بيان سبب النزول لهذه الآية. أخرج الإمام الطبري هذا الحديث في تفسيره: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله(ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر) وقد قالت قريش: إنما يعلمه بشر، عبد لبني الحضرمي يقال له يعيش، قال الله تعالى:(لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) وكان يعيش يقرأ الكتب. انظر: جامع البيان عن تأويل أي القرآن، للإمام ابن جرير الطبري ٥٣٦٨/٨، دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٤٢٥هـ – ١٤٢٦هـ.

﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾.

ويقول سيد قطب في تفسيره:

"وهذه المقالة منهم يصعب حملها على الجد ، واغلب الظن أنها كيد من كيدهم الذي كانوا يدبرونه وهم يعلمون كذبه وافتراءه . وإلا فكيف يقولون وهم أخبر بقيمة هذا الكتاب وإعجازه إن أعجميا يملك أن يعلم محمدا هذا الكتاب . ولئن كان قادرا على مثله ليظهرن به لنفسه!" (١)

وهنا أريد أن أذكر بأن في هذا العصر المتقدم، هناك طائفة من الناس الذي لا يؤمنون بالدين ولا عقائده ولا شعائره، وهم الملحدون والماديون... لا تذكرا سورتي النحل والروم بعين هذا الصنف من معارضي الدعوة، ولكن بعض الأفكار والمزاعم التي ذكرت ضمن صنف المشركين واعتقاداتهم، مشترك بين المشركين وهؤلاء الملاحدة والماديون.

فهؤلاء الملاحدة والماديون، قد اعترفوا بعظمة هذا الكتاب الكريم، ولكنهم أنكروا بأنه من وحي رب العالمين، واستندوا إلى طائفة من الرجال المثقفين. سيد قطب يشير إلى هذا زعم المستشرقين في تفسيره: "وحتى الماديون الملحدون في روسيا الشيوعية ، عندما أرادوا أن يطعنوا في هذا الدين في مؤتمر المستشرقين عام ١٩٥٤ كانت دعواهم أن هذا القرآن لا يمكن أن يكون من عمل فرد واحد هو محمد بل من عمل جماعة كبيرة . وأنه لا يمكن أن يكون قد كتب في الجزيرة العربية بل إن بعض أجزائه كتب خارجها!!!" (٢)

ويعلل القرآن هذه المقولة الضالة فيقول:

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٣)

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٤/٢١٩٥، دار الشروق.

(٢) المرجع السابق، ٤/٢١٩٥.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٠٤.

وقال:

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾[1]

كما ينكرون هؤلاء الناس الوحي والرسالة كذلك ينكرون البعث بعد الموت ويوم الجزاء.

وهم يصرون على زعمهم هذا حتى حلفوا بالله جهد أيمانهم حلفهم، لا يبعث الله من يموت بعد مماته، وقال الله تعالى:

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2]

فكذبوا وأبطلوا في أيمانهم التي حلفوا بها كذلك، بل يبعث الله بعد مماته.

وليس كانوا مشركي مكة انكروا بالبعث، قبل حوالي خمسة عشر قرناً بل اليوم نفس الإدعاء موجود بين الدهريين والملحدين والماديين.

ذكر هذا الكلام بالتفصيل في الفصل الثاني.

استنتجنا، أن هؤلاء الناس يضرر الإسلام ودعوة الحق بأساليب التالية:

(١) بطريق إفتراء الكذب على آيات الله تعالى، والعقائد ثم ينبه إلى مبادئ الإسلام ما ليس له بها علاقة.

(٢) إثارة التشكيك والشبهات في مصادر الإسلام ومبادئه.

(٣) الطعن في كتاب الله عز وجل، وأحكامه، ونبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – وسننه وسيرته.

وكل ذلك من أنواع الكذب والافتراء على دعوة الحق. فعلى الدعاة المهتمين أن يعرفوا بهذه الأصناف من المعاندين والمعارضين ونفسيتها. ومعرفة أساليبهم المادية والمعنوية لصد الدعوة

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٠٥.

(٢) سورة النحل، الآية: ٣٨.

الإسلامية. كل ذلك يساعد الدعاة على نشر دعوتهم والدفاع عنها.

المطلب الثاني

المسلمون

يشتمل هذا المطلب على إلى نقطتين:

أولى: المؤمنون

ثانية: العصاة

المطلب الثاني

المسلمون

المسلمون ينقسم إلى نوعين:

(أ) المؤمنون

(ب) العصاة

(أ) المؤمنون:

وهم المعروضون في الاصلاح الدعوي بأمة (الاستجابة). [١]

فهم مصدقين بدعوة الإسلام وآمنوا بمبادئه، واطمأنت إليه أنفسهم ورأوا فيه خيراً كما قال الله عز وجل ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾[٢]

تنقسيم هذا الصنف إلى الطوائف الثلاثة حسبما جاء في سورة النحل.

(١) أولو الألباب:

هم أهل العقل والبصر والسمع، فهذه الطائفة من الناس تشعر من قبل الدعوة بقريب مما يدعو إليه الداعية الحق، لأن الناس من هذه الطائفة يخوضون في حقائق الكون، وهذه الطائفة "تبلغ من سموها الخلقي إلى أنها لا تقتنع بظواهر الكون، بل تتفطن للإشارات المضمرة في تضاعيف الكون،

---

(١) المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، ص ١٧٣، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

(٢) سورة النحل، الآية: ٣٠.

ولا تغير الأهمية الحقيقة إلا هذه الحقائق المختفية عن أعين الناس، ولا تقدّر الظاهر هذا التقدير الزائد، الذي يقدّره عامة الناس، ولا تكون عبيد الأهواء والنفس، بل تعرف لمقتضيات العقل والطبيعية قيمتها وفضلها." [١]

فالدعوة النظر في الكون يؤثر مثل هذه الأصناف من الناس، في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [٢]

فصاحب العقل والبصيرة يربط مظاهر الكون بالحقائق العقدية، وبهذا الطريق يصل إلى الحق. لهذا هو ما فعله إبراهيم عليه والسلام.

فصاحب العقل يصل إلى الحق، مجرد بارتباط هذه مظاهر الكونية بالحقائق العقدية، وكانوا يبعثون عن الحق، وفكانوا في حاجة إلى هاد يهديهم إلى الصراط المستقيم. فعندما جاء إليهم دعوة الحق، يجيبون مباشرة بدون الترد والقلق.

ومن مزايا هذه الطائفة:

١- أنهم اعتنقوا الإسلام بالعقل، وبعد الدلائل الواضحة فإمكانهم إرجاء إلى المعاصي أقل من الآخرين.

٢- وكذلك أصحاب هذه الطائفة يكونون على جانب عظيم من قوة العمل والأخلاق والسلوك بما بأن لهم عقلهم حقيقة شيء.

(٣) هم أكثر استشعاراً بالمحبة الله عز وجل.

---

(١) منهج الدعوة إلى الله، أمين أحسن إصلاحي، ص ١٢٧، دار الكتاب الإسلامي.

(٢) سورة الروم، الآية: ٢٤.

(٢) أصحاب الفطرة السليمة :

والتوحيد والخير ثم البيئة ما حوله من المعاصي والمنكرات يؤثر هذه الفطرة.

ولكن إن الإنسان إذا ترك لنفسه من غير عناد ولا نفاق ولا معصية، فإنه يسلك السلوك القويم، الذي تميله عليه فطرته السليمة، القابلة كأن تكون مع الخير، بل من دعاته عندما يفتح الله له باباً من أبواب رحمته وهداه." [١] وأصحابه سليم الفطرة.

والدعي إلى الله تعالى حين طلب من الناس أن يوحدوه، وأن يتبعوا الدين الذي أرسل به إليهم محمد – صلى الله عليه وسلم – يقول لهم، كما قال الله عز وجل ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [٢]

فالآية الكريمة أوضحت أن الفطرة السوية تهدي صاحبها إلى التوحيد. وهذا "الذين هو العاصم عن الأهواء المتفرقة التي لا تستند على حق، ولا تستمد من علم، إنما تتبع الشهوات، والنزوات بغير ضابط ولا دليل... أقم وجهك للدين حنيفاً مائلاً، عن كل ما عداه، مستقيماً على نهيه دون سواه." [٣] ومن صفة أصحاب سليم الفطرة، عندما يرون الدلائل، والبينات يقبلونها.

هم هم يرون كل ما يعرض الدعاة إليهم صوت ضمائرهم، ونداء قلوبهم ونجوى نفوسهم، ولديهم قدرة كافية على التمييز بين الكاذب والصادق فإنهم عندما وجدوا الحق لم يشيروا حوله نقاشاً ولا جدالاً، إن عموم المسلمين بحكم ما فطرهم الله عليه من فطرة سليمة، لم تلوثها أغراض ولا منافع، ولا أصابها من أمراض القلب ما يصرفها عن الحق، إن هؤلاء يكونون على استعداد فطري كذلك للبذل والتضحية في سبيل ما يؤمنون به ويرون أنه الحق." [٤]

---

(١) فقه الدعوة إلى الله، علي عبد الحليم محمود، ص ٥١٢، ج ٢، ط٢، دار الوفاء ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

(٢) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٢٧٦٧/٤.

(٤) أسباب نجاح الدعوة الإسلامية في العهد النبوي، عبد اله بن محمد آل موسى، ص ١٧٦، عالم الكتب الرياض، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

"ولما كان للفطرة تلك المكانة العامة في توجيه المرء، ولكونها دقيقة الشعور، سريعة التأثير بما حولها، من المؤثرات توجه سلوكها، اهتم بها الإسلام، وأرشد إلى ضرورة المحافظة عليها، وتوجيهها الوجهة السليمة، التي تتفق مع إرادة الله من خلق الثقلين ... وهي عبادته وحده."

قال تعالى ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١)

وهم في حالة الإنابة إلى الله والعودة في كل أمر إليه وخوف مراقبتة في السر والعلانية، والشعور به عند كل حركة وكل سكنة وانفراده في العبادة.

وإن على الدعاة إلى الله أن يفيدوا من هذه السمة فيهم، فيسارعوهم كذلك بترشيد هذه الاستجابة، وتوظيفتها لصالح العمل الإسلامي، وتوجيهها التوجيه الصحيح. (٢)

(٣) مستعدّون للبذل والتضحية:

فهذه الطائفة من المسلمين، أولئك الذين يعبدون الله وحده في الفرح ولا يكفرونه في حالة التضرع، وإذا أصابهم أي مصيبة يصبرون عليها، وإذا ضاق عليهم المخالفون بسبب إيمانه، يتوكلون على الله ويهجرون من ديار الكفار إلى ديار الإسلام.

فعلى الداعي إلى الله أن يبشرهم بالجنة في الدينا أجر العظيم في الآخرة كي تثبت قلوبهم على الإيمان ولا تتزلل أقدامهم في المصائب. (٣)

وقال الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٤)

---

(١) سورة الروم، الآية: ٣١.

(٢) فقه الدعوة إلى الله، د. علي عبد الحليم محمود، ٢/٥٨٣.

(٣) فقه الدعوة إلى الله، د. علي عبد الحليم محمود، ٢/٥٨٣.

(٤) سورة النحل، الآيتان: ٤١-٤٢.

فهؤلاء الناس أصل طائفة التي تعاون بالدعاة في عقل الدعوة، حتى تقربها التضحية بالوقفت، والجهد، والمال.

وأهل العبادة محتاجون إلى الدعوة ليزيد إيمانهم، ولتحسن أعمالهم، ولتتحرك نفوسهم لدعوة غيرهم، ليجمعوا بين الصلاح والإصلاح.

(ب) العصاة

د. عبد الكريم زيد أن تعرف بالعصاة في كتابه أصول الدعوة، نريد بالعصاة، كصنف من أصناف الناس، ومن كان عندهم أصل الإيمان وهو الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ولكنهم لا يقومون بحقوق هذه الشهادة، فهم يخالفون بعض أوامر الشرع ويرتكبون بعض نواهيه." [1] ومنهم المكثر من المعاصي ومنهم المق، ومنهم بين ذلك على درجات كثيرة جداً ومتنوعة جداً لا يحصيها إلا الله تعالى.

والعصاة في سورتي النحل والرم من الناس الذين فسدت أخلاقهم، يدعون إلى الله بوعظهم بذكر عظمة الله ليعظموه، وذكر نعمه يشكرون، وذكر سعة رحمته ومغفرته ليتوبوا إليه، ويأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وترغيبهم في الجنة، وترهيبهم من العذاب حتى لا يعصوه.

سوف أذكر بعض صفات العصاة من المسلمين ونفسيهم الحالات المختلفة.

١- الاستكبار:

الاستكبار هي صفة كامنة في القلب كما ذكرناه قبل قليل. في صفة لاستكبار في المؤمن تصده بقيامه واجبه الدينية. وهو لا يخضع أمام الضعفاء لأنه هو أعلى منهم، أو هو لا يرحم الصغير حتى يترك صلواته ولا يبال بالسجود.

---

(١) أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، ص ٤٠٦.

فالله عز وجل يخاطب هؤلاء المستكبرين، وسئلهم أو لم يروا في خلق الله وسنة سجوده، فقال الله عز وجل:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ * وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (١)

يجب على الداعي أن يدعو هؤلاء المستكبرين كما دعام الله سبحانه وتعالى إلى الطاعة والخضوع ببيان مشهد الظلال في الأرض كلها ساجدة لله ومعها ما في السموات والأرض من دآبة والملائكة، وصفتهم ضد صفات هؤلاء المستكبرين، فهم داخرون، صاغرون، منقادون، قد برئت نفوسهم من الاستكبار، وامتلأت بالخوف من الله، والطاعة لأمره بلا جدال." (٢)

وهذا هو ما يطلب من هؤلاء العاصيين والمنكرين.

سوء الفهم للعقيدة: هناك طائفة كبيرة من الناس التي تنطق بالشهادة، أن لا إله إلا الله، ولكن هلم بعض المعتقدات التي لا تليق العقيدة الإسلامية، ومنها "جعل نصيب من رزق الله لأولياء الله. فهم يذبحون على اسم بعض أولياء الله، دون الله عز وجل، أن هذا الولي يذهب عنهم المصائب والآفات.

فهذه الطائفة تتبع في هذه العملية، مشركي قريش الذين كانوا يجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقهم الله.

وقال الله تعالى:

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ (٣)

والله هو الذي رزقهم الله هذه النعمة التي يجعلون لما لا يعلمون نصيباً منها، فلست هي من رزق

---

(١) سورة النحل، الآيات: ٤٨-٥٠.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٤/٢١٦٦.

(٣) سورة النحل، الآية: ٥٦.

الله الآلهة المدعاة لهم ليردوها عليها، إنما هي من رزق الله، الذي يدعوهم إلى توحيد فيشركون به سواه.

ومن سبب هذه المعاصي قلة العلم والجهالة ضعف الإيمان واليقين بالله تعالى.

فعلى الداعي إلى الله أن يسلك هؤلاء الطائفة إلى عقائد صحيحة ويعرض عليهم الأدلة والبراهين التي تثبت وحدانية الله في الألوهية والربوبية في القلب.

(٣) عدم الاستقرار على نهج واحد:

والطائفة الأخرى من العصاة التي لا تستقم على نهج واحد، بل تسير عملها وفق الأحداث والتيارات.

فنفسية هؤلاء عندما مس الضر، أو المرض، أو شدت من هزل، يذكرون ربهم، ويلجاؤن إليه وحده وأخلصوا لربهم التوحيد، أفردوه بالدعاء، ثم إذا كشف ربهم عنهم ذلك الضر وخرجه عنهم وأصابهم برخاء أو خصب وسعة إذا فريق منهم بربهم يشركون، كما قال الله تعالى:

﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾[1]

فهؤلاء الناس لا يستقرون على النهج السليم، وطريقتهم أنه يلجأون إلى الله في شدة، وينسونه في الرحمة.

ويقول سيد قطب:

" ذلك أن الرخاء يرفع عنهم الاضطرار الذي ألجأهم إلى الله؛ وينسيهم الشدة التي ردتهم إليه . فيقودهم هذا إلى الكفر بما آتاهم الله من الهدى وما آتاهم من الرحمة ، بدلاً من الشكر والاستقامة على الإنابة ."[2]

---

(١) سورة الروم، الآية: ٣٣.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٥/٢٧٧٠، دار الشروق.

(٤) الغفلة عن الله في الفرح، والقنوط في الهم والحزن

وعن صفات عصاة ونفسيه أنهم يفرحون في الرحمة ينسبون الله سبحانه وتعالى الذي أنعم عليهم هذه النعمة، وإذا يصيبهم أي آفة بسبب أعمالهم، فقدوا كل رجاء في أن يكشف الله عنهم الغمة، وقنطوا من رحمته، وينسوا فرجه. والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾[1]

وذلك لأنهم:

- لا يدركون سنن الله ولا يعرفون حكمته
- هم يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا
- يعبدون الأرباح والمكاسب، والمنافع
- وقلوبهم منقطعة عن الله عز وجل

فإن عصاة المسلمين توجه إليهم الدعوة إلى الله، فيدعون إلى الطاعة الكاملة، والانقياد بالله سبحانه وتعالى، وأوامره واجتناب نواهية .

كما يقول الله عز وجل في سورة النحل:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[2]

"وهؤلاء العصاة أقرب إلى الله أن يقلعوا عن المعصية، من أولئك الذين لم يدخلوا في الإيمان أبداً." [3]

---

(١) سورة الروم، الآية: ٣٦.

(٢) سورة النحل، الآية: ٩٠.

(٣) فقه الدعوة إلى الله، د. عبد الحليم محمود، ٢/٩٥٤.

إن الدعاة إلى الله، لهم مع أولئك العصاة واجب، أي واجب، فهل أهل حرص على أن ينقذوا هذا العاصي من اتباع هواه.

وإن للدعاة إلى الله مع العصاة أساليب حكيمة، تبغض تبغيض في المعاصية، وترغب في التوبة والرجوع إلى الله، أنه هو الغفور الرحيم، كما قال الله تعالى:

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1]

وعلى الداعي أن يدعوه وتعلمه بالرفق واللين، ويرشده إلى الأحسن بلطف، ويشجعه، على هجر المعصية والإقبال على الطاعة.

(١) سورة النحل، الآية: ١١٩.

المبحث الثاني

أساليب الدعوة ونوعية الخطاب

وهذا المبحث يشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: أسلوب الحكمة

المطلب الثاني: أسلوب الموعظة الحسنة

المطلب الثالث: أسلوب الجدل بالحسنى

تمهيد:

أساليب الدعوة معناه: (الطرق التي يسلكها الداعي في دعوته) أو (كيفيات تطبيق مناهج الدعوة). [1]

عرفنا أن من مناهج الدعوة، المنهج العاطفي، مرتكز على القلب، والمنهج الحسي، مرتكزاً على الحس، والمنهج العقلي، مرتكزاً على العقل، والآيات الله الكونية يشتمل على هذه المناهج الثلاثة في الدعوة إلى الله. والأساليب التي تطبق هذه المناهج متعددة متنوعة.

وسنتناول في هذا المبحث أمهات الأساليب الدعوية التي ذكرت في سورتي النحل والروم خلال آيات الله الكونية.

---

(١) المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، ص ٣٤٢، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

المطلب الأول

أسلوب الحكمة

تطلق الحكمة في اللغة على معان عديدة، منها: العدل، والعلم، والحلم، والنبوة، والقرآن، والأنجيل، والسنة وما إلى ذلك من إطلاقات. قال الراغب في مفرداته: الحكمة: إضافة الحق بالعلم والعقل، ويختلف معنى الحكمة باختلاف من يتصف بها، فالحكمة من الله تعالى معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الأحكام، ومن الإنسان: معرفة الموجودات وفعل الخيرات... [١]

ومن معنى الحكمة: (الإصابة في القول والعمل معاً). [٢]

يقول ابن قيم الجوزية:

(الحكمة) حكمتان: علمية وعملية. فالعلمية: الاطلاع على بواطن الأشياء، ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها، خلقاً وأمراً. قدراً وشرعاً، والعملية هي وضع الشيء في موضعه. [٣]

وأساس الحكمة أن تعطي كل شيء حقه، ولا تعديه حده، ولا تعجله عن وقته، ولا تؤخره عنه.

وهذا حكم عام لجميع الأسباب مع مسبباتها في الكون، فلإنبات البذرة يجب أن يوضع في الأرض، وهذا حقها، وتعدي الحق: كسقيها فوق حاجتها، بحيث يغرق البذر والزرع ويفسد، وتعجيلها عن وقتها: كحصاده قبل إدراكه وكماله.

فالحكمة إذا: "فعل ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي." [٤]

---

(١) المفردات للراغب، ص ٩٥١، ٩٥٤، ط١، دار الكتب العربي، بيروت - لبنان ١٤٠٨هـ - ١٩٨٥م.

(٢) البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، ص ٣٩٣، ج ٥، دار الفكر بيروت — لبنان ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

(٣) تهذيب مدارج السالكين، الإمام ابن قيم الجوزية، هذبه: عبد المنعم صالح العلي العزي، ص ٤٨٨، المكتبة. العلمية، د.ت.

(٤) المرجع السابق، ص ٤٨٨.

وعلى الداعي أن يراعي هذه الأشياء الثلاثة في ضمن أسلوب الحكمة ويطبقها في سير الدعوة إلى الله.

فالله سبحانه وتعالى يرسم لرسوله صلى الله عليه وسلم ولدعاة الإسلام من القواعد الأساسية لأساليب الدعوة إلى الإسلام، فيشر إلى أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة، كما قال الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (١)

إن هذه الآية أجمع على أساليب متعددة: ويقول سيد قطب: "على هذه الأسس يرسي القرآن الكريم قواعد الدعوة ومبادئها ، ويعين وسائلها وطرائقها ، ويرسم المنهج للرسول الكريم ، وللدعاة من بعده بدينه القويم فلننظر في دستور الدعوة الذي شرعه الله في هذا القرآن." (٢)

والدعوة بالحكمة تقتضي ... "تحرى أفضل السبل وأجداها في استجابة الموعدين، واختيار الأنسب من الوقت والمكان، والكلام وطريقة الحوار". (٣)

وفي هذا كذلك إشارة إلى استعمال الدلائل والحجج القطعية المفيدة لليقين.

فمن حكمة الداعية أن يتوخى المناسبة الزمانية والعصرية، فعلى الداعية أن ينظر إلى متطلبات عصره، ومن حكمته أن يتحدث إلى المدعو للغة عصره التي تقنع عقله، وترضي عاطفته. وكلما كان الداعية على صلة بإحداث عصره، وعلى المام بظروفه وملابساته، يعرض دعوته، ويصوغ حجته على ضوء الأحداث التي يعيشها ضمن لدعوته التأثير والبلاغ. "وإذا كان بمعزل عن العصر وأحداثه فإنه بهذا يضرب في حديد بارد، يقدم للناس ما لا يحسونه، ولا يشعرون به. وإبرز دليل لذلك نزول القرآن الكريم منجماً حسب الأحداث التي تمر بالدعوة". (٤)

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٢٢٠١/٤، دار الشروق.

(٣) أسباب نجاح الدعوة الإسلامية في العهد النبوة، عبد الله بن محمد آل موسى، ص ١٩٤، ط١، عالم الكتب، الرياض، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(٤) الدعوة في الإسلام عقيدة منهج، الدكتور رزق الطويل، ص ٦٩، مكتبة الثقافية، مكة المكرمة.

ومن حكمة الداعية إلى الله أن يعرف، أعراف: وتقاليد، وتاريخ المدعوين يتعلق بمكان خاص، ويسلك الأساليب والوسائل حسب متطلباته. فمن حكمة الدعوة في أوروبا وأمريكا تستلزم دراسة العقلية الأوروبية وما وصلت إليه من علم وتكنولوجيا، وتقدم والقرآن الكريم راعى المدارك العقلية للناس الذين عاشوا عصر نزوله. وذلك ببلاغته الفائقة، لأن القوم كانوا مثلاً عظيماً في البلاغة. وكذلك بإجماله بعض القضايا العلمية التي لو فصلت عجزوا عن استيعابها، كما لا يمنع إجمالها من إدراك مافيها من روائع العلم والمعرفة. أشار الله سبحانه وتعالى إلى وسائل الحمل والتواصل كما قال الله عز وجل: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً...﴾ (١)

وبعدها ذكر ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

فما ذكر عن المكتشفات التي سيعرفها الإنسان فيما بعد كالباخرة، والطائرة، والسفينة الفضائية، وأن كان هذا كله يخرج عن دائرة الآية.

فمن حكمة الداعي أن فئة المثقفين وأهل العلم لابد له أن يتخير الأسلوب، وينتقي العبارة، ويحرص على صحة المادة التي يقدمها قائمة على حجج وبراهين تقنع العقل.

فمن حكمة الداعية أن يلفت أنظار هذه الفئة إلى الآفاق،، ويقيم الحجة بالبراهين العقلية والحسية التي توقظ الوجدان وتحرك العقل، كما قال الله عز وجل لإثبات قضية البعث:

﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢)

وقال الله تعالى:

﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾(٣)

---

(١) سورة النحل، الآية: ٨.

(٢) سورة الروم، الآية: ٥٠.

(٣) سورة النحل، الآية: ٦٥.

وكذلك من حكمة الداعية إلى الله، لو كان بيئة جاحدة، ومستكبرة، منكرة لأنعم الله عليه، فعليه أن يدعوها بأسلوب تذكير بنعمة الله عز وجل. كما قال الله تعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١)

وقال تعالى:

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ (٢)

وفي الحجج القطعية المفيدة لليقين.

كذلك لو كان بيئة جاهلة ومشركة لابد أن يدعوهم إلى الحق بالترغيب والترهيب، أو ببيان حال الأمم السابقة الهالكة كما قال تعالى:

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ (٣)

وكذلك قوله تعالى في جزاء الذين اتقوا وعملوا صالحاً:

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ (٤)

وينذر الله عز وجل المتكبرين من عاقبتهم فيقول:

﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (٥)

---

(١) سورة الروم، الآية: ٤٦.

(٢) سورة النحل، الآية: ٨١.

(٣) سورة الروم، الآية: ٤٢.

(٤) سورة النحل، الآية: ٣٠.

(٥) سورة النحل، الآية: ٢٩.

"نعني بهذا مظاهر الحكمة الداعية والدراسة الجادة والدقيقة لمن يدعوهم ومعرفة خصائصهم النفسية والفكرية. حتى يكون أسلوب الدعوة ملائماً لهم، ولا تكون هناك عقبة ما في أسلوب الدعوة تحول بين القوم وبين قبولها." (١)

ومخالفة الأسلوب الملائم لأي جمهور من هؤلاء هو في حقيقته مخالفة للحكمة، فننظر في أحوال المخاطبين ونفسيهم وظروفهم حكمة، والطريقة التي يخاطبهم فيها حكمة، والتنويع في هذه الطريقة حسب مقتبضاتها حكمة، فحكمة أقوم أساس للدعوة الناضجة.

(١) الدعوة في الإسلام عقيدة ومنهج، د. السيد رزق الطول، ص ٨٩.

المطلب الثاني

أسلوب الموعظة الحسنة

تعريفه: الموعظة في اللغة: مشتقة من: وعظه يعظه وعظاً، وعظةً: نصحه. وذكره بالعواقب، وأمره بالطاعة ووصاه بها... (١)

والحسنة: مقابل السيئة: "فالموعظة قد تكون حسنة وقد تكون سيئة، وذلك بحسب ما يعظ به الإنسان ويأمر به، وبحسب أسلوب الواعظ." (٢)

هي الدعامة الثانية التي ينبغي أن يقوم عليها أسلوب الدعوة في الإسلام كما جاء في سورة النحل: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ....﴾ (٣)

يقول د. السيد رزق الطويل أن الموعظة الحسنة: "هي الكلمات الطيبات التي تحرك القلب والمشاعر، وتهز الوجدان والحس." (٤)

ويقول محمد آل موسى في كتابه: "الموعظة الحسنة: النصح والتوجيه بأسلوب لطيف محبب، وبطريقة مقبولة مع ملاحظة الفارق بين النفوس المقبلة والنفوس المعرضة، الالتزام والتواصي بالصبر." (٥)

ولها أشكال عديدة، فمن أشكالها:

---

(١) لسان العرب، للإمام ابن منظور، مادة. وعظ، ٤٦٦/١٧. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو فتح البيانوني، ص ٢-٨، ط ٢، مؤسسةالرسالة، بيروت ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٤) الدعوة في الإسلام عقيدة منهج، د. السيد رزق الطويل، ص ٩١.

(٥) أسباب نجاح الدعوة الإسلامية في العهد النبوة، عبد الله بن محمد آل موسى، ص ١٩٤، ط١، عالم الكتب، الرياض ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(١) الرغيب والترهيب:

وعلى حامل الرسالة أن يهتم في بياناته بمحاصرة من يوجه له رسالته من كل أركانه الداخلية الفكرية والوجدانية والنفسية.

فالمحاصرة الفكرية تكون عن طريق إقناعه بالبراهين والأدلة الصحيحة. والمحاصرة الوجدانية تكون باستشارة ضميره المفطور على حبّ الحق والخير والفضيلة، والمفطور على كراهية الباطل والشر والرذيلة.

كما قال الله تعالى:

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ (١)

والمحاصرة النفسية تكون بتنبيه محور الطمع فيما يرغبه فيه من الأجر العظيم عند الله، ومحور الخوف مما يحذره منه من عذاب الله. (٢)

كقوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٣)

وقال الله في محور الخوف:

﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٤)

---

(١) سورة النحل، الآية: ٧٣.

(٢) فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ٣٤٩/١، دار القلم، دمشق ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

(٣) سورة النحل، الآية: ٤٢.

(٤) سورة النحل، الآية: ٤٧.

فالموعظة الحسنة تؤدي وظيفته الحصار النفسي بالترغيب النفسي بالترغيب الذي يحرك في النفس محور الطمع فيما تحب وتحوى وتشتهى، وبالترهيب الذي يحرك فيها محور الخوف مما يسبب لها الآلام، والأحزان، والهموم.

(٢) القول اللين:

الموعظة الحسنة التي تدخل إلى القلوب برفق، وتتعمق المشاعر بلطف لا بالزجر والتأنيب فالقول اللين، المتبسم بالرفق، الذي يتجنب فيه صاحبه الغلظة والفظاظة، وقسوة العبارة ولاسيما في مواجهة علية القوم وذوي المكانة فيهم، فلا يحقرهم، ولا يسفه من شأنهم، وبهذا الأسلوب يمتلك زمام قلوبهم، ويضع فيها ما يريد من آراء وأفكار." [١]

(٣) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

من أشكال موعظة حسنة الأمر بالمعروف ونهي عن المنكر كماقال الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [٢]

وقوله تعالى:

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [٣]

(٤) ضرب المثل:

من أشكال الموعظة الحسنة، ضرب المثل: هذا يساعد الداعي لإيضاح الفكرة أمام المدعو. وهذا يؤثر قلوب الغافلين، ويوصل إلى التأثير العاطفي بجانب الاقناع العقلي. كما قال الله عز وجل:

---

(١) الدعوة في الإسلام عقيدة ومنهج، د. السيد رزق الطويل، ص ٩٢.

(٢) سورة النحل، الآية: ٩٠.

(٣) سورة النحل، الآية: ٩١.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١)

فهذا مثال رائع يصور الرجل الأبكم الضعيف البليد الذي لا يدري شيئاً ولا يعود بخير. والرجل القوي المتكلم الأمر بالعدل، وهو على صراط مستقيم... ولا يسوي عاقل بين هذا وذاك. فكيف تمكن التسوية بين إلهاً لا يدرك الأشياء وهو مجرد حجر، وبين الله سبحانه وتعالى وهو القادر العليم، الأمر بالمعروف، والأمر بالعدل، الهادي إلى الصراط المستقيم؟

ففي ذلك من كل وسيلة لإيقاظ القلوب والعقول، وفيه من شتى اللمسات الموحية العميقة التأثير. وقال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ...﴾ (٢)

ففيه من كل مثل، وفيه من كل نمط من أنماط الخطاب، وهو يخاطب كل قلب وكل عقل وكل بينة وكل محيط، فيقنع به العقول والقلوب معاً.

آثار أسلوب الموعظة الحسنة:

عظم آثاره في نفوس المدعويين، يظهر هذا فيما يلي:

١- قبول الموعظة، وسرعة التأثر، وسرعة الإستجابة إليها غالباً.

٢- إنشاء المحبة وغرسها في قلوب المدعويين.

٣- محاصرة المنكرات والقضاء على انتشارها، حيث يخجل الناس ممن يعظهم موعظةحسنة إلى غير ذلك.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٧٦.

(٢) سورة الروم، الآية: ٥٨.

المطلب الثالث

أسلوب المجادلة بالحسنى

تعريفه: يقال في اللغة: جادله مجادلة وجدالاً: ناقشه وخاصمه، والجدل:اللدد في الخصومة والقدرة عليها، وهوشدة الخصومة، والجدل: مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة: المناظرة والمخاصمة...[١]

والجدل في الاصطلاح: "عبارة عن دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجة أو شبهة."[٢]

وعرفه الجرجاني في التعريفات: "مراء يتعلق باظهار المذاهب وتقديرها."[٣]

ومن أبرز عناصر السداد في أسلوب الدعوةالجدل بالتي هي أحسن كما جاء في آية النحل التي تعدإيجاز الدكتورالدعوة في الإسلام. وفي قوله تعالى:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٤]

يقول الدكتور السيد رزق الطويل في كتابه: "والجدل هو الحوار، وتبادل والأدلة والبراهين بين الأطراف دعماً لما يراه كل منهما من فكر، وما يعتقده من رأى."[٥]

والجدل بالتي هي أحسن الذي يهدف إلى إحقاق الحق ونصرته، ويكون بأسلوب مناسب، وتؤدي إلى غلبة الحق.

أهميتها:

(١) أنها أمر فطري في الإنسان، كما قال الله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ

---

(١) لسان العرب، للعلامة ابن منظور، مادة (جدل٩) ٣٠٣/١١.

(٢) الكليات، لأبي البقاء، ص ١٤٥.

(٣) التعريفات، للجرجاني، ص ٦٦، مكتبة البنان، ١٩٨٥م.

(٤) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٥) الدعوة في الإسلام عقيدة ومنهج، د. السيد رزق الطويل، ص ٩٩.

خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [١] "فالإنسان المخاصم المجادل الذي يخاصم خالقه فيكفر به ويجادل في وجوده أو في وحدانيته". [٢]

فهذا أمر فطري لابد على الداعي أن يلاحظه في دعوته.

(٢) أنها من أبرز أسلوب الدعوة إلى الإسلام ومن أبرز الأسلوب التي ترتكز على العقل وتخاطبه بالأدلة والبراهين، وتوضح الحق وتبينه.

(٣) قد استخدم الله سبحانه وتعالى هذا الأسلوب في القرآن، خلال دعوة الكفار، والمشركين، وأهل الكتاب إلى الحق.

آدابها:

لأسلوب الجدل آداب عديدة منها ما يتعلق بدوافعه وأسبابه، ومنها ما يتعلق بأسلوبه وكيفيته، ومنها ما يتعلق بآثاره ونتائجه. وقد تعددت أساليب العلماء في ذكر هذه الآداب والتنبيه إليها، فمنهم من يحمل ومنهم من يفصل، وذكر البيانوني جميع الآداب التي ذكرها العلماء تتضافر على تحقيق ثلاثة أمور أساسية، وهي:

(أ) تصحيح الهدف والغاية من الجدال

(ب) تصحيح الأسلوب والشكل

(ج) تصحيح النتيجة، وسلامة الأثر. [٣]

خصائصها:

(١) إقناع المدعو بالعلم والمعرفة وبالأدلة القطيعة، ومطالبة الكفار بالدليل على دعواهم حتى إذا عجزوا كان ذلك قاطعاً في بطلانها لأنها لا تعتمد على دليل.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٤.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب ٤/٢١٦٠، دار الشروق.

(٣) المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد أبو الفتح البيانوني، ص ٢٦٧.

(٢) يتقيد الداعي بالاستدلال بالحق، وأن يجتنب الاستدلال بالأباطيل، والأكاذيب والموضوعات المفتريات، فالحق لا ينصر إلا بالحق.

فالمجادلة تقتضي من الداعي أن يبعث عن الأدلة البرهانية والحجج الصحيحة التي هي حقائق في ذاتها، ثم يستدل بها لإقناع من يدعوه إلى دين الله، أو من يشككوا فيه، وعليه أن يختار منها ما يلائم مدارك من يدعوه، ومستواه العلمي، وحالته النفسية.

(٣) يراعي التدرج والحكمة في إثبات الحق عند المجادلة. أي إذا يجادل الرجل لدية مسلمات يراها حقائق، وهي تناقض ما يريد إقناعه به حاول برفق أن يكشف له بطلان هذه المسلمات بالبراهين والحجج الصحيحة التي يقبلها، أو تلجئه إلى أن يبهت ولا يجد حجة تدفعها أو تدعم مسلماته.

وبعد ما يزلزل اعتقاده بمسلماته ينتقل إلى مرحلة أخرى، وهي تقديم له الأدلة الصحيحة والقطعية التي تنتهي مراحلها بإثبات القضية التي يريد أن يدعوه إليها.

آثارها:

ومن آثاره المجادلة بالحسنى في الدعوة على ما يلي:

(١) إظهار الحق ونصرته وإبطال الباطل

(٢) إقناع الخصم بالحجة والبراهين القطعية.

(٣) إغلاق أبواب الدعاوى الباطلة

(٤) المجادلة دون المخاصمة، فتحافظ على المودة والمحبة بين المجادلين.

كما سأل الله عز وجل المشركين عن دليل وسلطان شركهم فيقول: ﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ (١)

(٢) إقامة الحجة على الخصم وإفحامه: فالأصل في أسلوب الجدل أن يقيم الحجة واضحة كما الله سبحانه وتعالى أعرض أمام المشركين أدلة من خلق الكون وموجوداته ثم أقام عليهم الحجة بقوله تعالى ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٢)

(٣) وكذلك إراد المخاصم والمجادل بإبطال موقفه كما أبطل الله سبحانه وتعالى افتراء المشركين أن النبي صلى الله عليه وسلم يعلم القرآن من الرجل الأعجمي فيقول: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ (٣)

مظاهرها:

(١) إثبات والحق وإبطال الباطل، يجب من نية المجادل. وليس انتصار النفس والرأي. فعلى الداعي أن يجادل بالتي هي أحسن، فالمجادلة بلا تحامل على المخالف ولا ترذيل له وتقبيح. حتى يطمئن إلى الداعي ويشعر أن ليس هدفه هو الغلبة في الجدل، ولكن الإقناع والوصول إلى الحق. ويقول سيد قطب: " فالنفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها ، وهي لا تنزل عن الرأي الذي تدافع عنه إلا بالرفق ، حتى لا تشعر بالهزيمة ، وسرعان ما تختلط على النفس قيمة الرأي وقيمتها هي عند الناس ، فتعتبر التنازل عن الرأي تنازلاً عن هيبتها واحترامها وكيانها . والجدل بالحسنى هو الذي يطامن من هذه الكبرياء الحساسة ، ويشعر المجادل أن ذاته مصونة ، وقيمته كريمة ، وأن الداعي لا يقصد إلا كشف الحقيقة في ذاتها ، والاهتداء إليها . في سبيل الله ، لا في سبيل ذاته ونصرة رأيه وهزيمة الرأي الآخر!"(٤)

---

(١) سورة الروم، الآية: ٣٥.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٧.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٠٣.

(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٢٢٠٢/٤، دار الشروق.

الخاتمة

الحمدلله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه، ومن تبعه باحسان إلى يوم الدين.

فى نهاية بحثى هذا أحمده مجدداً على أن وفقني لإتمامه، وخلاصة هذا البحث متضمنة لبعض النتائج و التوصيات التي خرجت بها من خلال معايشيتي لهذا البحث، تداولى لمصادره فى جمع المادة العلمية له، فمن تلك:

① إن المشكلة التي تواجهها الدعوة الإسلامية اليوم هي تأهيل الدعاة عقلياً وفكرياً. وعالجت هذه المشكلة بدعوة القرآن إلى التفكير في خلق الكون، ونواميسه، ونظامه. فينبغي للداعي أن يستخدم قواته السمعية، والبصرية، والعقلية فيالتفكير فيالكون وآياته كي يحصل المعرفة بالله عن طريق المنهج الاستنباطي، حتى يصل إلى درجة اليقين كما وصل سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام،وبدون التفكر والتبصر تفقدالحياة التي أرادها الإسلام للبشر قيمتها: ﴿قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[1].

② نرى كثيراً من الدعاة المقصرين في إعدادهم الروحي وزادهم الإيماني رغم أنهم يقومون بالفرائض والنوافل من العبادات ولكن روح العبادة التي تؤثر في قلوب الآخرين مفقودة. الكون وجميع مخلوقاته وموجوداته تسجد لله رب العالمين وكل له قانتون كقوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾[2].

فآيات الله فى الكون تشجع الدعاة على الطاعة، والانقياد، والخشوع لله عزوجل، والتضرع إليهفى المصائب التي يواجهها في سبيل الدعوة.

---

(١) سورة يوسف، الآية:١٠٨.

(٢) سورة الروم، الآية: ٢٦.

③ إن التحديات التى يواجهها الإسلام فى هذا العصر، منها ما هو علمي، يواجه إليه بلغة العلم ومصطلحاته، لذلك كان لازماًعلى دعاة المسلمين أن يضعوا إجاباتهم في مواجهة هذه الحملات المسعورة بنفس المصطلحات العقلية والعلمية التي يستخدمها المعارضون والمشككون في الدين، لذلكيجب على الداعية أن يتأهل بالثقافة العلمية وإن من الواجب على الدعاة أن يتسلحوا بثقافتهم الإسلامية، خلال البحث عن آيات الله الكونية، لإحيائها وتأصيلها وتجديدها وتعميمها لأعطاء منهج الإسلامالجديد,المسلح بالعلم والمعرفة فى مواجهة الالحاد المادي المعاصر.

④ عندما تأملنا فى آيات الله الكونية، ليتضح لنا أن جميع الموجودات تمشي نحو هدف معين، بنظام حسن الإدارة، لا شك أن إنشاء الكون وما فيه من مخلوقات، والنظام، والقوانين، تدل على أكبر مخطِط وأعظم مدبر. فعلى الدعاة المسلمين أن ينظروا إلى سنة التخطيط فى الكون، ويطبقوها فى وظيفتهم الدعوية. وذلك يحصل يؤدي لوضوح الأهداف عند كل واحد من القائمين بالدعوة، وأن يكون التنظيم والاتحاد في صفوفهم وهذا يساعدهم على الترتيب والتنسيق والتنظيم في العمل دون أي فوضى.

⑤ إن الجمال مظهر من مظاهر الكون، وما فيه، فهذا الجمال في الكون يستهدف إلى تنمية الحس الجمالى لدى الدعاة المتأملين في الكون. فمن الواجب أن ينعكس هذا الجمال في نفوسهم، وأرواحهم، وأخلاقهم، وحبهم للخير، وفى ملابسهم، ومأكولاتهم، ومساكنهم وفى أداء وظيفتهم الدعوية. إن الدعاة المسلمين للأسف الشديد أهملوا هذا الجانب، تخلفوا في فهم عناصر الإبداع الانسجام في الكون والاجتماع وفقدوا حاسة الاختراع. لذلك يحتاج المسلمون إلى إنشاء علمين فى معاهد الإسلاموكلياته (علم السنن الكونية و علم الجمال

النظام) وهذا وما يطلب منا الله عزوجل لإقامة الخلافة الإسلامية فى سائر العالم.

⑥ وإن قضية إثبات موضوع العقيدة، قضية أساسية للدعوة الإسلامية وعلى الداعي أن يكون واعياً كيف تثبت هذه القضايا العقدية تتناسب بمتطلبات العصر. ولقد أصبح سيئاً للغاية أن يعرض الداعي العقائد أمام الناس، دون أن يحاول مزج المعرفة التقليدية بالجديد لأن كان المواضيع العقائدية في الماضي تدور حول النزاع بين المعتزلة وأهل السنة والفرق الأشاعر والماتريدية الخ.. وكل ذلك كلام لا يدخل فيه من الناس إلا قليلون، لا أساس من أسس النقاش الحي النابغ من التجربة المعاشة. ولذلك يعجز هذا الكلام عن إقناع الملحدين والماديين، لأن أسباب الحادة ليست من موضوعات الكلام، والعصر الحاضر و أفكار الماديين والملحدين يتناقش حول حتمية المادة، وإلهية المادة، والاحتمالات الرياضية لتأثير الصدفة فى نشأة الكون وإمتداده، والتوقعات العلمية لوجود عوالم أخرى غير عالمنا...الخ. فإذا لم تكن هذه القضايا الجديدة هي محور النقاش في قاعات الدروس الدعوية الذي يصوغ عقول الجماهير، فمعنى ذلك أن برامج الدعوية يعمل فى فراغ الفكري والعقدي الثقافي، ولا يعطي البراهين والأدلة العقلية التى تثبت العقيدة الإسلامية فى هذا العصر المتقدم، كيف يواجهها الشبهات والاعتراضات من جانب الماديين والملاحدة!

⑦ إثبات نبوة محمد- صلى الله عليه وسلم - ورسالته كذلك من قضية عقدية، وهي قضية التي أثيرت فيها الشبهات من قبل المستشرقين، والكفار، وأهل الكتاب، والملاحدة. فيجب على دعاة المسلمين أن يثبتوا هذه القضية بالحقائق العلمية الثابتة، بالنقاش العلمى وبعرض الأدلة الكونية من القرآن الكريم . وهذا هو خير سلاح لمواجهة شبهات الملحدين فى كتاب الله عزوجل.

⑧ ولا ينسى الدعاة أن قضية الدين ليست هى قضية(وجود الله) فحسب، ولكنها ستتبع الإيمان بقيم أخرى ومبادئ دعا إليها القرآن الكريم، وهى ضرورة الإيمان بالغيب، وباليوم الآخر وما يتصل به من جنة ونار، وجزاء، فهناك طائفة من الناس الذين يحذر من الإنذار ويؤمن به ولكن هناك صنف من الناس الذين لا يقنع بالترغيب ولا بالترهيب، بل يطلبون الأدلة العقلية. فمنهم المسلمون غير مهتمين بالأمر والنواهى، ومنهم الملاحدة والماديون فيجب مجادلتهم بالأدلة العلمية.

⑨ وفي هذا العصر سبب تقدم العلم والتكنولوجية، حدث الفراغ بين الإيمان بالله التطبيق أوامره ونواهيه فى حياة المسلمين، هناك تيارات الإلحادية التي صدوا المسلمين أن تلتزم بقيم أخلاقية. والمثقفون المعاصرون من الثقافات الإلحادية قج اتخذت لنفسها خطة لئيمة فحواها أن دعوة المسلم إلى الكفر تلقى نفورا في المجتمع الإسلامى، وعدم قبول هذه الدعوة، ولذا ينبغي أن يكون يخرب إيمانهم وأفكارهم الإسلامية بإثار شعائر الخبيثة كحرية المرأة، التي تقوم المجتمع إلى الفاحشة والمنكر، الشعائر، والقومية، هذه تؤدي إلى التفرق والنفرة وعدم الأخوة والمحبة والتعاون بين الأمة الإسلامية إلى آخره. وذلك يسهل فى نهاية الأمر تحطيم فكرة إلهية أساساً في عقله وجدانه. فعلىالداعى أن ينبه بهؤلاء أصناف من الناس، بتأهيل نفسه عقديا، فكرياً، وروحياً، وعلمياً كي يهاجم ويقابل تلك الأفكار والاعتراضات باستخدام الدلائل العلمية والدلائل الثابتة التي جاءت في القرآن، باتخاذ الأساليب التي تقنع عقول هؤلاء الناس.

⑩ على الداعي أن يعرف طبيعة الناس و يمكن حسن التعامل معهم،وهذا يسهل له كيفية ايصال الدعوة إلى الناس ويكسب ود الناس.فعليه أن يرعى الفنون و يمهر ويحذق في استخدام الأساليب والوسائل المناسبة والمتجددة وحسب المدعو.

التوصيات:

① أوصى كل العاملين في الدعوة أن يؤهلوا أنفسهم بحظ وافر من العلوم الحديثة، لأنها تساعدهم على نشرالإسلام في البلاد المتقدمة، السيطرة على الكرة الأرضية وبهذا إن شاء الله سوف ينتشر الإسلام في الأفاق الأخرى و يتحول ميزان القوة عن الكفار إلى الأمة الإسلامية.

② إن معظم المدارس الدينية والمؤسسات الدعوية، تسلك فى نشر الدعوة المنهج القديم، هذا يتطلب منا التوازن بين المنهج القديم والجديد كي تنتج الدعوة فأوصى بإنشاء الكليات المتخصصة بعلم السنن الكونية، وسنه تطبيقها بالدراسة الدعوية.

③ إن المادة العلمية الموجودة فى آيات الكونية والحقائق العلمية صعبة الفهم لعامة الناس بسبب اصطلاحاتها الخاصة بها لذا أوصى المؤسسات والمدارس العلمية للدعوة، بإصدار الكتب، والمجلات، والمواد المقروءة، والمسموعة، والمرئية بلغة بسيطة وواضحة كي يستفيد منها فئة من عامة الناس.

هذا الموضوع مجال واسع بحاجة لمزيد من البحث و التحقيق والتحديد، أما أنا فقد قدمت محاولة بسيطة ولا أدعيأنني قد أتيت الموضوع حقه، فأتمنى أن يأتي من بعدي من يتعمق في الموضوع وخاص الأقلام أرجو منهم أن يراعوا فى كتاباتهم نفع المجتمع وخاصة القائمين بالدعوة الإسلامية من العلماء والدعاة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

م	السورة / الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	سورة البقرة		
١	وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ...	١١٨	١٦
٢	كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ...	١٨٧	١٥
٣	أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ...	٢٢١	٩
	سورة آل عمران		
٤	هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ...	٧	١٥
٥	قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ...	٤١	١٥
٦	الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا...	١٩١	٣٨
	سورة الأنعام		
٧	هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ...	١٥٨	١٤
	سورة الأعراف		
٨	وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ...	٥٦	٨
٩	لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ...	١٧٩	١٨١
	سورة يونس		
١٠	وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي...	٢٥	٩
	سورة يوسف		
١١	قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ...	٣٣	٨
	سورة النحل		
١٢	يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ...	٢	١١٠
١٣	خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ...	٣	٩٧، ١١٣، ١٢٠، ١٨١
١٤	خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ...	٤	١١٣، ٢٠٨

م	السورة / الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٥	وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ ...	٥	٩٩، ١١٤، ١٢٥، ١٥٨
١٦	وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ ...	٦	٩٢، ٩٣، ٩٩، ١١٤، ١٢٥، ١٥٨
١٧	وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ ...	٧	١١٤، ١٢٥، ١٥٨
١٨	وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ ...	٨	١٤، ١٠٠، ١١٤، ١٢٥، ١٥٨، ٢٠٣
١٩	هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ...	١٠	٣١، ٩٤، ١١٤، ١١٩، ١٥٩
٢٠	يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ ...	١١	٣١، ٣٤، ٩٤، ١١٤، ١١٩، ١٥٩
٢١	وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ...	١٢	١٦، ٢١، ٣١، ٤٩، ٨٠، ٩٥، ١١٤، ١٢٤، ١٦٠، ١٨١
٢٢	وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ...	١٣	٣٢، ١١٤، ١٧٤
٢٣	وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا ...	١٤	١٠٠، ١١٤، ١٢٤، ١٦١
٢٤	وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ...	١٥	١١٤، ١٣٤، ١٦٠
٢٥	وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ	١٦	٦٥، ٩٩، ١١٤، ١٦٠
٢٦	أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ...	١٧	١١٥، ٢١٠
٢٧	وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ...	١٨	١٢٧، ١٦١
٢٨	إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ...	٢٢	١٥٠، ١٨٣
٢٩	لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ...	٢٣	١٨٣
٣٠	وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ ...	٢٤	١٣٩
٣١	لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ...	٢٥	١٨٤
٣٢	فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ...	٢٩	٢٠٤
٣٣	وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ ...	٣٠	١٩٠، ٢٠٤
٣٤	وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا ...	٣٦	٧١
٣٥	إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ ...	٣٧	١٤٥، ١٥١، ١٨٧

م	السورة / الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٦	إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ...	٤٠	١٥٠
٣٧	وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ...	٤١	١٩٣، ٢٠٦
٣٨	الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ	٤٢	١٩٣
٣٩	أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ...	٤٥	٢٠٦
٤٠	أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ...	٤٨	٣٢، ٣٦، ٦٧، ٦٨، ١٩٤
٤١	وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ...	٤٩	٦٩، ١٩٤
٤٢	يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ...	٥٠	١٩٥
٤٣	وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا...	٥٦	١٩٥
٤٤	وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ...	٦٤	١٤٠، ١٤١
٤٥	وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً...	٦٥	٤٨، ١٤٠، ١٧٦
٤٦	وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ...	٦٦	٣٣، ٥٧، ١٢٦
٤٧	وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ...	٦٧	٣٣، ٥٦
٤٨	وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ...	٦٨	٦٦، ٨٠، ٨٢، ١٣٠، ٢٠٣
٤٩	ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ...	٦٩	٦٧، ٨٠، ١٣٠
٥٠	وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ...	٧١	١٦٢
٥١	وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ...	٧٣	١٦٢
٥٢	وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ...	٧٦	٢٠٧
٥٣	وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...	٧٧	١٥٠
٥٤	وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ...	٧٨	٣٥، ٤٤
٥٥	أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ...	٧٩	١٤، ٣٢، ٤٦
٥٦	وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا...	٨٠	٩٩، ١٢٦
٥٧	وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ...	٨١	١٦٣، ٢٠٤

م	السورة / الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٥٨	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ...	٩٠	١٦٥، ١٧٠، ١٩٧، ٢٠٧
٥٩	وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ...	٩١	٢٠٧
٦٠	وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ...	٩٣	١٧٩
٦١	وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ...	١٠١	١٥
٦٢	وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ...	١٠٣	١٨٥، ٢١١
٦٣	إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ...	١٠٤	١٨٦
٦٤	إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ...	١٠٥	١٨٧
٦٥	وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً...	١١٢	٢١٢
٦٦	فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا ...	١١٤	١٦٠
٦٧	ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا...	١١٩	١٩٧
٦٨	إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً...	١٢٠	١٦٣
٦٩	شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ...	١٢١	١٦٣
٧٠	ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ...	١٢٥	٢٠٢، ٢٠٥، ٢٠٨
	سورة الإسراء		
٧١	وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ...	١٢	١٦
	سورة مريم		
٧٢	قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ...	٢١	١٥
	سورة الحج		
٧٣	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ...	١٨	٦٥-٦٧
	سورة الشعراء		
٧٤	أَتَبْنُونَ بِكُلِّ...	١٢٨	١٤
	سورة القصص		
٧٥	فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ...	٣٦	١٥

م	السورة / الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	سورة الروم		
٧٦	أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ...	٨	٣١، ١١١، ١٤٦، ١٤٩
٧٧	اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ...	١١	١١٣، ١٥١
٧٨	فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ...	١٧	٧٢
٧٩	وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ...	١٨	٧٢
٨٠	يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ...	١٩	١٥٣
٨١	وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ...	٢٠	١٤، ١٥٣
٨٢	وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ...	٢٢	٦٥، ١١٧، ١٧٥
٨٣	وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ...	٢٤	٣٢، ٣٦، ٤٧، ١٢٢، ١٥٤، ١٩١
٨٤	وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ...	٢٥	١٢١
٨٥	وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ...	٢٦	٦٦
٨٦	وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ...	٢٧	١١٣، ١٥٢
٨٧	مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ...	٣١	١٩٢
٨٨	مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا...	٣٢	١٧٥
٨٩	وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا...	٣٣	١٩٦
٩٠	أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ...	٣٥	٢١٠
٩١	وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا...	٣٦	١٩٦
٩٢	فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ...	٣٨	١٦٩
٩٣	ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ...	٤١	١٧٠
٩٤	قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ...	٤٢	٢٠٣
٩٥	فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ...	٤٣	١٤٩
٩٦	مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا...	٤٤	١٤٩

م	السورة / الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٩٧	لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا...	٤٥	١٤٩
٩٨	وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ...	٤٦	١٣٥، ١٦١، ٢٠٣
٩٩	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا...	٤٧	١٣٥
١٠٠	اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا...	٤٨	١١٩، ١٣٦، ١٣٧
١٠١	فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ...	٥٠	٣٣، ١١٩، ١٣٦، ١٥٤، ٢٠٣
١٠٢	وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ...	٥٨	٢٠٧
١٠٣	وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ...	٤٦	٩
	سورة فاطر		
١٠٤	يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ...	١	١٣
١٠٥	إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ....	٤١	١٢١
	سورة فصلت		
١٠٦	وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا...	١٢	٩٩
١٠٧	وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا...	٣٣	٨
١٠٨	سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ...	٥٣	١٤٢
	سورة الجاثية		
١٠٩	يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ...	٨	١٥
	سورة الحجرات		
١١٠	وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا	١٢	١٧٤
	الذاريات		
١١١	وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ...	٥٦	٧، ٧٠
	سورة النازعات		
١١٢	فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى	٢٠	١٦

فهرس الأحاديث

م	طرف الحديث والأثر	الصفحة
١	أن عثمان بن مظعون مرّ	١٦٦
٢	أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال حين يسمع ...	٨
٣	أيها الناس ! اتقوا الله ...	١٦٨
٤	أن تعبد الله كأنك ...	١٦٨
٥	إن في الإنسان عظماً ...	١٥٥
٦	إن أجمع آية في القرآن ...	١٦٦
٧	دب إليكم داء الأمم ...	١٧٣
٨	كل ابن آدم يبلى ...	١٥٥
٩	لا تباغضوا، ولا تحاسدوا ...	١٧٣
١٠	لا ترجعوا بعدي كفاراً ...	١٧٣
١١	وأحسن إلى منك مساء ...	١٦٩
١٢	ويح عمار تقتله الفئة ...	٩
١٣	يأيها الناس إنما ضل ...	١٦٧

فهرس المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

كتب التفاسير:

١) الأساس في التفسير، سعيد حوّى، ط١، دارالسلام، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٢) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لأبي بكر جابر الجزائري، ط٣، دارالحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٣) تفسير البحر المحيط، لمحمد يوسف الشهر بأبي حيان الأندلسي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان. ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٤) تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ط١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت — لبنان ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٥) تفسير القرآن العظيم، للإمام الحافظ عماد الدين، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، ط٥، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت — لبنان ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٦) التفسير الكبير، للإمام الفخر الرازي، ط٣، إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان. دون تاريخ.

٧) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، للدكتور وهبة الزحيلي، ط ١، دارالفكر دمشق — سورية ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٨) تفسير معالم التنزيل، للإمام أبي محمد الحسن بن مسعود الفراء البغوي، إعداد وتحقيق: خالد عبدالرحمن، مردان سواد، ط١، دارالمعرفة، بيروت — لبنان ٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٩) جامع البيان في تفسير القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار المعرفة بيروت — لبنان ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

١٠) في ظلال القرآن، سيد قطب، طبعة جديدة، دار الشروق، دون ذكر التاريخ.

١١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه، للإمام محمود بن عمر الزمخشري، ط١، القاهرة ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

كتب الأحاديث:

١٢) جامع الترمذي للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، دارالسلام، الرياض السعودية.

١٣) سنن ابن ماجه، للإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني الشهير بابن ماجه، ط١، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية.

١٤) سنن أبي داود للإمام سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وغيره، ط٩،دار الرسالة العالمية، ٢٠٠٩م.

١٥) سنن النسائي للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن عالي الخراساني النسائي، بين الأفكار الدولية، دون ذكر الطبعة، والتاريخ.

١٦) صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، ط٢، دار السلام، الرياض، السعودية١٩٩٠م.

١٧) صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، ط٢، دار السلام، الرياض السعودية.

١٨) مسند الإمام أحمد، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن الأسد الشيباني، بتحقيق شعيب الأرنؤوط، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت.

المعاجم والموسوعات:

١٩) تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، بإشراف: محمد عوض طبعة جديدة، دارإحياء التراث العربي، بيروت — لبنان. د. ت.

٢٠) قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، الحسين بن محمد الدامغاني، حققه ورتبه، عبد العزيز سيد الأهل، ط٢، دالعلم للملايين، بيروت ١٩٧٧م.

٢١) القاموس المحيط، الشيخ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الفكر ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م.

٢٢) كتاب التعريفات للجرجاني، حققه إبراهيم الاسياري، دار التاب العربي، ط١، بيروت.

٢٣) كلمات القرآن، تفسير وبيان، حسنين محمد مخلوف، دار ابن حزم، بيروت — لبنان ١٤١٨هـ - ١٩٩٧.

٢٤) لسان العرب، الإمام ابن منظور، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت — لبنان ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٢٥) معجم ألفاظ العقيدة، أبي عبد الله عالم عبد الله فاتح، تقديم: عبد الله بن عبد الرحمن جبرين، ط٢، مكتبة العبيكات، الرياض ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٢٦) معجم ألفاظ القرآن، مجمع اللغة العربية الإدارة العامة للمعجمات، إحياء التراث,جمهورية مصر العربية.

٢٧) المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، المطابع الأميرية، ٢٠٠٦م.

٢٨) المعجم الوسيط، د. إبراهيم أنيس، د. عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، ط ٣، جمهورية مصر العربية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٢٩) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط١، دار إحياء الكتب العربية.

٣٠) مفردات غريب القرآن، الراغب الاصفهاني، مطبع الحلبي. د. ت.

٣١) الموسوعة العلمية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية، مجدي فتحي السيد، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، ٢٠٠٩م.

٣٢) الموسوعة الفلكية، تأليف: أ. ثايجرت، هـ. تسمرمان، تجرمة: د. محمد جمال الدين الفندي، د. عبد القوي عياد. الهيئة المصرية العامة لكتاب عام ١٩٩٠م.

كتب خاصة بالموضوع:

٣٣) إحياء علوم الدين، لمحمد الغزالي، دار المعرفة، بيروت لبنان.دون الطبع والتاريخ.

٣٤) أخلاق دعاة الإسلام، ربيع الشيخ، ط١، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر – القاهرة ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٣٥) الأزمة الفكرية المعاصرة، للدكتور طه جابر العلواني، ط١، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، فيرجينيا – الولايات المتحدة الأمريكية، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٣٦) أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة. د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار، ط٢، دارشلبيا، الرياض -١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٣٧) أسباب نجاح الدعوة الإسلامية في عهد النبوة، عبد الله بن محمد آل موسى، ط١، عالم الكتب، الرياض ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٣٨) أسس الدعوة وآداب الدعاة، للدكتور محمد السيد الوكيل، ط٢، دار الوفاء ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٣٩) الإسلام في عصر العلم، محمد فريد وجدي، ط٣، دارالكتاب العربي، بيروت – لبنان.

٤٠) الإسلام كما ينبغي أن نؤمن، د. عبد الحليم عويس، ط١، دار الصحوة، القاهرة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٤١) الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة، للدكتور يحيى هاشم حسن فرعل، دار المعارف، القاهرة. د. ت.

٤٢) الإسلام والحضارة ودور الشباب المسلم، ط٢، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض ١٩٨٥م.

٤٣) الإسلام والعصر الحديث، وهبة الدين خان، ط٤، دار النفائس، بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٩٣م.

٤٤) الإسلام وثقافة الإنسان، سميع عاطف الزين، ط٧، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لنبان ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٤٥) الإسلام وحركة الحياة، الدكتور نجيب الكيلاني، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت — لبنان ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٤٦) الإسلام ومتغيرات العصر، لدكتور محمود حمري زقزوق، وزير الولاء والمعارف القاهرة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٤٧) الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان، ترجمة: ظفر الإسلام، تحقيق: د. عبد الصبور شاهين، ط٢، المختار الإسلامي، القاهرة ١٩٧٦م.

٤٨) الإسلام، سعيد حوى، ط٢، دارالسلام، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٤٩) الأصول الإدارة للتربية، د. إبراهيم عصمت مطاوع، د. أمينية أحمد حسن، ط٢، دارالشروق، جدة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٥٠) أصول البحث العلمي ومناهجه، للدكتور أحمد بدر، ط٢، الكويت ١٩٧٥م.

٥١) أصول الدعوة لدكتور عبد الكريم زيدان، ط٣، دار الوفاء، بيروت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٥٢) أضواء قرآنية في سماء الوجدان، محمد فتح الله كولن، ط٢، دار النيل ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

٥٣) إعجاز القرآن في آفاق الزمان المكان، د. منصور حسب النبي، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٥٤) أعلام النبوة، الإمام أبي الحسن علي بن محمد الماوردي، تعليق: الشيخ خالد عبد الرحمن العك، ط١، دار النفائس، بيروت — لبنان ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٥٥) الإنسان في الكون بين القرآن والعلم، د. عبد العليم عبد الرحمن خضر، ط١، عالم المعرفة، جدة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٥٦) الإنسان والكون، لأحمد أبو زيد، ط١، عالم الفكر، ١٩٧٠م.

٥٧) الإيمان والحياة، لأستاذ يوسف القرضاوي، ط١٣، مكتبة وهبة القاهرة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٢م.

٥٨) بناء الكون ومصير الإنسان، هشام طالب، ط١، دار الفكر، بيروت – لبنان ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٥٩) تاريخ الدعوة الإسلامية من الأمس إلى اليوم، آدم عبد الله الألوري. ط٢، دار الفكر العربي بيروت لبنان د. ت.

٦٠) تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه، للدكتور عبد الحليم منصر، دار المعارف، القاهرة. دون الطبع والتاريخ.

٦١) التخطيط الإعلامي في ضوء الإسلام، محمود كرم سليمان، ط١، دارالوفاء ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٦٢) تذكرة الدعاة، البهي الخولي، ط٥، دارالقلم، دمشق، ١٣١٩هـ - ١٩٧٧م.

٦٣) التربية الإسلامية للفرد المسلم، لعبد البديع صقر، ط١، دار الأمة، الأمارات العربية المتحدة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٦٤) التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن، حنفي أحمد، دار المعارف.

٦٥) التفكر من المشاهدة إلى الشهود، للدكتور مالك بدري، الدار العالمية لكتاب الإسلامي والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٦٦) التفكير، تقي الدين النبهاني، ط١، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٦٧) التلال الزمردية نحو حياة القلب والروح، لمحمد فتح الله كولن، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط٢، دار النيل تركيا، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٦٨) تهذيب مدارج الساكين، لابن قيم الجوزية، هذبه: عبد المنعم صالح العلي العربي، دولة الإمارات وزارة الأوقاف المكتبة العلمية. دون ذكر الطبع والتاريخ.

٦٩) توحيد الخالق، لعبد المجيد الزنداني، ط١، تراث الفكر العربي. د. ت.

٧٠) ثقافة الداعية، للدكتور يوسف القرضاوي، ط٦، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٧١) جدد حياتك، محمد الغزالي، دار الكتب الحديثة، شارع الجمهورية بعابدين بدون ذكر طبع.

٧٢) الحكمة في الدعوة إلى الله، للدكتور سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ط١. دار الفكر بيروت لبنان د. ت.

٧٣) الحكمة في مخلوقات الله عز وجل، الإمام الغزالي، دار المكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٧٤) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، موريس بوكامي، دار المعارف. د.ت

٧٥) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، أحمد أحمد غلوش، ط١، دار المعارف بيروت لبنان د. ت.

٧٦) الدعوة الإسلامية، دعوة عالمية، محمد الراوي، ط٣، مكتبة العبيكات الرياض ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

٧٧) الدعوة الفردية وسائل ومفاهيم، لدكتور محمد منصور، ط١، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة ١٤١٤هـ – ٢٠٠٢م.

٧٨) الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل، محمد بن سيدي بن الحبيب، ط١، دار الوفاء، جدة ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م.

٧٩) الدعوة في الإسلام عقيدة ومنهج، الدكتور السيد رزق الطويل، مكتبة الثقافية، مكة المكرمة، دون ذكر التاريخ والطبعة.

٨٠) الدين في حياتنا، للدكتور عون الشريف قاسم، دار القلم، بيروت. دون الطبع والتاريخ.

٨١) الدين في عصر العلم، للدكتور يوسف القرضاوي، ط٣، المكتب الإسلامي، بيروت ١٩٩٨م.

٨٢) رسائل العاملين، للشيخ جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين، مؤسسة الكلمة. دون الطبع والتاريخ.

٨٣) رسائل فتيان الدعوة، للشيخ جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين، ط١، دار الشـــــرواق، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٨٤) روح الإسلام، سيد أمير علي أشرف، ترجمة: أمين محمود الشريف، راجعه: محمد بدران، إدارة الثقافة العام بوزارة التربية والتعليم. د. ت.

٨٥) الروح، لابن قيم الجوزية، حققه: محمد اسكندريلية، دار الكتب العلمية، بيروت. د. ت.

٨٦) سبيل الرشاد في الدعوة والإرشاد، د. محمود علي حماية، دار المعرفة، القاهرة. د. ت.

٨٧) سير الفكر التربوي عبر التاريخ، للدكتور السيد السلطان، ط١، دار الشروق، جدة. د. ت.

٨٨) العبادة في الإسلام، للدكتور يوسف القرضاوي. ط١، مكتبة الوحدة القاهرة، مصر ١٤٢٢هـ.

٨٩) العبودية الإمام التيمية، تعليق: محمد منير الدمشقي، ط٢، توزيع الرياسة العامة، البحوث العلمية والإفتاء، والدعوة والرشاد، الرياض، ١٤٠٤هـ.

٩٠) عقيدة المؤمن، أبو بكر جابر الجزائري، دار الكتب السلفية.

٩١) عقيدتنا في الخالق، والنبوة والآخرة، الشيخ عبد الله نعمه، ط٢، مؤسسة عز الدين، بيروت — لبنان ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٩٢) العلم والعلماء، أبو بكر الجزائري، ط٢، دار الشروق، جدة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٩٣) العلم يدعو للإيمان، أستاذ كرسي مورسيون، ترجمة: محمود صالح الفلكي. إعداد في المكتبة الشاملة: موقع مكتبة مسجد النبوي الشريف

٩٤) فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ط١، دار القلم، دمشق ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٩٥) فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، د. علي خليل مصطفى أبو العينين، ط٢، دار الفكر العربي ١٩٨٥م.

٩٦) الفلكية في القرآن، ترجمة: سمية زيتوني، مراجعة عبد الباسط إبراهيم، ط٢، دار طلاس، دمشق.

٩٧) في أصول الدعوة: مقتبسات من كتب: الدكتور يوسف القرضاوي، مصطفى ملائكة، ط١، مكتبة وهبة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٩٨) في النقد الإسلامي المعاصر، عماد الدين خليل، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٣٩٤هـ - ١٩٧٢م.

٩٩) في رحاب الكون، د. عبد الحليم محمود، دار السلام القاهرة، ١٩٧٣.

١٠٠) القرآن والكون، د. محمد عبد الله الشرقاوي، مكتبة الزهراء. د. ت

١٠١) قصة الإيمان، الشيخ نديم الجسر، ط٣، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

١٠٢) القيم التربوية في القصص القرآني، سيد أحمد طحاوي، ط ١، دار الفكر العربي، مصر ١٤١٢هـ - ١٩٩٦م.

١٠٣) كبرى اليقينيات الكونية، د. محمد سعيد رمضان البوطي، ط٨، دار الفكر، دمشق سورية ١٩٨٦م.

١٠٤) كتاب التوحيد، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد يحيى بن منده، تعليق: د. علي محمد ناصر الفقهي. ط٣، دار المعارف بيروت — لبنان د. ت.

١٠٥) كتاب العلوم الإسلامية، لأحمد شوقي الفنجري، إشراف: د. صالح عبدالله جاسم، ط١، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي إدارة الثقافة العلمية ١٩٨٥م.

١٠٦) كتاب توحيد الخالق، عبد المجيد عزيز الزنداني، ط٣، دار السلام ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

١٠٧) الكون والإعجاز العلمي للقرآن الكريم، د. منصور محمد حسب النبي، دار الفكر العربي، القاهرة ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

١٠٨) الكون، د. كارل ساغان، ترجمة: نافع أيوب لبس، مراجعة: محمد كامل عارف، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب الكويت ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

١٠٩) كيف نتعامل مع القرآن، لعمر عبيد حسنة، ط١، دار الوفاء المنصورة ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

١١٠) لله العلم، د. بشير التركي، ط٢، تيونس ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١١١) الله والكون، د. محمد جمال الدين الفندي، ط٢، هيئة المصرية العامة.

١١٢) الله يتجلى في عصر العلم، نخبة من العلماء، أشراف جون كلوثرمونسيما، ترجمة: د. مرداش عبدالمجيد سرحان، راجعه: د. محمد جمال الفندي، دارالقلم، بيروت.

١١٣) مجموعة الرسائل، الإمام الغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

١١٤) محاضرات في الثقافة الإسلامية، أحمد محمد جمال، ط٣، دار الشعب ١٩٧٥م.

١١٥) محاضرات في العبادات، للدكتور محمد أبو الفتح البيانوني، دار الفكر بيروت لبنان. د. ت.

١١٦) مرشد الدعاة، محمد نمر الخطيب، ط١، دار المعرفة، بيروت ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

١١٧) مشاهد القيامة في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، د. ت.

١١٨) مع الله، الأستاذ محمد الغزالي، ط٢، دار الكتب الحديثة، مصر. د. ت

١١٩) مع دراسات في الدعوة والدعاة، محمد الغزالي، ط٤، دارالكتب الحديثة. مطبعة حسان، القاهرة ١٩٧٣م.

١٢٠) معالم تربوية من سيرة الإسلام عبد العزيز ابن باز، للشيخ محمد الرحيم، دون الطبع والتاريخ.

١٢١) مفتاح دار السعادة، لابن قيم الجوزية، دار الفكر. دون الطبع والتاريخ.

١٢٢) مقدمة ابن خلدون، تحقيق : سعيد محمود عقيل، ط١، دار الجيل، بيروت ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١٢٣) مقومات الشخصية المسلمة أو الإنسان الصالح، د. ماجد عرسان الكيلاني، ط١، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر، شوال ١٤١١هـ.

١٢٤) مقومات رجل الإعلام الإسلام، لتيسير محجوب الفتياني، دار عمار. دون الطبع والتاريخ.

١٢٥) مقومات رجل العقيدة على طريق الدعوة، لمصطفى مشهور، ط٢، دار التوزيع والنشر الإسلامية ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

١٢٦) منابر الدعوة الإسلامية المعاصرة، بدر عبد الرزاق عبد الله الماص، ط١، طبع على نفقة الهيئة الخيرية — الإسلامية العالمية ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

١٢٧) المنهج الإسلامي الجديد للتربية والتعليم، لأبي الأعلى المودودي، تعليق: محمود مهدي الأستانبولي، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٣م.

١٢٨) منهج التربية عند الأخوان المسلمين، د. عبد الحليم محمود، ط١، دار الوفاء المنصورة ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

١٢٩) منهج الفن الإسلامي، محمد قطب، دار الشروق، بيروت، د. ت.

١٣٠) الموافقات لأبي إسحاق الشاطبي، شرح وتعليقات: الشيخ عبد الله دراز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٦م.

١٣١) النحلة الراقص، قارل فون فريش، ترجمة: د. أحمد كاشف، مراجعة: د. عبد الخالق وفا، بأشراف الإدارة العامة للثقافة بوزارة التعليم العالي، دار النهضة، مصر القاهرة ١٩٦٧م.

١٣٢) النحلة تسبح الله، محمد حسن الحمصي، ط٥، دار الرشيد، دمشق، ١٣٩٧، ١٩٧٧م.

١٣٣) نظرات تربوية في الدعوة والجماعة، حسام حميدة، ط ١، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر القاهرة. ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٢م.

١٣٤) نقد المذهب التجريبي، محمد محمد طاهر أل شبير، ط٢، منشورات دار مكتبة لاهلال، بيروت ١٩٨٧م.

١٣٥) هداية المشردين إلى طرق والوعظ والخطابة، علي محفوظ، ط٩، دار الاعتصام ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٣٦) ورثة الكتاب، محمد فهمي الوهاب، دار الاعتصام، القاهرة. دون الطبع والتاريخ.

عناوين الالكترونية:

www.wikipedia.org
www.answer.com
www.achamel.info
www.alfetria.com
www.adheeth.com
www.eajaz.org
www.arsbulen.com
www.quran-m.com
www.saaid.net
www.maktaba.org

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١	الإهداء	أ
٢	كلمة الشكر والتقدير	ب
٣	**المقدمة**	١
٤	تعريف الموضوع	٢
٥	أسباب اختيار الموضوع	٢
٦	المشكلة التي يعالجها البحث	٣
٧	الدراسات السابقة	٣
٨	منهجي في البحث	٤
٩	**التمهيد**	٨
١٠	تعريف الدعوة	٨
١١	تعريف الكون	١٢
١٢	تعريف الآية	١٤
١٣	تعريف الحقيقة العلمية والنظرية العلمية	١٦
١٤	**الفصل الأول: آيات الله الكونية وصلتها بالداعي إلى الله**	٢٠
١٥	**المبحث الأول: الدلائل المستفادة لإعداد الداعية من خلال آيات الله الكونية**	٢٤
١٦	**المطلب الأول: التفكر في حياة الداعية**	٢٦
١٧	التفكر لغة واصطلاحاً	٢٧

م	الموضوع	الصفحة
١٨	كلمة الفكر في القرآن	٢٩
١٩	دعوة التفكر في القرآن خلال آيات الله الكونية	٣٠
٢٠	التفكر في الآيات الكونية وصلتها بالداعية	٣٤
٢١	أثر التفكر في حياة الداعية	٣٧
٢٢	**المطلب الثاني: أهمية العلوم الكونية في حياة الداعية**	٤٢
٢٣	تعريف العلم	٤٣
٢٤	موقف القرآن في الحث على العلوم الكونية	٤٤
٢٥	حكم تحصيل العلوم الكونية للداعية المسلم	٥١
٢٦	ضرورة العلوم الكونية للداعية إلى الله	٥٢
٢٧	أولاً: ضرورة ثقافية	٥٣
٢٨	ثانياً: ضرورة دعوية	٥٥
٢٩	الدعاة الذين يستخدمون منهج التفسير العلمي في الدعوة إلى الله	٦١
٣٠	**المطلب الثالث: الاهتمام بعبادة الله وحده**	٦٣
٣١	العبادة لغة واصطلاحاً	٦٤
٣٢	عبادة الكون لله عز وجل	٦٥
٣٣	أثر الصلاة على الداعية	٧٤
٣٤	**المبحث الثاني: وظائف الداعية المستفادة من آيات الله الكونية**	٧٦
٣٥	**المطلب الأول: التخطيط في حياة الداعية**	٧٧

م	الموضوع	الصفحة
٣٦	التخطيط لغة واصطلاحاً	٧٨
٣٧	دعوة الكون إلى وضع التخطيط	٧٩
٣٨	التخطيط في حياة النحلة	٨٠
٣٩	الدروس المستفادة للداعية من حياة النحلة	٧٦
٤٠	**المطلب الثاني: الجمال في حياة الداعية**	٩١
٤١	معنى الجمال	٩٢
٤٢	الجمال في صنع الله	٩٣
٤٣	عناصر الجمال	٩٦
٤٤	الزينة مظهر من مظاهر الجمال	١٠٠
٤٥	الاهتمام بالجمال وظيفة من وظائف الداعية إلى الله	١٠٠
٤٦	الجمال في شخصية الداعية	١٠٣
٤٧	الجمال في خلق الداعية	١٠٤
٤٨	الجمال في عملية الدعوة الإسلامية	١٠٤
٤٩	**الفصل الثاني: موضوع الدلالات في آيات الله الكونية**	١٠٧
٥٠	**المبحث الأول: الدلالات العقيدية في آيات الله الكونية**	١٠٨
٥١	**المطلب الأول: الآيات الكونية في عرض دلالات وجود الله وتوحيده**	١٠٩
٥٢	أولاً: دليل الخلق والإبداع	١١٠
٥٣	ثانياً: دليل النظام	١١٥

م	الموضوع	الصفحة
٥٤	ثالثاً: دليل العناية	١٢٣
٥٥	**المطلب الثاني:الآيات الكونية في عرض دلالات الرسالة نبوة محمد ﷺ -**	١٢٨
٥٦	معنى الرسالة والنبوة	١٢٩
٥٧	حاجة الناس إلى الرسالة	١٣٠
٥٨	إمكان الوحي من مصدر غير الإنساني	١٣٢
٥٩	الآيات الكونية تثبت النبوة والرسالة	١٣٣
٦٠	أثر آيات الكونية على علماء الكون	١٤٢
٦١	**المطلب الثالث: الآيات الكونية في عرض دلالات الآخرة والبعث بعد الموت**	١٤٤
٦٢	أولاً: الدلائل في إثبات يوم الآخرة	١٤٥
٦٣	جميع الخلق يحيى إلى أجل مسمى	١٤٦
٦٤	إنكار الأكثرين للآخرة والبعث	١٤٩
٦٥	الدلائل في إثبات البعث بعد الموت	١٥١
٦٦	(أ) استدلال على الإعادة والبعث بالقياس الأولوي	١٥١
٦٧	(ب) الاستدلال باخراج الحي من الميت والميت من الحي	١٥٢
٦٨	(ج) استدلال بالمشابهة، إحياء نبات الأرض بالمطر بإحياء الموتى على يوم الآخرة	١٥٣
٦٩	**المبحث الثاني: الدلائل الخلقية المستفادة في سياق الآيات الكونية**	١٥٧
٧٠	**المطلب الأول: الدعوة إلى شكر المنعم**	١٥٨

م	الموضوع	الصفحة
٧١	**المطلب الثاني: الدعوة إلى اصلاح المجتمع**	١٦٥
٧٢	الأمر بالعدل	١٦٦
٧٣	الأمر بالإحسان	١٦٨
٧٤	الأمر بإيتاء ذي القربى	١٦٩
٧٥	**المطلب الثالث: الدعوة إلى الأخوة**	١٧١
٧٦	المحبة من لوازم الأخوة	١٧١
٧٧	الوحدة من لوازم الأخوة	١٧٤
٧٨	**الفصل الثالث: الدلالات المستفادة من الآيات الكونية في أساليب الدعوة وخطاب المدعوين**	١٧٧
٧٩	**المبحث الأول: أصناف المدعوين الذكورين في هاتين السورتين**	١٧٨
٨٠	**المطلب الأول: المعارضون**	١٧٩
٨١	(أ) المغفلون	١٨١
٨٢	(ب) المستكبرون	١٨٢
٨٣	(ج) المفترون	١٨٥
٨٤	**المطلب الثاني: المسلمون**	١٨٩
٨٥	(أ) المؤمنون	١٩٠
٨٦	أولو الألباب	١٩٠
٨٧	أصحاب الفطرة السليمة	١٩٢

م	الموضوع	الصفحة
٨٨	مستعدون للبذل والتضحية	١٩٣
٨٩	(ب) العصاة	١٩٤
٩٠	(١) الاستكبار	١٩٤
٩١	(٢) سوء الفهم للعقيدة	١٩٥
٩٢	(٣) عدم الاستقرار على نهج واحد	١٩٦
٩٣	(٤) الغفلة عن الله في الفرح، والقنوط في الفهم والحزن	١٩٧
٩٤	**المبحث الثاني: أساليب الدعوة ونوعية الخطاب**	١٩٩
٩٥	**المطلب الأول: أسلوب الحكمة**	٢٠١
٩٦	**المطلب الثاني: أسلوب الموعظة الحسنة**	٢٠٦
٩٧	**المطلب الثالث: أسلوب الجدل بالحسنى**	٢١٠
٩٨	**الخاتمة**	٢١٤
٩٩	**الفهارس**	٢٢٠
١٠٠	**فهرس الآيات القرآنية**	٢٢١
١٠١	**فهرس الأحاديث النبوية**	٢٢٧
١٠٢	**فهرس المصادر والمراجع**	٢٢٨
١٠٣	**فهرس الموضوعات**	٢٤١